الفصل الثاني

بيعة الحسن بن علي بن أبي طالب وأهم صفاته وبعض مواقفه في الحياة الاجتماعية ومشروعه الإصلاحي الذي توّج بوحدة الأمة

المبحث الأول

بيعة الحسن بن علي رضي الله عنهما

كانت بيعة الحسن بن علي رضي الله عنهما في شهر رمضان من سنة 40هـ، وذلك بعد استشهاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه على يد الخارجي عبد الرحمٰن بن ملجم المرادي[1]، وقد اختار الناس الحسن بعد والده ولم يعين أمير المؤمنين أحداً من بعده، فعن عبد الله بن سبع قال: سمعت علياً يقول: لتخضبن هذه من هذا[2]، فما ينتظر بي الأشقى[3]. قالوا: يا أمير المؤمنين، فأخبرنا به نبير عترته[4]، قال: إذن تالله تقتلون بي غير قاتلي. قالوا: فاستخلف علينا قال: لا، ولكن أترككم إلى ما تركككم إليه رسول الله ﷺ، قالوا: فما تقول لربك إذا أتيته؟ قال وكيع[5] مرة: إذا لقيته، قال: أقول: اللّهم تركتني فيهم ما بدا لك، ثم قبضتني إليك وأنت فيهم، فإن شئت أصلحتهم، وإن شئت أفسدتهم[6]، وفي رواية: أقول: اللّهم استخلفتني فيهم ما بدا لك، ثم قبضتني وتركتك فيهم[7].

وبعد مقتل علي صلى عليه الحسن بن علي وكبر عليه أربع تكبيرات، ودفن بالكوفة، وكان أول من بايعه قيس بن سعد، قال له: ابسط يدك أبايعك على كتاب الله عزوجل، وسنة نبيه، وقتال المُحلِّين، فقال له الحسن رضي الله عنه: على كتاب الله وسنة نبيه، فإن ذلك يأتي من وراء

---

(1) الطبقات (3/ 35 - 38) تحقيق د. إحسان عباس.

(2) أي لتخضبن لحيته من دم رأسه.

(3) مجمع الزوائد (9/ 139) مسند أحمد (2/ 325) حسن لغيره.

(4) نبير عُترتَه: نهلك أقرباءه، لسان العرب (4/ 5) (4/ 538).

(5) وكيع بن الجراح، ثقة حافظ عابد، التقريب 581.

(6) مسند أحمد (2/ 325) حسن لغيره الموسوعة الحديثية.

(7) كشف الأستار عن زوائد البزار (3/ 204).

كل شرط: فبايعه وسكت، وبايعه الناس[1]، وقد اشترط الحسن بن علي على أهل العراق عندما أرادوا بيعته فقال لهم: إنكم سامعون مطيعون، تسالمون من سالمت، وتحاربون من حاربت[2]، وفي رواية قال لهم: والله لا أبايعكم إلا على ما أقول لكم، قالوا: ما هو؟ قال: تسالمون من سالمت، وتحاربون من حاربت[3]، وفي رواية ابن سعد: إن الحسن بن علي بن أبي طالب بايع أهل العراق بعد علي على بيعتين، بايعهم على الإمرة، وبايعهم على أن يدخلوا فيما دخل فيه، ويرضوا بما رضي به[4].

ويستفاد من الروايات السابقة ابتداء الحسن ﷺ في التمهيد للصلح فور استخلافه والذي سيأتي تفصيله لاحقاً بإذن الله تعالى، ومن دراستنا لبيعة الحسن نستنبط دروساً وعبراً وفوائد، منها:

أولاً: بطلان قضية النص على خلافة الحسن:

عند حديثنا عن بيعة الحسن ﷺ تبرز أمامنا قضية يروج لها الشيعة الإمامية بقوة، ألا وهي قضية النص على خلافة الحسن ﷺ من قبل والده علي بن أبي طالب ﷺ[5]، وهذا الأمر يعد من المفتريات على أمير المؤمنين علي ﷺ حيث لم يصح النقل عنه بذلك، إن الشيعة الإمامية يعتقدون أن الإمامة كالنبوة لا تكون إلا بالنص من الله ﷻ على لسان رسوله ﷺ، وأنها مثلها لطف من الله ﷻ، ولا يجب أن يخلو عصر من العصور من إمام مفروض الطاعة منصوب من الله تعالى، وليس للبشر حق اختيار الإمام وتعيينه، بل وليس للإمام نفسه حق تعيين من يأتي بعده، وقد وضعوا على لسان أئمتهم عشرات الروايات في ذلك، منها ما نسبوه إلى الإمام محمد الباقر ﷺ أنه قال: أترون أن هذا الأمر إلينا نجعله حيث نشاء؟ لا والله ما هو إلا عهد من رسول الله رجل فرجل مسمى حتى تنتهي إلى صاحبها[6]، ويعتقد الشيعة الإمامية أن الرسول ﷺ قد نص على الأئمة من بعده وعينهم بأسمائهم وهم اثنا عشر إماماً لا ينقصون ولا يزيدون وهم:

1 - علي بن أبي طالب ﷺ المرتضى توفي 40هـ.

(1) تاريخ الطبري (6/ 73).
(2) المصدر السابق نفسه (6/ 77).
(3) الطبقات، تحقيق د. محمد السلمي (1/ 286، 287).
(4) المصدر السابق نفسه (1/ 316، 317).
(5) فرق الشيعة للنوبختي، ص 34، مرويات خلافة معاوية.
(6) الإمامة والنص، فيصل نور، ص 8.

2 - الحسن بن علي ﷺ الزكي توفي 50هـ.

3 - الحسين بن علي سيد الشهداء توفي 61هـ ﷺ .

4 - علي بن الحسين - زين العابدين - توفي 95هـ.

5 - محمد بن علي الباقر توفي 114هـ.

6 - جعفر بن محمد الصادق توفي 148هـ.

7 - موسى بن جعفر الكاظم توفي 183هـ.

8 - علي بن موسى الرضا توفي 203هـ.

9 - محمد بن علي الجواد توفي 220هـ.

10 - علي بن محمد الهادي توفي 254هـ.

11 - الحسن بن علي العسكري توفي 260هـ.

12 - محمد بن الحسن المهدي توفي 256هـ.

وأساس عقيدة الوصية هو ابن سبأ، وكان ينتهي بأمر الوصية عند علي ﷺ ، ولكن جاء فيما بعد من عممها في مجموعة من أولاده، وكانت الخلايا الشيعية الإمامية تعمل بصمت وسرية، فينفون ذلك نفياً قاطعاً، كما فعل جدهم أمير المؤمنين علي ﷺ ، ولذلك اخترع أولئك المفترون على أهل البيت «عقيدة التقية» حتى يسهل نشر أفكارهم وهم في مأمن من تأثر الأتباع بمواقف أهل البيت الصادقة والمعلنة للناس[1] .

إن من أخطر الأمور التي ابتدعها الشيعة: الوصية، وهي أن رسول الله ﷺ أوصى بالخلافة بعد وفاته مباشرة إلى علي ﷺ ، وأن من سبقه مغتصبون لحقه كما جاء في كتابهم «الكافي»: من مات ولم يعرف إمامه مات ميتة جاهلية وكان رسول الله ﷺ وكان علياً عليه السلام ولكن بالاستقراء التاريخي لتاريخ الخلفاء الراشدين، لا نجد للوصية ذكراً في خلافة أبي بكر، ولا في عمر ﷺ ، وإنما نجد بداية ظهورها في السنوات الأخيرة من خلافة عثمان ﷺ ، عند بزوغ قرن الفتنة، وقد استنكر الصحابة هذا القول عندما وصل إلى أسماعهم، وبينوا كذبه، ومن أشهر هؤلاء علي بن أبي طالب، وأم المؤمنين عائشة ﷺ ، ثم نرى هذا القول يتبلور في فكرة موجهة، وعقيدة تدعو إلى الإيمان بها والدعوة إليها، وذلك في خلافة علي ﷺ ، وهذه الوصية التي تدعيها الإمامية فقد أثبت علماؤهم أنها من وضع عبد الله بن سبأ كما ذكر ذلك النوبختي والكشي، وقد فصلت ذلك في كتابي «أسمى المطالب في سيرة

(1) أصول الشيعة الإمامية (2/ 800). (2) أصول الكافي (2/ 16 - 17)

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب» ﷺ ، ويكفي في الرد على زعمهم الباطل ما ورد بالنقل الصحيح عن عدد من الصحابة - ﷺ - ومنهم علي ﷺ نفسه والأدلة كثيرة منها:

1 - ذكر عند عائشة أن النبي ﷺ أوصى إلى علي، فقالت: من قاله؟ لقد رأيت النبي ﷺ وإني لمسندته إلى صدري، فدعا بالطست، فانخنث، فمات، فما شعرت، فكيف أوصى إلى علي[1]؟ وتصريح عائشة ﷺ أن النبي ﷺ لم يوص لعلي من أعظم الأدلة على عدم الوصية، فإن النبي ﷺ توفي في حجرها ولو كانت هناك وصية لكانت هي أدرى الناس بها[2].

2 - وعن ابن عباس قال: إن علياً بن أبي طالب ﷺ خرج من عند رسول الله ﷺ في وجعه الذي توفي فيه، فقال الناس: يا أبا الحسن، كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ فقال: أصبح بحمد الله بارئاً، فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب فقال له: أنت والله بعد ثلاث عبد العصا، وإني والله لأرى رسول الله ﷺ سوف يتوفى في وجعه هذا، وإني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت، اذهب بنا إلى رسول الله، فلنسأله فيمن هذا الأمر، إن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا علمنا فأوصى بنا، فقال علي: إنا والله لئن سألناها رسول الله فمنعناها، لا يعطيناها الناس من بعده، وإني والله لا أسألها رسول الله ﷺ[3].

وفي قوله ﷺ شهادة للصحابة - رضوان الله عليهم - على مدى التزامهم بتنفيذ أمر رسول الله ﷺ، فلو كانت هناك وصية لما تخلف أحد عنه، ولما عبرت الأنصار عن رأيها في السقيفة بحرية وشجاعة وصدق: منا أمير ومنكم أمير[4]، ولبايعوا من عهد إليه الوصية، أو على الأقل سيذكر بعضهم، ولو كان هناك نص قبل ذلك لقال علي للعباس: كيف نسأله عن هذا الأمر فيمن يكون وهو قد أوصى لي بالخلافة، وقد توفي رسول الله ﷺ في نفس اليوم، فلما لم يوجد شيء من ذلك تبين ما يُدَّعى من النص دعوى لا أساس لها من الصحة، وكل ما أوردوه من ذلك من التنصيص على علي مردود، لمخالفته هذا النص الصريح من علي ﷺ، لأن كل أدلتهم السمعية إما أنها لا تدل على المدعى - وإما نصوص تدل على ذلك ولكنها موضوعة[5].

3 - سئل علي ﷺ: أخصكم رسول الله بشيء؟ فقال: ما خصنا رسول الله بشيء لم يعم به الناس كافة، إلا ما كان في قراب سيفي هذا، قال: فأخرج صحيفة مكتوب فيها: «لعن

---

(1) البخاري رقم: 1471، كتاب: الوصايا.
(2) بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود (1/ 190).
(3) البخاري، كتاب: المغازي رقم: 4447.
(4) البخاري، كتاب: الحدود رقم: 6830.
(5) الإمامة والرد على الرافضة، تحقيق علي ناصر فقيهي، ص 238.

الله من ذبح لغير الله، ولعن من سرق منار الأرض، ولعن الله من لعن والده، ولعن الله من آوى محدثاً»[1]. قال ابن كثير: وهذا الحديث الثابت في الصحيحين وغيرهما عن علي ﷺ يرد على فرقة الرافضة من زعمهم: أن رسول الله أوصى إليه بالخلافة، ولو كان الأمر كما زعموا لما رد ذلك أحد من الصحابة، فإنهم كانوا أطوع لله ورسوله في حياته، وبعد وفاته من أن يفتئتوا عليهم فيقدموا غير من قدمه، ويؤخروا من قدمه بنصه، حاشا وكلا! ومن ظن بالصحابة رضوان الله عليهم ذلك فقد نسبهم بأجمعهم إلى الفجور والتواطؤ على معاندة الرسول ﷺ، ومضادتهم لحكمه ونصه، مع ما أنزل الله من ثناء عليهم بالقرآن، ومن وصل من الناس إلى هذا المقام فقد خلع ربقة الإسلام، وكفر بإجماع الأئمة الأعلام[2]، قال النووي: فيه إبطال ما تزعمه الرافضة والشيعة الإمامية بالوصية لعلي وغير ذلك من اختراعاتهم[3].

4 - وعن عمرو بن سفيان قال: لما ظهر علي يوم الجمل قال: أيها الناس، إن رسول الله ﷺ لم يعهد إلينا من هذه الإمارة شيئاً حتى رأينا من الرأي أن نستخلف أبا بكر، فأقام واستقام حتى مضى لسبيله[4].

5 - روى أبو بكر البيهقي بإسناده إلى شقيق بن سلمة، قال: قيل لعلي بن أبي طالب ﷺ: ألا تستخلف علينا؟ فقال: ما استخلف رسول الله ﷺ فأستخلف، ولكن إن يرد الله بالناس خيراً فسيجمعهم بعدي على خيرهم، كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم[5]. فهذا دليل واضح من أن دعوى النص عليه ﷺ إنما هو من اختلاق الرافضة الذين ملئت قلوبهم بالبغض والحقد لأصحاب رسول الله ﷺ بما فيهم علي وأهل بيته، وإنما يدعون حبهم تستراً ليتسنى لهم الكيد للإسلام وأهله[6].

بهذه النصوص القطعية يتضح بجلاء: أن لا أصل للوصية المزعومة وأن ما اعتمد عليه الإمامية هو من وضع عبد الله بن سبأ الذي هو أول من أحدث الوصية، ثم وضعت بعد ذلك أسانيد وركبت متون نسبوها زوراً وبهتاناً إلى النبي ﷺ وهدفهم من ذلك الطعن في الصحابة رضوان الله عليهم لمخالفتهم أمر الرسول ﷺ، وإجماعهم على ذلك، ومن ثم الطعن ورد ما نقلوه إلى أجيال المسلمين من قرآن وحديث[7].

---

(1) مسلم (3/ 1567) رقم: 1978.
(2) البداية والنهاية (5/ 221).
(3) شرح، صحيح مسلم (13/ 151).
(4) الاعتقاد، ص 184، وقال البيهقي في دلائل النبوة: سنده حسن.
(5) الاعتقاد، ص 184، إسناده جيد.
(6) عقيدة أهل السنة في الصحابة (2/ 620).
(7) خلافة علي بن أبي طالب، علي عبد الحميد، ص 65.

قال ابن تيمية ﷺ عن رده على الحلّي: وأما النص على علي فليس في شيء من كتب أهل الحديث المعتمدة، وأجمع أهل الحديث على بطلانه، حتى قال أبو محمد بن حزم: ما وجدنا قط رواية عند أحد في هذا النص المدعى إلا رواية إلى مجهول يكنى أبا الحمراء لا نعرف من هو في خلق الله[1]، وقال في موضع آخر: فعلم أن ما تدعيه الشيعة من النص هو مما لم يسمعه أحد من أهل العلم بأقوال رسول الله ﷺ قديماً ولا حديثاً، ولهذا كان أهل العلم بالحديث يعلمون بالضرورة كذب هذا النقل، كما يعلمون كذب غيره من المنقولات[2].

وقد جاء من الغلاة فيما بعد من أحيا نظرية ابن سبأ في أمير المؤمنين علي، ثم عمموها على آخرين من سلالة علي والحسين في إثارة مشاعر الناس وعواطفهم، والدخول إلى قلوبهم، لتحقيق أغراضهم ضد الدولة الإسلامية في ظل هذا الستار، وأول من بدأ يشيع القول بأن الإمامة محصورة بأناس مخصوصين في آل البيت، شيطان الطاق الذي تلقبه الشيعة مؤمن الطاق[3]، وأنه حينما علم بذلك زيد بن علي ﷺ بعث إليه ليقف على حقيقة الإشاعة، فقال له زيد: بلغني أنك تزعم أن في آل محمد إماماً مفترض الطاعة؟ قال شيطان الطاق: نعم، وكان أبوك علي بن الحسين أحدهم، فقال: وكيف وقد كان يؤتى بلقمة وهي حارة فيبردها بيده ثم يلقمنيها، أفترى أنه كان يشفق علي من حر اللقمة، ولا يشفق علي من حر النار؟ قال شيطان الطاق: قلت له: كره أن يخبرك، فتكفر، فلا يكون له فيك شفاعة[4].

وهذه القصة المروية في أوثق كتب الرجال عندهم تبين أن هذه النظرية كانت سرية التداول لدرجة أنها خفيت على إمام من أئمة أهل البيت وهو الإمام زيد، وقد بين محب الدين الخطيب: أن شيطان الطاق هو أول من اخترع هذه العقيدة الضالة، وحصر الإمامة والتشريع وادعى العصمة لأناس مخصوصين من آل البيت[5].

وقد شارك شيطان الطاق رجل آخر هو هشام بن الحكم المتوفى 179هـ[6]، ويبدو أن عقيدة حصر الإمامة بأناس معينين سرت في الكوفة[7]، بسعي مجموعة من أتباع هشام وشيطان الطاق، ففكرة حصر الأئمة بعدد معين قد وضع جذورها في القرن الثاني زمرة ممن يدعي الصلة بأهل البيت[8]، أمثال شيطان الطاق وهشام بن الحكم[9].

---

(1) المنهاج (8/ 362)، (الفصل 4/ 161).
(2) المنهاج (7/ 50).
(3) أصول الشيعة الإمامية (2/ 800).
(4) رجال الكشي، ص 186.
(5) مجلة الفتح، ص 5، العدد 862 عام 1367 هـ.
(6) أصول الشيعة الإمامية (2/ 803).
(7) بحار الأنوار (1/ 259)، أصول الشيعة الإمامية (2/ 805).
(8) أصول الشيعة (2/ 806).
(9) المصدر السابق نفسه (2/ 806).

ولقد اختلفت اتجاهات الشيعة وتباينت مذاهبهم في عدد الأئمة، قال في مختصر التحفة: اعلم أن الإمامية قائلون بانحصار الأئمة، ولكنهم مختلفون في مقدارهم، فقال بعضهم: خمسة، وبعضهم سبعة، وبعضهم ثمانية، وبعضهم: اثنا عشر، وبعضهم ثلاثة عشر[1]، والغريب أن القائلين بنظرية الإمامة الإلهية انقسموا إلى عدة فرق، كل فريق منهم ينقل روايات مناقضة للآخر في إمامة من يراه، ثم ينسبون ذلك لعلي ﷺ. وكتب الشيعة الإمامية نقلت صورة هذا التباين والتناقض سواء كانت من كتب الإسماعيلية بمسائل الإمامة للناشئ الأكبر، أو الزينة لأبي حاتم الرازي، أو من كتب الاثني عشرية مثل: المقالات والفرق للأشعري القمي، وفرق الشيعة للنبوختي، وقضية الإمامة عندهم ليست بالأمر الفرعي الذي يكون فيه الخلاف أمراً عادياً، بل هي أساس الدين وأصله المتين، ولا دين لمن لم يؤمن بإمامهم ولذلك يكفر بعضهم بعضاً ويلعن بعضهم بعضاً[2].

أما الاثنا عشرية فقد استقر قولها - فيما بعد - بحصر الإمامة في اثني عشر إماماً، ولم يكن في العترة النبوية بني هاشم على عهد رسول الله ﷺ، وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ من يقول بإمامة الاثني عشر[3]، إنما عرف الاعتقاد باثني عشر إماماً بعد وفاة الحسن العسكري[4].

إن حصر الأئمة بعدد معين عقيدة فاسدة باطلة، وأمير المؤمنين علي وأولاده وأحفاده براء منها، ففي كتب الشيعة المعتمدة في نهج البلاغة، عن علي ﷺ قال: دعوني والتمسوا غيري، فإنا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول[5]، وإن الآفاق قد أغامت[6]، والمحجة قد تنكرت، واعلموا أني إن أجبتكم ركبت لكم ما أعلم، ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب، وإن تركتموني فأنا كأحدكم ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيراً خير لكم مني أميراً[7]، فلو كانت إمامة علي منصوصاً عليها من الله ﷻ لما جاز لعلي بن أبي طالب تحت أي ظرف من الظروف أن يقول للناس: «دعوني والتمسوا غيري» ويقول: أنا لكم وزيراً خير لكم مني أميراً» كيف والناس تريده وجاءت تبايعه[8].

ويقول في النهج كلاماً أكثر صراحة وأشد وضوحاً حين يقول: إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن

(1) مختصر التحفة، ص 193.
(2) أصول الشيعة الإمامية (2/ 807).
(3) منهاج السنة (2/ 11).
(4) أصول الشيعة الإمامية (2/ 808).
(5) لا تصبر له ولا تطيق احتماله.
(6) أغامت: غطيت بالغيم.
(7) نهج البلاغة، خطبة رقم: 92، ص 236.
(8) ثم أبصرت الحقيقة، ص 158.

يرد وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل سمّوه إماماً كان ذلك لله رضا، فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردّوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى[1]، وقد أثار أمير المؤمنين بهذه العبارة حقائق جديرة بالاهتمام حيث جعل:

- الشورى للمهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ وبيدهم الحل والعقد.
- اتفاقهم على شخص سبب لمرضاة الله وعلامة لموافقته سبحانه وتعالى إياهم.
- لا تنعقد الإمامة في زمانهم دونهم وبغير اختيارهم.
- لا يرد قولهم ولا يخرج عن حكمهم إلا المبتدع الباغي المتبع غير سبيل المؤمنين، فأين هم الشيعة الاثني عشرية عن هذه التصريحات الهامة[2]؟

إن مسألة النص لا تثبت بأي وجه من الوجوه، ومسألة حصر الأئمة بعدد معين مردودة بالكتاب والسنة، كما أنه لا يقبلها العقل ومنطق الواقع، إذ بعد انتهاء العدد المعين هل تظل الأمة بدون إمام؟ ولذلك فإن عصر الأئمة الظاهرين عند الاثني عشرية لا يتعدى قرنين ونصف إلا قليلاً وهم من ذلك الوقت إلى الآن بدون إمام بشكل فعلي وواقعي مما ترتب على وضعهم هذا فقدانهم كل ما يزعمون من مبرر ضروري، أو مصلحة ضرورية من وجود إمام معصوم وهذا تناقض ظاهر، وقد اضطر الشيعة للخروج عن حصر الأئمة بمسألة نيابة المجتهد عن الإمام، واختلف قولهم في حدود النيابة، وفي هذا العصر اضطروا للخروج نهائياً عن هذا الأصل الذي هو قاعدة دينهم، فجعلوا رئاسة الدولة تتم عن طريق الانتخاب، ولكنهم خرجوا عن حصر العدد إلى حصر النوع فقصروا رئاسة الدولة على الفقيه الشيعي[3]، وهو فعلياً غير معصوم بالاتفاق ولا عنده نص يخوّله للإمامة وهم بهذا الأمر نسخوا فعلياً نظرية الإمامة التي شقوا بها صفوف الأمة، فأصبح الإنسان العادي حتى ولو كان من غير أهل البيت يستطيع أن يحكم ويقود بحجة أنه فقيه.

وقد فصّل الأستاذ أحمد الكاتب تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه، وتحدث عن أمير المؤمنين الحسن بن علي ﷺ والشورى، وبيّن بوضوح أن الحسن بن علي لم يعتمد في دعوة الناس لبيعته على ذكر أي نص حوله من الرسول ﷺ أو من أبيه أمير المؤمنين علي، وتحدث عن إيمان الحسن بن علي بنظام الشورى وحق الأمة في انتخاب

(1) نهج البلاغة، كتاب: إلى معاوية رقم: 6، ص 526.
(2) ثم أبصرت الحقيقة، ص 161.
(3) الحكومة الإسلامية للخميني، ص 248، أصول الشيعة (2/ 814).

إمامها، وقد تجلى هذا الإيمان مرة أخرى عند تنازله عن الخلافة إلى معاوية، واشتراطه عليه العودة إلى نظام الشورى بين المسلمين، ولو كانت الخلافة بالنص من الله والتعيين من الرسول، كما تقول النظرية الإمامية، لم يكن يجوز للإمام الحسن أن يتنازل عنها لأي أحد تحت أي ظرف من الظروف، ولم يكن يجوز له بعد ذلك أن يبايع معاوية أو أن يدعو أصحابه وشيعته لبيعته، ولم يكن يجوز له أن يهمل الإمام الحسين، ولأشار إلى ضرورة تعيينه من بعدِه ولكن الإمام الحسن لم يفعل أي شيء من ذلك، وسلك مسلكاً يوحي بالتزامه بحق المسلمين في انتخاب خليفتهم عبر نظام الشورى، وقد ظل الشهيد الحسين ﷺ ملتزماً ببيعة معاوية إلى آخر يوم من حياة الأخير، ورفض عرضاً من شيعة الكوفة بعد وفاة أمير المؤمنين الحسن بالثورة على معاوية، وذكر إن بينه وبين معاوية عهداً وعقداً لا يجوز له نقضه، ولم يدع إلى نفسه إلا بعد وفاة معاوية الذي عهد إلى ابنه يزيد بالخلافة بعده، حيث رفض الحسين البيعة له وأصرَّ على الخروج إلى العراق حيث استشهد في كربلاء عام 61هـ[1].

ثانياً: ما يحتج به الشيعة الاثنا عشرية في أمر تحديد عدد الأئمة بما جاء في كتب السنة:

عن جابر بن سمرة قال رسول الله ﷺ: «يكون اثنا عشر أميراً». فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنه قال: «كلهم في قريش»[2]. وفي مسلم عن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشرة خليفة». ثم قال كلمة لم أفهمها. فقلت لأبي: ما قال؟ فقال: «كلهم من قريش»[3]. وفي لفظ: «لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة»[4]، وفي لفظ آخر: «لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً»[5]، وعند أبي داود: «لا يزال هذا الدين قائماً حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلهم تجتمع عليهم الأمة»[6].

وأخرجه أبو داود أيضاً من طريق الأسود بن سعيد عن جابر بنحو ما مضى قال: وزاد: فلما رجع إلى منزله أتته قريش فقالوا: ثم يكون ماذا؟ قال: «الهرج»[7].

يتعلق الشيعة الاثنا عشرية بهذا النص ويحتجون به على أهل السنة، لا لإيمانهم بما جاء

---

(1) تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه، ص 17، 18.
(2) البخاري، كتاب: الأحكام، باب الاستخلاف (8/ 127).
(3) مسلم، كتاب: الإمارة، باب الناس (2/ 1453).
(4) مسلم، كتاب: الإمارة، باب الناس (2/ 1453).
(5) مسلم، كتاب: الإمارة، باب الناس (2/ 1453).
(6) سنن أبي داود، كتاب: المهدي (4/ 471).
(7) سنن أبي داود (4/ 472)، فتح الباري (13/ 211).

في كتب السنة[1]، ولكن للاحتجاج عليهم بما يسلمون به، وبالتأمل في النص بكل حيدة وموضوعية نجد أن هؤلاء الاثني عشر وصفوا بأنهم يتولون الخلافة، وأن الإسلام في عهدهم يكون في عزة ومنعة، وأن الناس تجتمع عليهم، ولا يزال أمر الناس ماضياً وصالحاً في عهدهم، وكل هذه الأوصاف لا تنطبق على من تدعي الاثنا عشرية فيهم الإمامة، فلم يتولَّ الخلافة منهم إلا أمير المؤمنين علي والحسن، كما لم يقم أمر الأمة في مدة أحد من هؤلاء الاثني عشر - في نظر الشيعة أنفسهم - بل ما زال أمر الأمة فاسداً. . ويتولى عليهم الظالمون بل الكافرون[2]، وأن الأئمة أنفسهم كان يسترون في أمور دينهم بالتقية[3]، وأن عهد أمير المؤمنين علي وهو على كرسي الخلافة عهد تقية، كما صرح بذلك شيخهم المفيد[4]، فلم يستطع أن يظهر القرآن، ولا أن يحكم بجملة من أحكام الإسلام، كما صرح بذلك شيخهم الجزائري[5]، واضطر إلى ممالأة الصحابة ومجاراتهم على حساب الدين، كما أقرَّ بذلك شيخهم المرتضى[6].

فالحديث في جانب، ومزاعم هؤلاء في جانب آخر، ثم إنه ليس في الحديث حصر للأئمة بهذا العدد، بل نبوءة منه، بأن الإسلام لا يزال عزيزاً في عصور هؤلاء، وكان عصر الخلفاء الراشدين وبني أمية عصر عزة ومنعة[7]، ولهذا قال ابن تيمية: إن الإسلام وشرائعه في بني أمية أظهر وأوسع مما كان بعدهم، ثم استشهد بحديث: «**لا يزال هذا الأمر عزيزاً إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش**». ثم قال: وهكذا كان، فكان الخلفاء أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، ثم تولى من اجتمع الناس عليه وصار له عز ومنعة، معاوية وابنه يزيد ثم عبد الملك وأولاده الأربعة وبينهم عمر بن عبد العزيز، وبعد ذلك حصل من النقص ما هو باق إلى الآن. ثم شرح ذلك[8].

ثم إنه قال في الحديث: «**كلهم من قريش**»[9]، وهذا يعني أنهم لا يختصون بعلي وأولاده: ولو كانوا مختصين بعلي وأولاده لذكر ما يميزون به، ألا ترى أنه لم يقل: كلهم من ولد إسماعيل ولا من العرب، فلو امتازوا بكونهم من بني هاشم، أو من قبيل علي لذكروا بذلك، فلما جعلهم من قريش مطلقاً علم أنهم من قريش، بل لا يختصون بقبيلة، بل بنو تيم وبنو عدي، وبنو عبد شمس، وبنو هاشم، فإن الخلفاء الراشدين كانوا من هذه القبائل[10]،

---

(1) أصول الشيعة الإمامية (2/ 815).
(2) منهاج السنّة (4/ 210) المنتقى، ص 533.
(3) أصول الشيعة الإمامية (2/ 816).
(4) المصدر السابق نفسه (2/ 816).
(5) المصدر السابق نفسه (2/ 816).
(6) المصدر السابق نفسه (2/ 816).
(7) المصدر السابق نفسه (2/ 816).
(8) منهاج السنة (4/ 206).
(9) مسلم (2/ 1453).
(10) منهاج السنة (4/ 211).

فإذن لم يبق من الأوصاف التي تنطبق على ما يريدون إلا مجرد العدد، والعدد لا يدل على شيء[1].

ثالثاً: مدة خلافة أمير المؤمنين الحسن ومعتقد أهل السنة في خلافته:

استمر أمير المؤمنين الحسن بن علي بعد بيعته خليفة على الحجاز واليمن والعراق وغير ذلك نحو سبعة أشهر، وقيل ثمانية أشهر، وقيل: ستة أشهر، وكانت خلافته هذه المدة خلافة راشدة حقة لأن تلك المدة كانت تتمة لمدة الخلافة الراشدة التي أخبر النبيﷺ أن مدتها ثلاثون سنة ثم تصير ملكاً[2]، فقد روى الترمذي بإسناده إلى مولى رسول اللهﷺ قال: قال رسول اللهﷺ: «**الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك**»[3]، وقد علق ابن كثير على هذا الحديث فقال: وإنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي، فإنه نزل عن الخلافة لمعاوية في ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين، وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول اللهﷺ فإنه توفي في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وهذا من دلائل النبوة صلوات الله وسلامه عليه وسلم تسليماً[4]، وبذلك يكون الحسن بن علي رضي الله عنهما خامس الخلفاء الراشدين[5] وعند الإمام أحمد من حديث سفينة أيضاً بلفظ: «**الخلافة ثلاثون عاماً ثم يكون بعد ذلك الملك**»[6]. وعند أبي داود بلفظ: «**خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي الله الملك من يشاء، أو: ملكه من يشاء**»[7]، ولم يكن في الثلاثين بعدهﷺ إلا الخلفاء الأربعة وأيام الحسن، وقد قرر جمع من أهل العلم عند شرحهم لقولهﷺ: «**الخلافة في أمتي ثلاثون سنة**». أن الأشهر التي تولى فيها الحسن بن علي بعد موت أبيه كانت داخلة في خلافة النبوة ومكملة لها فقد قال كل من:

1 - أبو بكر بن العربي رحمه الله: فنفذ الوعد الصادق في قولهﷺ: «**الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم تعود ملكاً**». فكانت لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وللحسن منها ثمانية أشهر لا تزيد ولا تنقص يوماً، فسبحان المحيط لا رب غيره[8].

---

(1) أصول الشيعة (2/ 818).
(2) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة (2/ 743).
(3) سنن الترمذي مع شرحها تحفة الأحوذي (6/ 395 - 397) حديث حسن.
(4) البداية والنهاية (11/ 134).
(5) مآثر الإنافة (1/ 105)، مرويات خلافة معاوية، خالد الغيث، ص 155.
(6) فضائل الصحابة (2/ 744) إسناده حسن.
(7) صحيح سنن أبي داود (3/ 879)، سنن أبي داود (2/ 515).
(8) أحكام القرآن لابن العربي (4/ 1720).

2 - **وقال القاضي عياض**: ﷺ لم يكن في ثلاثين سنة إلا الخلفاء الراشدون الأربعة، والأشهر التي بويع فيها الحسن بن علي. . والمراد في حديث: «**الخلافة ثلاثون سنة**» خلافة النبوة، فقد جاء مفسراً في بعض الروايات: «**خلافة النبوة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً**»[1].

3 - **وقال الحافظ ابن كثير** ﷺ: والدليل على أنه أحد الخلفاء الراشدين الحديث الذي أوردناه في دلائل النبوة[2] من طريق سفينة مولى رسول الله ﷺ قال: «**الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً**»، وإنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي[3].

4 - **وقال شارح الطحاوية**: وكانت خلافة أبي بكر الصديق سنتين وثلاثة أشهر، وخلافة عمر عشر سنين ونصفاً، وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة، وخلافة علي أربع سنين وتسعة أشهر، وخلافة الحسن ستة أشهر[4].

5 - **وقال المناوي**: بعد ذكره لقوله ﷺ: «**ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»[5]، قال: وكان ذلك فلما بويع له بعد أبيه وصار هو الإمام الحق مدة ستة أشهر تكملة للثلاثين سنة التي أخبر المصطفى ﷺ أنها مدة الخلافة وبعدها يكون ملكاً[6].

6 - **وقال ابن حجر الهيثمي**: هو آخر الخلفاء الراشدين بنصّ جَدِّه ﷺ، ولي الخلافة بعد قتل أبيه بمبايعة أهل الكوفة، فأقام بها ستة أشهر وأياماً، خليفة حق وإمام عدل وصدق، تحقيقاً لما أخبر به جده الصادق المصدوق بقوله: «**الخلافة بعدي ثلاثون سنة**»[7]، فإن تلك الستة الأشهر هي المكملة لتلك الثلاثين، فكانت خلافته منصوصاً عليها وقام عليها إجماع من ذكر، فلا مرية في حَقِّيتها[8].

إن أهل السنة والجماعة يعتقدون أن خلافة الحسن بن علي كانت خلافة حقة، وأنها جزء مكمل لخلافة النبوة التي أخبر النبي ﷺ أن مدتها ستكون ثلاثين سنة[9].

---

(1) شرح النووي على صحيح مسلم (12/ 201).
(2) البداية والنهاية (11/ 134).
(3) المصدر السابق نفسه (11/ 134).
(4) شرح الطحاوية، ص 545.
(5) البخاري (7/ 94).
(6) فيض القدير (2/ 409).
(7) الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة (2/ 397).
(8) المصدر السابق نفسه (2/ 397).
(9) عقيدة أهل السنة في الصحابة (2/ 748).

رابعاً: خطب لا تصح للحسن بعد مقتل والده:

ونورد هذا المبحث لمعرفة الباطل والتحذير منه كما قال الشاعر:

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه

وقد اخترع الشيعة الإمامية الكثير من الخطب ونسبوها كذباً وبهتاناً للحسن بن علي رضي الله عنهما وإليك نماذج من ذلك منها:

.. أيها الناس: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني، فأنا الحسن بن علي. أنا البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى الله عز وجل بإذنه وأنا ابن السراج المنير، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، والذين افترض الله مودتهم في كتابه إذ يقول: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ [الشورى: 23]. فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت[1].

ونسجوا خطبة لأبي الأسود الدؤلي إلى أن قالوا:

.. ثم بكى حتى اختلفت أضلاعه ثم قال: وقد أوصى بالإمامة بعده إلى ابن رسول الله ﷺ وابنه وسليله وشبيهه في خلقه وهديه، وإني لأرجو أن يجبر الله به ما وهي، ويسد به ما انثلم، ويجمع به الشمل، ويطفئ به نيران الفتنة فبايعوه ترشدوا، فبايعت الشيعة كلها وتخلف ناس ممن كان يرى رأي العثمانية وهربوا إلى معاوية[2].

وذكروا رسائل مطولة من الحسن إلى معاوية يدعوه لبيعته ويدلي بحجته وأحقيته، وهي لا تثبت من حيث السند والمتن وإنما ذكرت في كتب الشيعة الرافضة العارية من الأسانيد الصحيحة، المتعارضة مع ما ثبت عن الحسن بن علي في خلافته[3]، ويكفي أن تلك المراجع تحدث فيها علماء أهل السنة، وبينوا زيفها وبطلانها وأنها ليست بحجة في مجال الاعتقاد والأحكام والعلاقة بين الصحابة الكرام، ويكفي أن النصوص السالفة الذكر من كتاب مقاتل الطالبيين، والأغاني للأصفهاني، ومن كتاب نهج البلاغة، وقد تحدث العلماء عن الأصفهاني وكتابه وكذلك «نهج البلاغة» فقالوا:

1 - الأصفهاني صاحب كتاب الأغاني:

يعتبر كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني كتاب أدب وسمر وغناء ومجون، وليس كتاب

(1) مقاتل الطالبيين، لأبي الفرج الأصفهاني، ص 51 - 52.
(2) الأغاني لأبي فرج الأصفهاني (1/ 121).
(3) الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي، محمد ماهر حمادة، ص 90 إلى 95.

علم وتاريخ وفقه، وله طنين ورنين في آذان أهل الأدب والتاريخ، ولقد تحدث العلماء فيه قديماً فقالوا:

* قال **الخطيب البغدادي**: كان أبو الفرج الأصفهاني أكذب الناس، كان يشتري شيئاً كثيراً من الصحف، ثم تكون كل رواياته منها.

* قال **ابن الجوزي**: . . . ومثله لا يوثق بروايته، يصح فيه كتبه بما يوجب عليه الفسق، ويهوّن شرب الخمر، وربما حكى ذلك عن نفسه، ومن تأمّل كتاب الأغاني، رأى كل قبيح ومنكر[1].

* قال **الذهبي**: رأيت شيخنا تقيّ الدين ابن تيمية يضعّفه ويتهمه في نقله، ويستهول ما يأتي به[2].

وقد تحدث عنه بعض المعاصرين فقالوا:

* قال **الأستاذ شوقي أبو خليل** مقوماً مصادر فيليب حتّي في كتابه (تاريخ العرب المطوّل) ما نصه: واعتمد حتى على كتاب الأغاني للأصفهاني، وهو ليس كتاب تاريخ يعتمد أيضاً، إنّه كتاب أدب، وهذا لا يعني مطلقاً أن كل كتاب أدب لا يؤخذ به، بل يعتمد إن كان صاحبه ثقة، معروفاً عنه الأمانة في النقل والرّواية. إن كتاب الأغاني الذي جعله حتّي مرجعاً تاريخياً معتمداً، صاحبه متّهم في أمانته الأدبيّة والتاريخية، جاء في ميزان الاعتدال في نقد الرّجال: أن الأصفهاني في كتابه الأغاني كان يأتي بالأعاجيب بـ«حدثنا وأخبرنا». ومن يقرأ الأغاني يرى حياة العباسيين لهواً ومجوناً وغناء وشراباً.. وهذا يناسب المؤلّف وخياله وحياته، ومن يرجع إلى كتب التاريخ الصحيحة يجد صورة أخرى فيها علم وجهاد وأدب، فكتاب الأغاني ليس كتاب تاريخ يحتج به[3].

* وقال **أبو عبيدة مشهور بن حسن آل مشهور**: . . لا بد من ذكر أمر هام تفطن إليه بعض الباحثين وهو: أن أهواء وميول أبي فرج الشيعية لها دور بارز ظهر فيما دوّنه في كتابه هذا، قال الدكتور محمد أحمد خلف الله في خاتمة كتابه (أبو الفرج الأصفهاني) ما نصه: ولقد وقفنا على ما لأبي فرج من ميول وأهواء، فيجب أن نحذر هذه الميول وهذه الأهواء كلما حاولنا الاعتماد على ما خلّف الرجل من مرويّات، فقد يكون الرجل مضللاً، وقد يكون صاحب

(1) المنتظم (7/ 40، 41).
(2) ميزان الاعتدال (3/ 123).
(3) موضوعية فيليب حتّي في كتابه تاريخ العرب المطول، ص 187.

غرض وهوى، وليس يخفى أنَّ للأهواء حكمها في التاريخ، وهو حكم قد يملي رغبته لا في ذكر الأخبار فحسب وإنما أيضاً في الكتمان[1].

وأخيراً لماذا هذا التحذير؟ وقد يتساءل البعض: لماذا هذا التفصيل في التحذير من هذا الكتاب؟ والجواب: كان هذا التحذير لأسباب كثيرة هي:

أ - لشهرة هذا الكتاب وصيته الذائع.

ب - لاعتماد كثير من أهل التغريب عليه.

جـ - لما حواه من أخبار فيها قدح في الإسلام والصحابة والخلفاء والولاة الصالحين العادلين.

د - لحرص غير واحد من المعاصرين على إظهار ما فيه على أنه حق وصدق، وقد كتب في ذلك وحرص عليه شفيق جبري في كتاب (دراسة الأغاني) الذي وضعه بتشجيع من طه حسين والخلاصة أن هذا الكتاب على الرغم من قيمته الأدبية وأسلوبه القوي الأخَّاذ، إلا أن أخباره ومادته تحتاج إلى وقفات ونقدات[2].

*** قال الأستاذ وليد الأعظمي في كتابه السيف اليماني في نحر الأصفهاني في مقدمة كتابه بعد كلام:**

من هنا بدأت أنظر إلى كتاب الأغاني نظرة جديدة، ورجعت إلى كتب التضعيف، والتوثيق والجرح والتعديل، فوجدت الأصفهانيَّ رجلاً غير مأمون، ولا يوثق به عند علمائنا الأجلَّاء المدقِّقين الممحِّصين، وسلخت من عمري سنتين كاملتين متفرغاً لكتاب الأغاني أتملَّى نصوصه، وأقواله، وأقف عند كل خبر من أخباره، حتى فلَّيت سطوره وكلماته، واستخرجت قَمْلَه من بين شعراته، واصطبرت عليه اصطبار المجاهدين المرابطين على الثغور، فرأيت نيران الشعوبية والحقد وهي تغلي في الصدور كغلي القدور، وشعرت بنبال الأعداء تتوجَّه إلينا، وسهامهم تنثال علينا، ورددت قول الشاعر:

لو كان سهماً واحداً لاتَّقَيْتُهُ ولكنه سهم وثانٍ وثالث

فشمرت عن ساعد الجد لأميز الهزل من الجدّ والسمَّ من الشهد، . . ورحت أفحص رجال السند الذين روى عنهم الأصفهاني، وبحثت عنهم في كتب نقد الرجال، وقرأت ما جاء فيهم من أقوال، فوجدت فيهم كل داهية دهياء، وبلية سوداء عمياء، من الكذابين

(1) أبو الفرج الأصفهاني، ص 235، كتب حذر منها العلماء (2/ 30).

(2) كتب حذر منها العلماء (2/ 30، 31).

والمجروحين والمطعون عليهم، فعزلت أولئك الكذابين وعرّفت بهم، ثم رحت أحصي روايات الأصفهاني عن كل واحد من هؤلاء، وهالني ما رأيت من الاعتماد على أولئك الكذابين والرواية عنهم، والاستقاء من دلائهم، والاستضاءة بنارهم، ورأيت نفسي في وادٍ سحيق رهيب، ودخلت في كهف مظلم كئيب وإذا كان أولئك الرواة يكذبون في رواية الحديث النبوي الشريف، فكيف بهم في أخبار الناس وقد توزَّعوا إلى مذاهب وفرق وطوائف، تتجاذبهم الأهواء والمشارب والمنافع، وتتقاذف بهم المقاصد والأهداف؟

وإذا كان الأغاني كتاب أدب وسمر وغناء وليس كتاب علم وتاريخ وفقه، فليس معنى ذلك أن نسكت عمّا ورد فيه من الدس والكذب الفاضح والطعن والمعايب، وقد جمع فيه الأصفهاني كثيراً من أخبار السيرة والتفسير والفقه والأدب. إلى أن قال.. : واحتوى الفصل الثاني أخباراً وحكايات أوردها الأصفهاني عن آل البيت النبويِّ الشريف، وهي أخبار تسيء إليهم، وتجرح سيرتهم، وتشوِّه سلوكهم، وتوهِّن أمرهم بما يوافق هوى آل بويه الذين يزعمون الولاء لآل البيت كذباً وزوراً، وقد ناقشت تلك الأخبار وعلَّقت على كل حكاية بما يناسبها.. وجعلت الفصل الرابع للأخبار والحكايات المتفرقة التي طعن فيها الأصفهاني بالعقائد الإسلامية، ولعْن دين الإسلام وتفضيل الجاهلية على الإسلام، مع الكفر البواح والاستخفاف بالصلاة والحج ويوم القيامة، مع دفاع عن البرامكة وإشادة بالفرس، وطعون مختلفة بأعلام العرب والمسلمين، وناقشت كل تلك الأخبار، وعلَّقت عليها بما يناسب أيضاً[1].

إلى أن قال في الخاتمة: بعد هذه الجولة الواسعة في كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني، والوقوف عند أخباره ومناقشتها والتعليق عليها، أرجو أن يكون القارئ الكريم قد تبيَّن مقاصد هذا الشعوبي الحاقد اللئيم، وقد غضضت وصرفت القلم عن أخبار فظيعة وحكايات شنيعة لا يكتبها أشدُّ الناس عداوة وبغضاً للعرب والمسلمين، فقد اتّهم كثيراً من أعلامهم باللواطة، وكريم نسائهم بالسحاق، وألصق بهم السخائم من ذميم الخصال وقبيح الفعال، متستراً بظلال الأدب والسمر والمذاكرة والمؤانسة، كأن ذلك لا يحصل إلا بشتم سلف هذه الأمة المجيدة في تاريخها وخُلُقها[2].

* **وقال أنور الجندي**: ركز التغريب والغزو الثقافي على كتابي (الأغاني) و(ألف ليلة وليلة) تركيزاً شديداً بهدف رفعهما إلى مرتبة المراجع الأساسية التي يعتمد عليها في تصوير المجتمع الإسلامي، مع تجاهل عيوب الكتابين التي تحول دون اعتمادها في المصادر الموثوق بها: أما الأول: فكاتبه شعوبي عدو للإسلام، وأما الثاني فهو كتاب لقيط ليس مؤلف.

(1) السيف اليماني، ص 10 - 13.
(2) المصدر السابق نفسه، ص 264.

أما كتاب الأغاني: فهو موسوعة في بضع وعشرين مجلداً، وضعها أبو فرج الأصفهاني ليسامر بها الأمراء والفارغين من المترفين في أسمار الليل، ولم يقصد بها إلى العلم أو التاريخ، وكان الأصفهاني في نفسه إنساناً رافضاً لمجتمع المسلمين والعرب، وله ولاء بالمولد والفكر جميعاً إلى خصوم المسلمين والباطنية والرافضة وغيرهم، ولم يكن عمله هذا إلا نوعاً من الحرب العنيفة التي شنتها الشعوبية على الإسلام والمسلمين، رغبة في هدم فكرهم كوسيلة إلى هدم مجتمعهم، وقد حرص التغريب وأصحاب نظرية النقد الأدبي الغربي الوافدة على إلقاء الأضواء الساطعة على هذا الكتاب وإحيائه، واعتباره مرجعاً في الدراسات الأدبية ومصدراً لتصوير المجتمع الإسلامي، وكان الدكتور طه حسين جزاه الله بما هو أهله من أبرز من دعوا إلى ذلك وألحوا عليه، فقد عمد إلى الأغاني نفسها، فأصدر اعتماداً على قصصها أحكاماً زائفة على مجتمع المسلمين وتاريخهم أراد بها المساهمة في عملية التغريب الضخمة والتي كانت تجري في الثلاثينيات من هذا القرن[1].

وقال: على أن أقل مواجهة لسيرة الأصفهاني تكشف عن أنه كان من الشعوبيين، وقد عرف بالتحايل والإغراق، وأثبت كثير من الباحثين والمؤرخين أنه لم يكن مؤرخاً وأكدوا أن كتابه لا يصلح لأن يكون مادة تاريخ، وإنما هو جماع لقصص وجدها في الكتب والأسواق وأراد بها أن يسجل للأغاني والمغنين، وهو جانب واحد في حياة المجتمع الإسلامي الحافل بالجوانب السياسية والاجتماعية والفقهية والصوفية، وقد شهد عليه الكثير من معاصريه ومؤرخيه بالانحراف، ودمغه المؤرخ اليوسفي بشهادة هي في نظر العلماء كمصدر موثوق به، إذ قال: إن أبي الفرج أكذب الناس، لأنه كان يدخل سوق الوراقين وهي عدة من الدكاكين مملوءة بالكتب، فيشتري منها شيئاً كثيراً في الصحف ويحملها إلى بيته، ثم تكون رواياته كلها منها[2]، وذكر عنه صاحب معجم الأدباء قوله: كان شأنه في معاقرة الخمر، وحب الغلمان، ووصف النساء شأن الشعراء والأدباء الذين كانوا في عصره أو قبله، حيث يقدم دهاقين الخمارين، وجلهم من النصارى واليهود والصابئين والمجوس، وقد عرف بمعاقرته للخمر ولم تكن له عناية بتنظيف جسمه وثيابه[3]..

ثم قال أنور الجندي: ولست أدري كيف يصلح مثل هذا الكتاب مرجعاً في نظر الباحثين أو يمكن أن يؤتمن على رأي أو قول، ولقد عودتنا مناهج الفكر الإسلامي أن تنظر إلى كاتبه،

(1) مؤلفات في الميزان، ص 100، كتب حذر العلماء منها (2/ 38).
(2) كتب حذر العلماء منها (2/ 38).
(3) معجم الأدباء (5/ 153).

فإن وجدناه كريماً أميناً موضع تقدير الناس بالصدق والحق، قبلنا منه، وإلا رفضنا ما يقدمه ولو كان صادقاً في بعضه[1].

ثم قال تحت عنوان (كتاب مجون وخلاعة) ما نصه: فقد كان الأصفهاني مسرفاً، أشنع في الإسراف في الملذات والشهوات، وقد كان لهذا الجانب في تكوينه الخلقي أثر ظاهر في كتابه، فإن كتاب الأغاني أحفل كتاب بأخبار الخلاعة والمجون، وهو حين يعرض للكتاب والشعراء يهتم بسرد الجوانب الضعيفة في أخلاقهم الشخصية ويهمل الجوانب الجدية إهمالاً ظاهراً يدل على أنه كان قليل العناية بتدوين أخبار الجد والرزانة والتجمل والاغتسال، وهذه الناحية من الأصفهاني أفسدت كثيراً من آراء المؤلفين الذين اعتمدوا عليه، ونظرة فيما كتبه جرجي زيدان في كتابه: تاريخ آداب اللغة العربية، وما كتبه طه حسين في «حديث الأربعاء» تكفي للاقتناع بأن الاعتماد على كتاب الأغاني جر هذين الباحثين إلى الحط من أخلاق الجماهير في عصر الدولة العباسية، وحملها على الحكم بأن ذلك العصر كان عصر فسق وشك ومجون ولا شك أن إكثار الأصفهاني من تتبع سقطات الشعراء وتلمس هفوات الكتاب جعل في كتابه جوّاً مشبعاً بأوزار الإثم، والغواية، وأذاع في الناس فكرة خاطئة هي اقتران العبقرية بالترف والطيش[2].

إن الخطر كل الخطر أن يطمئن الباحثون إلى أن لروايات الأغاني قيمة تاريخية، وأن يبنوا على أساسها ما يثيرون من حقائق التاريخ، ولقد كان من أخطر أعمال التغريب هو توجيه الباحثين إلى اتخاذ الأغاني مصدراً لدراسة المجتمع الإسلامي، بينما قصر عند جانب واحد هو جانب اللهو، ولم يتعرض للجوانب الأخرى الجادة في المجتمع وهي متعددة، ومن هنا يوحي حين الاعتماد عليه كمصدر أن الحياة الإسلامية في القرن الثاني الهجري كانت لهواً، وهو ما صرح به طه حسين ورده الكثيرون وكشفوا زيفه..

كذلك اعتمد المستشرق لامنس على كتاب الأغاني في كتابه (تاريخ بني أمية)، وكذلك ما أورده المستشرق فلهوزن في كتابه «الدولة العربية وسقوطها» ويحاول جبور عبد النور أن يدافع عن الأصفهاني فيسأل: أفمن الضروري إن كان المؤرخ فاسقاً أو مسرفاً يتتبع الإسراف في اللذات والشهوات أن لا يكون مؤرخاً، وألا يكون صادقاً فيما يروي أو يقول أو يكتب؟ ونحن نقول له: نعم، في فكرنا الإسلامي، فإن لم يكن في الفكر الغربي كذلك، فهذا أمر آخر، إن فكرنا الإسلامي وضع قواعد البحث والنقد والعلم على أساس الارتباط الجذري بين

(1) مؤلفات في الميزان، ص 100 إلى 103.

(2) المصدر السابق نفسه، ص 100 إلى 103، نقلاً عن كتب حذر العلماء منها (2/ 40).

علم الباحث وشخصيته، فإن كان منحرفاً في حياته، مضطرباً في شخصيته، بعيداً عن الأخلاق والدين، فنحن نرفضه مصدراً علمياً ولا نقبل له شهادة، والأصفهاني بشهادة الجميع من أنصاره وخصومه على السواء مهدور الرأي ساقط الشهادة، وإن فسقه الشخصي قد أدخل كثيراً من هواه على ما أورده، فضلاً عن انحرافه الفكري والعقائدي والاجتماعي مما يفسد آراءه إفساداً، بالإضافة إلى أن كتاب الأغاني ليس مرجعاً علمياً، ولكنه من كتب التسلية والسمر التي كتبت لتزجية فراغ بعض المترفين، ومن هنا فإنه لا يصلح أساساً كمصدر للعلم أو مرجعاً للبحث في الأدب والتاريخ[1]. ولقد كان لهذا الكتاب أثر كبير في تشويه تاريخنا ولذلك وجب التحذير منه.

2 - نهج البلاغة:

من الكتب التي ساهمت في تشويه تاريخ الصحابة بالباطل كتاب: نهج البلاغة، فهذا الكتاب مطعون في سنده ومتنه، فقد جمع بعد أمير المؤمنين بثلاثة قرون ونصف بلا سند، وقد نسبت الشيعة الإماميَّة تأليف نهج البلاغة إلى الشريف الرضي؛ وهو غير مقبول عند المحدثين لو أسند، خصوصاً فيما يوافق بدعته؛ فكيف إذا لم يسند كما فعل في النهج؟ وأما المتهم - عند المحدثين - بوضع النهج فهو أخوه علي[2]، فقد تحدث العلماء فيه فقالوا:

* **قال ابن خلكان في ترجمة الشريف المرتضى:** وقد اختلف الناس في كتاب نهج البلاغة المجموع من كلام الإمام علي بن أبي طالب ﷺ هل جمعه؟ أم جمع أخيه الرضي؟ وقد قيل: إنه ليس من كلام علي، وإنما الذي جمعه ونسبه إليه هو الذي وضعه[3]. والله أعلم.

* **وقال الذهبي في ترجمة المُرتضى أبي طالب علي بن حسين بي موسى الموسوي المتوفى سنه 436 هـ:** هو جامع كتاب نهج البلاغة المنسوبة ألفاظه إلى الإمام علي ﷺ، ولا أسانيد لذلك، وبعضها باطل، وفيه حق، لكن فيه موضوعات حاشا الإمام من النطق بها، ولكن أين المنصف؟! وقيل: بل جَمْعُ أخيه الشريف الرَّضي[4]. وقال أيضاً: وفي تواليفه سبُّ أصحاب رسول الله ﷺ، فنعوذ بالله من علم لا ينفع[5]. وقال أيضاً في ترجمته: وهو المتهم بوضع كتاب نهج البلاغة، وله مشاركة قويّة في العلوم، ومن طالع كتابه نهج البلاغة، جزم بأنه

(1) مؤلفات في الميزان، ص 100 إلى 103.
(2) الأدب الإسلامي، نايف معروف، ص 53.
(3) الوفيات (3/ 134).
(4) كتب حذر منها العلماء (2/ 250)؛ الميزان (1/ 200).
(5) سير أعلام النبلاء (17/ 589، 590).

مكذوب على أمير المؤمنين عليّ ﷺ، ففيه السّبُّ الصّراح والحط على السيدين أبي بكر وعمر ﷺ، وفيه من التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التي من له معرفة بنفس القرشيين الصحابة، وبنفس غيرهم ممّن بعدهم من المتأخرين، جزم بأن الكتاب أكثره باطل[1].

* **وقال ابن تيمية:** . . وأيضاً، فأكثر الخطب التي ينقلها صاحب نهج البلاغة، بذلك الكلام ولكن هؤلاء وضعوا أكاذيب وظنوا أنها مدح، فلا هي صدق ولا هي مدح، ومن قال: إن كلام علي وغيره من البشر فوق كلام المخلوق، فقد أخطأ، وكلام النبي ﷺ فوق كلامه، وكلاهما مخلوق. . وأيضاً فالمعاني الصحيحة التي توجد في كلام عليّ موجودة في كلام غيره، لكن صاحب نهج البلاغة وأمثاله أخذوا كثيراً من كلام الناس فجعلوه من كلام علي، ومنه ما يُحكى عن عليّ أنه تكلّم به، ومنه ما هو كلام حقٌّ يليق له أن يتكلم به، ولكن هو في نفس الأمر من كلام غيره، ولهذا، يوجد في كلام «البيان والتبيين» للجاحظ وغيره من الكتب كلام منقول عن غير عليّ، وصاحب «نهج البلاغة» يجعله عن علي، وهذه الخطب منقولة في كتاب نهج البلاغة لو كانت كلها عن علي من كلامه، لكانت موجودة قبل هذا المصنَّف، منقولة عن عليّ بالأسانيد وبغيرها، فإذا عَرف من له خبرة بالمنقولات أن كثيراً منها «بل أكثرها» لا يُعرف قبل هذا عُلم أن هذا كذب، وإلا فليبيِّن الناقل لها في أي كتاب ذكر ذلك، ومن الذي نقله عن عليّ، وما إسناده؟ وإلا فالدعوة المجردة لا يعجز عنها أحد، ومن كان له خبرة بمعرفة طريقة أهل الحديث ومعرفة الآثار والمنقول بالأسانيد وتبيّن صدقها من كذبها، عَلِم أن هؤلاء الذي ينقلون مثل هذا عن عليّ من أبعد الناس عن المنقولات، والتمييز بين صدقها وكذبها[2].

* **وقال العلامة المقبلي:** أخرج البخاري عن علي ﷺ أنه قال: اقضوا كما كنتم تقضون، فإني أكره الخلاف حتى يكون الناس جماعة أو أموت كما مات أصحابي. قال: وكان ابن سيرين يرى عامة ما يروون عن علي ﷺ كذباً، وصدق ابن سيرين رحمه الله، فإن كل قلب سليم، وعقل غير زائغ عن الطريق القويم، ولُبٌّ تدرب في مقاصد سالكي الصراط المستقيم، يشهد بكذب كثير مما في نهج البلاغة الذي صار عند الشيعة عديل كتاب الله بمجرد الهوى الذي أصاب كل عرق منهم ومفصل، وليتهم سلكوا مسلك جلاميد الناس، وأوصلوا ذلك إلى علي برواية تسوغ عند الناس، وجادلوا عن رواتها، ولكن، لم يبلغوا بها مصنفها[3].

(1) ميزان الاعتدال (3/ 124)؛ لسان الميزان (4/ 223).
(2) منهاج السنة (8/ 55 - 56)؛ كتب حذر العلماء منها (2/ 256).
(3) العلم الشامخ، ص 237، كتب حذر العلماء منها (2/ 251).

ويمكن تلخيص أهم ما لاحظه القدامى والمحدثون على نهج البلاغة للتشكيك بصحة نسبته للإمام علي بما يلي:

- خلوُّه من الأسانيد التوثيقية التي تعزز نسبة الكلام إلى صاحبه متناً ورواية وسنداً.

- كثرة الخطب وطولها، لأن هذه الكثرة وهذا التطويل ممّا يتعذر حفظه وضبطه قبل عصر التدوين.

- رصد العديد من الأقوال والخطب في مصادر وثيقة منسوبة لغير علي ﷺ، وصاحب النهج يثبتها له.

- اشتمال هذا الكتاب على أقوال تتناول الخلفاء الراشدين قبله بما لا يليق به ولا بهما، وتنافي ما عُرف عنه من توقيره لهما بالأسانيد الصحيحة، ومن أمثلة ذلك ما جاء بخطبته المعروفة بـ «الشقشقية» التي يظهر فيها حرصه الشديد على الخلافة، رغم ما شُهر عنه من التقشّف والزهد.

- شيوع السجع فيه، إذ رأى عدد من الأدباء أن هذه الكثرة لا تتّفق مع البعد عن التكلّف الذي عُرف به عصر الإمام علي ﷺ، مع أن السجع العفوي الجميل لم يكن بعيداً عن روحه ومبناه.

- الكلام المنمَّق الذي تظهر فيه الصناعة الأدبية التي هي من وَشي العصر العباسي وزخرُفه، ما نجد في وصف الطاووس والخفّاش، والنحل والنمل، والزرع والسحاب وأمثالها.

- الصيغ الفلسفية والمقالات الكلامية التي وردت في ثناياه، والتي لم تُعرف عند المسلمين إلا في القرن الثالث الهجري، حين ترجمت الكتب اليونانية والفارسية والهندية، وهي أشبه ما تكون بكلام المناطقة والمتكلمين منه بكلام الصحابة والراشدين[1].

إن هذا الكتاب يجب الحذر منه في الحديث عن الصحابة، ومن أراد الاستفادة منه فعليه أن يعرض المسائل العقائدية وحديثه عن الصحابة والأحكام التي فيه على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ؛ فما وافق الكتاب والسنة، فلا مانع من الاستئناس به، وما خالف فلا يلتفت إليه.

لقد نقل صاحب كتاب الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي خطباً ورسائل وحوارات للحسن بن علي بن أبي طالب مع معاوية ﷺ والمتعلقة بخلافته وعهده أكثرها لا

(1) الأدب الإسلامي، ص 54، 55.

يصح[1]، واعتمد على مصادر ضعيفة واهية، كالأغاني ونهج البلاغة وغيرها من الكتب التي لا يمكن لطالب علم يحترم الحقيقة العلمية والموضوعية والحيادية أن يعتمد عليها في البحث التاريخي الجاد الذي يراد به وجه الله تعالى.

المبحث الثاني
أهم صفاته وحياته في المجتمع

أولاً - أهم صفاته:

إن شخصية الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ تعتبر شخصية قيادية، وقد اتصف ﷺ بصفات القائد الرّباني، فمن أهم هذه الصّفات: إيمانه العظيم بالله واليوم الآخر، والعلم الشرعيُّ، والثقة بالله، والقدوة، والصِّدق، والكفاءة، والشَّجاعة، والمروءة، والزُّهد، وحب التضحية، والتّواضع، وقبول النصيحة، والحلم والصَّبر، وعلو الهمَّة، والحزم، والإرادة القويَّة، والعدل، والقدرة على حلِّ المشكلات، وغير ذلك من الصِّفات، وبسبب ما أودع الله فيه من صفات القيادة الربانية استطاع أن يقدم مشروعه الإصلاحي مع قدرته على التنفيذ والتغلب على العوائق في الطريق، وتوّجت جهوده الفذة بوحدة الأمة. ومن أهم تلك الصِّفات التّي نحاول تسليط الأضواء عليها هي:

1 - علمه:

تربى الحسن في بيت النبوة، فتأثر بجده ﷺ ووالدته السيدة فاطمة في طفولته، واستفاد من والده العلم الغزير، فقد اهتم به اهتماماً كبيراً، وكان أمير المؤمنين علي ﷺ يعلم الناس كتاب الله ومن بينهم أبناؤه، ومنهم أمير المؤمنين الحسن والحسين، فتعلموا منه منهجه لبيان الحكم الشرعي وطريقته في الاستنباط، والتي كانت ملامحها: الالتزام بظاهر القرآن الكريم، حمل المطلق على المقيد، وحمل المجمل على المفسر، والعلم بالناسخ والمنسوخ، والنظر في لغة العرب، وفهم النص بنص آخر، والسؤال عن مشكله، والعلم بمناسبة الآيات، وتخصيص العام، ومعرفة عادات العرب وأحوالهم، وقوة الفهم وسعة الإدراك، وكان القرآن الكريم لذلك الجيل ومنهم الحسن بن علي هو المنهج التربوي، ومع هدي النبي ﷺ فكانت للآيات القرآنية الكريمة التي سمعها من والده أمير المؤمنين علي أثرها في علمه وصياغة شخصيته، فقد تطهر قلبه وزكت نفسه، وتفاعلت معه روحه، فأبصر الحقائق الكبرى في عالم الوجود.

---

(1) الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي، ص 76 إلى 100.

وكان من شيوخه الذين حفظ عليهم القرآن الكريم: عبد الله بن حبيب بن ربيعة أبو عبد الرحمٰن السُّلمي، مقرئ الكوفة وكان لأبيه صحبة: روى عن علي ﷺ وعبد الله بن مسعود وعثمان بن عفان، وقد أخذ القراءة عنه عاصم وعطاء والحسن والحسين ﷺ وكان يقرئ عشرين آية بالغداة وعشرين آية بالعشي، وكان فقيهاً، وتوفي في الكوفة في خلافة عبد الملك بن مروان، وكان ثقة كثير الحديث[1]، وعن عبد الله بن المبارك عن عطاء بن السائب قال: دخلنا على أبي عبد الرحمٰن السُّلمي وهو يقضي - أي: ينزع - في المسجد، فقلنا له: لو تحولت إلى الفرش فإنه أوثر[2]. قال: حدثني فلان أن النبي ﷺ قال: «**لا يزال أحدكم في صلاة ما دام في مصلاّه ينتظر الصلاة**»[3]، وفي رواية ابن سعد: «**الملائكة تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه**». قال أبو عبد الرحمٰن السُّلمي: فأريد أن أموت وأنا في مسجدي[4]، وكان منهجه ﷺ في تعليم القرآن الكريم منهج الصحابة الكرام، فعن أبي عبد الرحمٰن السُّلمي قال: حدّثنا الذين كانوا يقرؤوننا القرآن - كعثمان بن عفّان، وعبد الله بن مسعود، وغيرهما: أنّهم كانوا إذا تعلّموا من النبي ﷺ عشر آيات، لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم، والعمل، قالوا: فتعلّمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً، ولهذا كانوا يبقون مدّة في حفظ السُّورة[5]، ويعتبر أبو عبد الرحمٰن السُّلمي شيخ الحسن بن علي في القرآن الكريم من أشهر تلاميذ عثمان بن عفان ﷺ [6]، وقد سار الحسن بن علي على الطريقة نفسها في حفظ وفهم القرآن الكريم والعمل به.

*** نظرة أمير المؤمنين الحسن لله والكون والحياة والجنة والنار:**

قد عرف الحسن من خلال القرآن الكريم وتربية والده أمير المؤمنين علي من هو الإله الذي يجب أن يعبده، فأصبحت نظرة الحسن بن علي إلى الله ﷻ والكون، والحياة، والجنّة والنّار، والقضاء والقدر، وحقيقة الإنسان، وصراعه مع الشيطان مستمدة من القرآن الكريم وهدي النبي ﷺ.

* فالله سبحانه وتعالى منّزهٌ عن النقائص، موصوف بالكمالات التي تتناهى فهو سبحانه واحد لا شريك له، ولم يتخذ صاحبة ولا ولداً.

* وأنّه سبحانه حدّد مضمون هذه العبودية، وهذا التّوحيد في القرآن الكريم[7].

---

(1) تهذيب التهذيب (5/ 183 - 184)، الطبقات (2/ 173).
(2) أوثر: أوطأ.
(3) كتاب الزهد، رقم: 420، ص 141 - 142.
(4) الطبقات الكبرى (6/ 174/ 175).
(5) الفتاوى (13/ 177).
(6) تيسير الكريم المنّان في سيرة عثمان بن عفان، ص 25.
(7) منهج الرسول في غرس الروح الجهادية، ص 10 إلى 16.

* وأما نظرته للكون، فقد استمدّها من قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت: 9 - 12].

* وأما هذه الحياة مهما طالت، فهي إلى زوال، وأنّ متاعها مهما عظم، فإنه قليل حقير، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: 24].

* وأما نظرته إلى الجنة، فقد استمدها من خلال الآيات الكريمة فأصبح هذا التصور مهيمناً على نفسه، فيرى المتتبّع لسيرة الحسن بن علي ﷺ عمق استيعابه لفقه القدوم على الله ﷻ، وشدّة خوفه من عذاب الله، وعقابه، وأما مفهوم القضاء والقدر فقد استمدَّه من كتاب الله، وتعليم رسول الله ﷺ له، فقد رسخ مفهوم القضاء والقدر في قلبه كما قال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: 51].

* وعرف الحسن بن علي ﷺ من خلال القرآن الكريم حقيقة الصّراع بين الإنسان والشيطان، وأن هذا العدوّ يأتي للإنسان من بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله يوسوس له بالمعصية، ويستثير فيه كوامن الشهوات، فكان متعياً لله على عدوّه إبليس وانتصر عليه في حياته.

* وتعلّم من خطيئة آدم ضرورة توكّل المسلم على ربّه، وأهمية التوبة، والاستغفار في حياة المؤمن، وضرورة الاحتراز من الحسد، والكبر، وأهمية التخاطب بأحسن الكلام مع الصّحابة لقول الله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: 53].

لقد أكرم المولى ﷻ الحسن بن علي ﷺ بالعيش مع القرآن الكريم، فعاش به، واستمد أصوله، وفروعه من كتاب الله، وهدي رسول الله ﷺ، وأصبح من أئمة الهدى، الذين يرسمون للنّاس خطّ سيرهم، ويتأسّى النّاس بأقوالهم وأفعالهم في هذه الحياة، وكان ﷺ من أهل القرآن ولذلك كانت خطبه بالقرآن الكريم، فقد روي عنه ﷺ بأنه خطب يوم الجمعة فقرأ سورة إبراهيم على المنبر حتى ختمها[1]. وقد كان من هدي الرسول ﷺ فقد قرأ سورة

(1) الطبقات، تحقيق السُّلمي (1/ 278) إسناده ضعيف.

[قَ] حتى ختمها، . فقد روى مسلم عن أم هشام بنت حارثة قالت: ما أخذت ﴿قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ إلا من لسان رسول الله يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر إذا خطب الناس[1]، وروى عن ابن ماجه عن أبي بن كعب قال: قرأ رسول الله ﷺ يوم الجمعة «تبارك» وهو قائم، فذكرنا بأيام الله، وأبو الدرداء أو أبو ذر يغمزني فقال: متى أنزلت هذه السورة؟ فإني لم أسمعها إلى الآن، فأشار إليه أن اسكت[2]، ولهذا قال الإمام ابن القيم رحمه الله في بيان هدي النبي ﷺ في خطبته: كان النبي ﷺ كثيراً ما يخطب بالقرآن[3]، ولذلك كان الحسن بن علي رضي الله عنه يوجّه الناس بآيات القرآن الكريم ويتلوها عليهم، ملتزماً بالمنهج النبوي في قراءته للقرآن بإتقان وتركيز وتدبر وخشوع، وتحسين للصوت، فتهتز لها القلوب وتذرف لها الدموع. وإذا حاولنا أن نتأمل في سورة إبراهيم عليه السلام التي قرأها على المنبر كاملة نلاحظ بأن أهم مواضيعها هي:

- إثبات أصول العقيدة من الإيمان بالله وبالرسل وبالبعث والجزاء وإقرار التوحيد، والتعريف بالإله الحق خالق السمٰوات والأرض، وبيان الهدف من إنزال القرآن الكريم، وهو إخراج الناس من الظلمات إلى النُّور، واتّحاد مهمة الرُّسل ودعوتهم في أصول الاعتقاد والفضائل وعبادة الله والإنقاذ من الضلال.
- الوعد والوعيد: ذمُّ الكافرين ووعيدهم على كفرهم وتهديدهم بالعذاب الشديد، ووعد المؤمنين على أعمالهم الطَّيِّبة بالجنان [الآية 2، والآية 23، والآيات 28 - 31].
- الحديث عن إرسال الرُّسل بلغات أقوامهم، لتسهيل البيان والتفاهم [الآية: 4].
- تسلية الرّسول ﷺ ببيان ما حدث للرُّسل السابقين مع أقوامهم: قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم، والتذكير بعقابهم، كما في الآيات [9 - 12] والآيات [13 - 18].
- ابتداء من بين قصص بعض الأنبياء المتقدمين عليهم السلام بمحاورة موسى لقومه ودعوته إيَّاهم لعبادة الله تعالى [الآيات 5 - 8].
- دعوات إبراهيم رضي الله عنه بعد بناء البيت الحرام لأهل مكة بالأمان والرّزق وتعلُّق القلوب بالبيت الحرام، وتجنيبه وذريَّته عبادة الأصنام، وشكره ربه على ما وهبه من الأولاد بعد الكبر، وتوفيقه وذريّته لإقامة الصَّلاة، وطلبه المغفرة له ولوالديه وللمؤمنين [الآيات 53 - 41].
- بيان مشهد من مشاهد الحوار بين أهل النار في عالم الآخرة [الآيات 19 - 23].

---

(1) مسلم رقم: 873.

(2) سنن ابن ماجه رقم: 1111 إسناده حسن.

(3) زاد المعاد (1/ 43).

- ضرب الأمثال لكلمة الحق والإيمان وكلمة الباطل والضَّلال بالشجرة الطيبة والشَّجرة الخبيثة [الآيات 24 - 27].
- التذكير بأهوال القيامة وتهديد الظالمين وبيان ألوان عذابهم [الآيات: 42 - 52].
- بيان الحكمة من تأخير العذاب ليوم القيامة، وهو ما ختمت به السورة[1] [الآيات: 51 - 52].

هذه أهم المواضيع التي اشتملت عليها سورة إبراهيم عليه السلام والتي خطب بها الحسن بن علي رضي الله عنهما على المنبر لخطبة الجمعة، كما كان الحسن بن علي رضي الله عنهما إذا أوى إلى فراشه قرأ سورة الكهف، وقد استهلت السورة ببيان وصف القرآن بأنه قيم مستقيم لا اختلاف فيه ولا تناقض في لفظه ومعناه، وأنه جاء للتبشير، ثم لفت النظر إلى ما في الأرض من زينة وجمال وعجائب تدل دلالة واضحة على قدرة الله تعالى، وتحدثت السورة عن ثلاث قصص من روائع قصص القرآن الكريم وهي قصة أصحاب الكهف، وقصة موسى مع الخضر، وقصة ذي القرنين، أما قصة سورة الكهف [الآيات 9 - 26] فهي مثال عالٍ، ورمز سام للتضحية بالوطن والأهل والأقارب والأصدقاء والأموال في سبيل العقيدة الصحيحة واتباع الهدى، فقد فرّ هؤلاء الشباب الفتية المؤمنون بدينهم من بطش الملك الوثني، واحتموا في غار في الجبل، فأنامهم الله ثلاثة مائة وتسع سنين قمرية، ثم بعثهم ليقيم دليلاً حسياً للناس على قدرته على البعث، وأتبع الله تعالى القصة بأمر النبي ﷺ بالتواضع ومجالسة الفقراء المؤمنين وعدم الفرار إلى مجالسة الأغنياء لدعوتهم إلى الدين: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [الكهف: 28]. ثم هدد الله تعالى الكفار بعد إظهار الحق، وذكر ما أعده لهم من العذاب الشديد في الآخرة ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الكهف: 29] وقارن ذلك بما أعده سبحانه من جنات عدن للمؤمنين الصالحين [الآيتان: 30 - 31].

وأما قصة موسى مع الخضر في [الآيات: 60 - 78] فكانت مثلاً للعلماء في التواضع أثناء طلب العلم، وأنه قد يكون عند العبد الصالح من العلوم في غير أصول الدين وفروعه ما ليس عند الأنبياء، بدليل قصة خرق السفينة، وحادثة قتل الغلام، وبناء الجدار، وأما قصة ذي القرنين في الآيات [83 - 99] فهي عبرة للحكام والسلاطين، إذ إن هذا الملك تمكن من السيطرة على العالم، ومشارق الأرض ومغاربها، وبنائه السد العظيم بسبب ما اتصف به من التقوى والعدل والصلاح.

وتخللت هذه السورة أمثلة ثلاثة بارزة رائعة مستمدة من الواقع، لإظهار أن الحق لا

(1) التفسير المنير (13/ 198، 199).

يقترن بالسلطة والغنى، وإنما يرتبط بالإيمان، وأول هذه الأمثلة قصة أصحاب الجنتين [32 - 44] للمقارنة بين الغني المغتر بماله، والفقير المعتز بإيمانه، لبيان حال فقراء المؤمنين وحال أغنياء المشركين. وثانيها: مثل الحياة الدنيا [45 - 46] لإنذار الناس بفنائها وزوالها. وأردف ذلك بإيراد بعض مشاهد القيامة الرهيبة من تسيير الجبال، وحشر الناس في صعيد واحد، ومفاجأة الناس بصحائف أعمالهم [47 - 49] وثالثها: قصة إبليس وإبائه السجود لآدم [50 - 53] للموازنة بين التكبر والغرور، وما أدى إليه من طرد وحرمان وتحذير الناس من شر الشيطان، وبين العبودية لله والتواضع، وما حقق من رضوان الله تعالى، وأردف ذلك بيان عناية القرآن بضرب الأمثال للناس للعظة والذكر وإيضاح مهام الرسل للتبشير والإنذار والتحذير من الإعراض عن آيات الله [54 - 57].

وختمت السورة بموضوعات ثلاثة: **أولها**: إعلان تبديد أعمال الكفار وضياع ثمرتها في الآخرة [100 - 106] **وثانيها**: تبشير المؤمنين الذين عملوا الصالحات بالنعيم الأبدي [107 - 108] **وثالثها**: أن علم الله تعالى لا يحده حدود ولا نهاية[1] [109 - 110].

وكانت آخر آية في السورة وبعدما بين المولى ﷻ كمال كلامه، أمر تعالى محمداً ﷺ بالتواضع فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: 110] أي: قل يا محمد لهم: ما أنا إلا بشر مثلكم في البشرية، ليس لي صفة الملَكية أو الألوهية، ولا علم لي إلا ما علمني الله، إلا أن الله تعالى أوحى إلي أنه لا إله إلا الله الواحد الأحد الصمد، فلا شريك له في ألوهيته، فمعبودكم الذي يجب أن تعبدوه هو معبود واحد لا شريك له ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ أي فمن آمن بلقاء الله، وطمع في ثواب الله على طاعته، فليتقرب إليه بصالح الأعمال، وليخلص له العبادة، وليجتنب الشرك بعبادة الله أحداً من مخلوقاته، سواء أكان شركاً ظاهراً كعبادة الأوثان أو ادعاء غير الله تعالى أو النذر للمخلوقين أو اعتقاد أن الخلق ينفعون أو يغيرون بما لا يقدر عليه إلا الله، أو صرف أنواع العبودية من خوف أو رجاء أو حب لغير الله مما لا ينبغي إلا لله، أو شركاً خفياً كفعل شيء رياء أو سمعة وشهرة[2]، والرياء هو الشرك الأصغر، فقد قال رسول الله ﷺ: «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**» قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «**الرياء، يقول الله يوم القيامة إذا جزي الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في**

(1) التفسير المنير (16/ 197، 198، 199).
(2) التفسير المنير (16/ 43).

الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء»[1] وقد جمعت الآية الكريمة شرطي قبول الأعمال، اتباع الرسول ﷺ وهو قوله: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ والإخلاص لله وهو قوله: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾.

إن هذه المعاني الكريمة والآيات العزيزة كان الحسن بن علي يقرأها كل يوم بتمعن وتدبر، فكانت لها تأثيرها على نفسه وفي حياته، كما كان للحسن بن علي رضي الله عنهما اهتمام بالسيرة النبوية الشريفة، فقد كانت من ثقافة ذلك الجيل تعلم السيرة النبوية، فقد قال إسماعيل ابن محمد بن سعد بن أبي وقاص: كان أبي يعلمنا مغازي رسول الله ﷺ يعدها علينا ويقول: هذه مآثر آبائكم فلا تضيعوا ذكرها[2]. وقال علي بن الحسن: كنا نُعلم مغازي رسول الله كما نعلم السورة من القرآن[3].

وأما السنة النبوية، فقد كان والده أمير المؤمنين علي أكثر الخلفاء الراشدين رواية لأحاديث رسول الله ﷺ، وهذا راجع إلى تأخر وفاته عن بقية الخلفاء، وكثرة الرواة عنه، وانتشار طلبة العلم من التابعين الذين كانوا يكثرون السؤال، ووقوع الأحداث التي تقتضي البلاغ والرواية، في أمور أخرى فنقلوا عنه ما بلغهم بأمانة ونزاهة وقد استفاد منه ابنه الحسن استفادة عظيمة.

أما من جده ﷺ فقد توفي ﷺ، والحسن صغير كما هو معلوم، فعقل عن رسول الله أحاديث وأموراً ذكرها منسوبة لرسول الله ﷺ قد بينتها فيما مضى.

وكان الحسن رضي الله عنه يحث أولاده على طلب العلم، فقد دعا بنيه وبني أخيه فقال: يا بنيَّ وبني أخي إنكم صغار قوم يوشك أن تكونوا كبار آخرين، فتعلّموا العلم، فمن لم يستطع منكم أن يرويه أو يحفظه فليكتبه وليضعه في بيته[4].

وكان رضي الله عنه خطيباً مفوهاً، فقد قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه للحسن ذات يوم: قم فاخطب الناس يا حسن. قال: إني أهابك أن أخطب وأنا أراك، فتغيب عنه حيث يسمع كلامه ولا يراه، فقام الحسن فحمد الله وأثنى عليه وتكلم[5]، ثم نزل فقال علي: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: 34].

---

(1) مسند أحمد (5/ 428 - 429) إسناده حسن.
(2) البداية والنهاية (2/ 242).
(3) المصدر السابق نفسه، السيرة النبوية للصلّابي (1/ 6).
(4) الطبقات (1/ 292) إسناده حسن، تحقيق السُّلمي.
(5) الطبقات (1/ 276) إسناده ضعيف مرسل.

وقد ورث الحسن من جده ﷺ ووالده ﷺ الخطابة والفصاحة والبلاغة وقوة البيان، وقد ذكرت كتب التاريخ: أن علياً ﷺ سأل ابنه - يعني الحسن - عن أشياء عن المُروءة، فقال: يا بُنيّ ما السَّدادُ؟ قال: يا أبتي السَّدادُ دفع المنكر بالمعروف. قال: فما الشرف؟ قال: اصطناع العشيرة وحمل الجريرة. قال: فما المروءة؟ قال: العفاف وإصلاح المرءِ مالَه. قال: فما الدِّقَّةُ[1]؟ قال: النظر في اليسير ومنع الحقير[2]. قال: فما اللُّؤم؟ قال: إحراز المرءِ نفسه وبذله عرسَه، قال: فما السماحة؟ قال: البذل في العسر واليسر. قال: فما الشُّح؟ قال: أن ترى ما في يديك شرفاً وما أنفقته تلفاً. قال: فما الإخاء؟ قال: الوفاء في الشدة والرخاء. قال: فما الجُبن؟ قال: الجرأة على الصديق والنكول على العدو. قال: فما الغنيمة؟ قال: الرغبة في التقوى، والزهادة في الدنيا هي الغنيمة الباردة، قال: فما الحلم؟ قال: كظم الغيظ ومَلْكُ النفس. قال: فما الغنى؟ قال: رضا النفس بما قسم الله لها وإن قلَّ، فإنما الغنى غنى النفس، قال: فما الفقر؟ قال: شره النفس في كل شيء. قال: فما الذلُّ؟ قال: الفزع عند المصدوقة[3]. قال: فما الجرأة؟ قال: موافقة الأقران. قال: فما الكُلْفة؟ قال: كلامك فيما لا يَعْنِيك. قال: فما المجد؟ قال: أن تعطي في الغُرم وأن تعفو عن الجُرم. قال: فما العقل؟ قال: حفظ القلب كلَّ ما استرعيته. قال: فما الخُرقُ[4]؟ قال: معاداتك إمامك ورفعك عليه كلامك. قال: فما الثناء؟ قال: إتيان الجميل وترك القبيح. قال: فما الحزم؟ قال: طول الأناة والرفق بالولاة، والاحتراس من الناس بسوء الظن هو الحزم. قال: فما الشَّرف؟ قال: موافقة الإخوان، وحفظ الجيران، قال: فما السَّفَهُ؟ قال: اتباعُ الدُّناة، ومصاحبة الغُواة. قال: فما الغفلة؟ قال: تركُك المسجد وطاعتك المفسد. قال: فما الحرمان؟ قال: تركك حظَّك وقد عُرض عليك. قال: فما السَّيِّدُ؟ قال: الأحمق في المال، المتهاون بعرضه، يُشْتَمُ فلا يجيب، المتحزن بأمر العشيرة[5] هو السيد.

ثم قال عليٌّ: يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا فقر أشد من الجهل، ولا مال أعود من العقل، ولا وحدة أوحش من العجب، ولا مظاهرة أوثق من المشاورة، ولا عقل كالتدبير، ولا حسب كحسن الخلق، ولا ورع كالكفّ، ولا عبادة كالتفكر، ولا إيمان كالحياء، ورأس الإيمان الصبر، وآفة الحديث الكذب، وآفة العلم النسيان، وآفة الحلم السفه، وآفة العبادة الفترة، وآفة الظُرف الصَّلف، وآفة الشجاعة البغي، وآفة السماحة المن،**

(1) الدقة: الحقارة، النهاية (2/ 127).
(2) الحقير هنا: الشيء اليسير.
(3) المصدوقة: الحملة الصادقة ليس لها مكذوبة.
(4) الخرق: الجهل والحمق.
(5) المتحزن بأمر العشيرة: المهتم بأمرهم.

وآفة الجمال الخيلاء وآفة الحبِّ الفخر». ثم قال علي: يا بُنيَّ، لا تستخفَّنَّ برجل تراه أبداً فإن كان أكبر منك فعُدَّ أنه أبوك، وإن كان مثلك فهو أخوك، وإن كان أصغر منك، فاحسب أنه ابنك. فهذا ما ساءل عليٌّ ابنه عن أشياء من المروءة.

قال القاضي أبو الفرج: ففي هذا الخبر من الحكمة وجزيل الفائدة ما ينتفع به من راعاه وحفظه ووعاه، وعمل به، وأدّب نفسه بالعمل عليه، وهذبها بالرجوع إليه، وتتوفر فائدته بالوقوف عنده، وفيما رواه أمير المؤمنين وأضعافه عن النبيِّ ﷺ ما لا غنى لكل لبيب عليم، ومدرة[1] حكيم عن حفظه وتأمُّله، والمسعود من هُدي لتقبُّله، والمجدود[2] من وفق لامتثاله وتقبله[3].

وقد علق ابن كثير على هذا الأثر فقال: ولكنَّ هذا الأثر وما فيه من الحديث المرفوع ضعيف، ومثل هذه الألفاظ في عبارتها ما يدل ما في بعضها من النكارة على أنه ليس بمحفوظ والله أعلم[4]. وما دامت الأمور التي ذكرتها مع الكتاب والسنة لا تتعارض ولا تبنى عليها عقيدة أو عبادة وإنما تدعو إلى مكارم الأخلاق، فلا مانع من الاستئناس بها.

وقد سأل أمير المؤمنين علي ابنه الحسن: كم بين الإيمان واليقين؟ فقال الحسن رضي الله عنه: أربع أصابع. فقال أمير المؤمنين علي: وكيف؟ فقال الحسن: الإيمان كل ما سمعته أذناك وصدقه قلبك. واليقين ما رأته عيناك، فأيقن به قلبك، وليس بين العين والأذن إلا أربع أصابع[5].

ومن أقواله: حسن السؤال نصف العلم[6]، وسئل عن الصمت فقال: هو ستر العين أو زين العرض، وفاعله في راحة وجليسه في أمان[7]، ومن علمه أنه أوصى بتعلم اللغة العربية[8] وتأكيده على تعلم اللغة العربية تأكيد على ضرورة تطبيق القواعد العلمية في القراءة وخاصة قراءة الآيات القرآنية، لأن اللغة العربية هي اللغة التي أنزل الله بها القرآن كتابة ولفظاً، وخاطب بها شرائع دينه وفرائض ملته وبها بلغ الرسول ﷺ رسالته وعلم بها سنته النبوية

(1) المدرة: زعيم القوم وخطيبهم والمتكلم عنهم.
(2) المجدود: المحظوظ.
(3) البداية والنهاية (11/ 202).
(4) المصدر السابق نفسه (11/ 202) الطبراني الكبير، حديث موضوع.
(5) التبيين في أنساب القرشيين، ص 127.
(6) نور الأبصار للشبلنجي، ص 122، الحسن بن علي رسالة ماجستير، ص 38.
(7) من أقوال الصحابة، ص 67، نقلاً عن الحسن بن علي، رسالة ماجستير، ص 38.
(8) مفتاح السعادة، أحمد مصطفى (2/ 82) نقلاً عن الحسن بن علي.

الشريفة المطهرة، وبها ألفت الكتب الدينية والكتب العلمية وكتب الحكمة. فلا بد للناشئ من تعلمها، وإلا كان جاهلاً بالدين منقوصاً في العلم، إضافة إلى ما تمتاز به هذه اللغة من الفصاحة والبيان، والطلاوة على اللسان والحلاوة في الأسماع والآذان[1]. ومن الأمور التي تؤكد تمكن الحسن بن علي من اللغة العربية، فقد كان يعد من فصحاء العرب، فقد قال عمرو ابن العلاء: ما رأيت أفصح من الحسن بن علي ﷺ[2].

وقد كان للحسن بن علي تلاميذ نجباء منهم: ابنه الحسن، والمسيب بن نجبة، وسويد بن غفلة، والعلاء بن عبد الرحمن، والشعبي، وهبيرة بن يريم، والأصبغ بن نباته، وجابر بن خالد، وأبو الحوراء، وعيسى بن مأمون بن زرارة، ويقال: ابن المأموم وأبو يحيى عمير بن سعيد النّخعي، وأبو مريم قيس الثقفي، وطحرب العجلي، وإسحاق بن يسار والد محمد بن إسحاق، وسفيان بن الليل، وعمر بن قيس الكوفيون[3]. ويظهر غزارة علمه، ودقة فقهه في علم المصالح والمفاسد، ومعرفته العميقة بمقاصد الشريعة في تقديمه وحدة الأمة وحفظ الدماء على المصلحة الخاصة من ملك الدنيا عندما تنازل لمعاوية ﷺ.

2 - عبادته:

كان الحسن بن علي ﷺ من المجتهدين في العبادة، ومارس مفهوم العبادة الشامل في حياته، فقد رضع لبان العبادة مع ما رضعه من معدن النبوة، وتربية الزهراء التي جاءت إلى أبيها عليه الصلاة والسلام لتطلب خادماً، فدلها على ما هو أفضل من ذلك ألا وهو التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، وقال لها ولزوجها في الليل وهما في الفراش: «**ألا تقومان تصلّيان**»؟ فأطل على الحياة في بيت الزهد والعبادة، والورع والتقى، والحلم والصبر، وانغمس في هذه المفاهيم والمثل والمبادئ حتى غدا مثالاً من مثلها، ومثالاً بها يضرب، يشهد له بذلك معاصروه من الصحابة الأبرار، ومن عاشره من الأخيار.

* فقد كان الحسن بن علي ﷺ عابداً بمعرفة، مقبلاً على الله بيقين، مدبراً عن الدنيا وشواغلها برضى واطمئنان، ولهذا كان إذا توضأ وفرغ من الوضوء تغير لونه، فقيل له في ذلك فقال: حق من أراد أن يدخل على ذي العرش أن يتغير لونه[4]، وقد ذكر ابن سعد قوله: ما رأيت أخوف من الحسن بن علي وعمر بن عبد العزيز كأن النار لم تخلق إلا لهما[5]، فكلما

(1) نصيحة الملوك، ص 350، للماوردي.
(2) الكامل في التاريخ (4/ 132).
(3) تاريخ دمشق (14/ 5).
(4) وفيات الأعيان (2/ 69).
(5) الطبقات الكبرى (5/ 398).

اقترب العبد من مولاه، وتعرف على أسمائه وصفاته، ونعوت كماله، ازدادت هيبته وإجلاله وخوفه منه، فهو سبحانه وتعالى يداول الأيام بين الناس قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: 26]. يقلب الدول، فيذهب بدولة، ويأتي بأخرى، والرسل من الملائكة عليهم السلام بين صاعد إليه بالأمر، ونازل من عنده به، وأوامره متعاقبة على تعاقب الآيات، نافذة بحسب إرادته، فما شاء كان كما يشاء في الوقت الذي يشاء على الوجه الذي يشاء من غير زيادة ولا نقصان، ولا تقدم ولا تأخر، وأمره وسلطانه نافذ في السمٰوات وأقطارها، وفي الأرض وما عليها وفي البحار، وفي الجو وفي سائر أجزاء العالم وذراته، يقلبها، ويصرفها ويحدث فيها ما يشاء[1]، قال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: 5]. فهو سبحانه لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السمٰوات، ولا في قرار البحار، ولا تحت أطباق الجبال، قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: 59]، فاستشعار عظمة الله وجلاله، ومعرفة أسمائه وصفاته تولد عند العبد خشية وخوفاً ومهابة من هذا الإله العظيم الذي يخضع له كل شيء[2] ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩﴾ [الرعد: 15].

* **وكان الحسن بن علي** رضي الله عنهما إذا صَلَّى الغَداةَ في مسجد رسول الله ﷺ يجلس في مصلَّاه يذكر الله حتى ترتفع الشمس، ويجلس إليه من يجلس من سادات الناس يتحدّثون عنده، ثم يقوم فيدخل على أمهات المؤمنين فيُسلِّم عليهن، وربما أتحفنه، ثم ينصرف إلى منزله[3].

إن من السعداء الذين تصلِّي عليهم الملائكة أولئك الذين يجلسون بعد أداء الصلاة في مصلَّاهم، ومما يدل على ذلك ما يلي: روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الملائكة تصلِّي على أحدكم ما دام في مصلَّاه الذي صلّى فيه، ما لم يحدث[4]: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه[5]، وإن جلس ينتظر الصلاة صلّت عليه الملائكة، وصلاتهم عليه: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه**»[6] وروى الإمام أحمد عن عطاء بن السائب

(1) الإيمان أولاً فكيف نبدأ به، مجدي الهلالي، ص 76.
(2) المصدر السابق نفسه، ص 76.
(3) البداية والنهاية (11/ 193، 194).
(4) أي: حدثاً حقيقاً، أي: ما لم يبطل وضوءه.
(5) مسند أحمد رقم: 8106، صححه أحمد شاكر.
(6) مسند أحمد رقم: 1218، حسنه أحمد شاكر.

قال: دخلت على أبي عبد الرحمٰن السلمي، وقد صلّى الفجر، وهو جالس، فقلت: لو قمت إلى فراشك كان أوطأ لك. فقال: سمعت علياً ﷺ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من صلّى الفجر ثم جلس في مُصلاّه صلت عليه الملائكة، وصلاتهم عليه: اللهمَّ اغفر له، اللهم ارحمه. ومن ينتظر الصلاة صلّت عليه الملائكة، وصلاتهم عليه: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه**»[1].

وقد سئل الشيخ عبد العزيز بن باز ﷺ: - هل المكوث في المنزل بعد صلاة الفجر لقراءة القرآن حتى تطلع الشمس، ثم يصلّي ركعتي الشروق، له نفس الأجر الذي يحصل بالمكوث في المسجد؟ فأجاب: هذا العمل فيه خير كثير وأجر عظيم، لكن ظاهر الأحاديث الواردة في ذلك أنه لا يحصل له نفس الأجر الذي وعد به إلا من جلس في مصلاّه في المسجد، لكن لو صلّى في بيته صلاة الفجر لمرض أو خوف، ثم جلس في مصلاّه، يذكر الله أو يقرأ القرآن حتى ترتفع الشمس، ثم يصلي ركعتين فإنه يحصل له ما ورد في الأحاديث لكونه معذوراً حين صلّى في بيته، وهكذا المرأة إذا جلست في مصلاّها بعد صلاة الفجر تذكر الله أو تقرأ القرآن حتى ترتفع الشمس، ثم تصلي ركعتين فإنه يحصل لها ذلك الأجر الذي جاءت به الأحاديث[2].

إن الحسن بن علي ﷺ يعلمنا أهمية الذكر في البكور، ويرغبنا في ترك النوم في ذلك الوقت من خلال سيرته الربانية، ولقد تحدث ابن القيم عن أهمية الذكر في البكور فقال: ومن المكروه عندهم: النوم بين صلاة الصبح وطلوع الشمس، فإنه وقت غنيمة، وللسير في ذلك الوقت عند السالكين مزية عظيمة حتى لو ساروا طول ليلهم لم يسمحوا بالقعود ذلك الوقت حتى تطلع الشمس، فإنه أول النهار ومفتاحه، ووقت نزول الأرزاق، وحصول القسم، وحلول البركة، ومنه ينشأ النهار، وينسحب حكم جميعه على حكم تلك الحصة، فيجب أن يكون نومها كنوم المضطر[3]، ولشرف هذا الوقت، ولأهميته في السير إلى الله، نجد الترغيب الشديد في إحيائه بالذكر، فعن أنس ﷺ قال: قال: رسول الله ﷺ: «**من صلى الفجر في جماعة، ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة**»[4]. قال ابن رجب: لما كان الحج من أفضل الأعمال والنفوس تتوق إليه لما وضع الله في القلوب من الحنين إلى ذلك البيت المعظم وكان كثيراً من الناس يعجز عنه ولا

(1) مسند أحمد (2/ 305 - 306) حسّن إسناده أحمد شاكر.
(2) مجموعة فتاوى ومقالات متنوعة، ابن باز (11/ 403 - 404).
(3) تهذيب مدارج السالكين، ص 248.
(4) سنن الترمذي وقال الترمذي: حديث حسن، صحيح رقم: 586.

سيما كل عام، شرع الله لعباده أعمالاً يبلغ أجرها أجر الحج، فيتعوض بذلك العاجزون في التطوع[1].

ويقول الأستاذ البنا: أيها الأخ العزيز، أمامك كل يوم لحظة بالغداة، ولحظة بالعشي، ولحظة في السحر، تستطيع أن تسمو فيها كلها بروحك الطهور إلى الملأ الأعلى، فتظفر بخير الدنيا والآخرة، وأمامك مواسم الطاعات، وأيام العبادات، وليالي القربات التي وجهك إليها كتابك الكريم، ورسولك العظيم، فاحرص أن تكون فيها من الذاكرين لا من الغافلين ومن العاملين لا من الخاملين، واغتنم الوقت، فالوقت كالسيف، ودع التسويف فلا أضر منه[2].

* **وكان الحسن بن علي** ﷺ يقول إذا طلعت الشمس: سمع سامع بحمد الله الأعظم لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، سمع سامع بحمد الله الأمجد لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير[3]، وقد لازم الحسن بن علي ما ثبت عن رسول الله من أوراد وأذكار وأدعية، وكان يحث الناس على الصلوات في المساجد وكان يقول: من أدمن الاختلاف إلى المساجد رزقه الله إحدى خصال: أخاً مستفاداً، ورحمة مستثرة له، أو علماً مستطرفاً، أو كلمة تدل على هدى أو يترك الذنوب خشية أو حياء[4].

وكان ﷺ من أهل القيام، فقد كان ﷺ يأخذ نصيبه من القيام في أول الليل وكان الحسين ﷺ يأخذه من آخر الليل[5]، فقيام الليل من الوسائل المهمة في إيقاظ الإيمان، جربها الصالحون فوجدوا لها أبلغ الأثر في إحياء القلوب، وقال ابن الحاج في المدخل: وفي قيام الليل من الفوائد جملة، فمنها: أنه يحط الذنوب كما يحط الريح العاصف الورق اليابس من الشجرة، ومنها أنه ينور القلب، ومنها أن موضعه تراه الملائكة من السماء يتراءى مثل الكوكب الدري لأهل الأرض، ونفحة من نفحات قيام الليل تعود على صاحبها بالبركات والأنوار والتحف التي يعجز عنها الوصف[6].

إن قيام الليل شرف المؤمن كما قال رسول الله ﷺ: «**شرف المؤمن صلاته بالليل، وعزه استغناؤه عما في أيدي الناس**»[7]، ومهما كثرت دعاوي المحبة طولب أصحابها بالدليل،

(1) لطائف المعارف، ص 351، البدر في الحث على صلاة الفجر، الدكتور عماد علي، ص 86.
(2) الرقائق، ص 18، نقلاً عن مجلة الدعوى العدد 8 سنة 1951، الإيمان أولاً، ص 248.
(3) الطبقات (1/ 291) تحقيق السلمي إسناده صحيح.
(4) عيون الأخبار (3/ 5) الحسن بن علي، ص 27.
(5) الزهد لابن حنبل، ص 171، رهبان الليل (1/ 403) للعفاني.
(6) الإيمان أولاً، ص 172.
(7) صحيح الجامع رقم: 3701 السلسلة الصحيحة رقم: 1903.

وشهدت عليهم ساعات الليل، فالبينة على من ادعى، فأهل القيام هم الأشراف بين الناس، أما أهل النوم والغفلة - من أمثالنا - فقد فضحتهم تلك الساعات، فأسقطت ذكرهم، وأدنت شرفهم[1]، ومن سيرة الحسن بن علي نتعلم أهمية قيام الليل، فبالليل يتم الغرس، غرس بذور الإخلاص والصدق، وعلى قدر غرسك سيكون الخير في قلبك، وكلما ازدادت مساحته، ازداد توالي الهدايا عليه من كل جانب ﴿إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا﴾ [الأنفال: 70].

إن قيام الليل من أهم صور الشكر التي كان يمارسها الحسن بن علي رضي الله عنه، فشكر الله عز وجل على نعمه التي لا تعد ولا تحصى غاية من غايات العبودية، والشكر عمل، والعبد الشكور هو الذي يظهر عليه أثر النعمة، وأبلغ أثر للنعمة ينبغي أن يظهر على العبد هو زيادة الذل والانكسار والتعظيم لولي النعم[2]، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: 8، 9].

فالآيات الكريمة تتحدث عن صنفين من الناس، أنعم الله عليهما بنعمة.. الأول مرَّ بتجربة شديدة، وكان في ضيق وهم فدعا الله بصدق ففرج همه، وكشف كربه، لكنه أعرض عن شكره، وعاد إلى غيِّه، أما الآخر فقد سار في طريق الشكر بطول القنوت بالليل، والتضرع عز وجل ويُعقِّب القرآن على الحالتين بقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: 9]، لا يستوي الذين يعلمون حق الشكر النعم والذين لا يعلمون ذلك[3] قال الشاعر:

القانتون المخبتون لربهم ... الناطقون بأصدق الأقوال
يحيون ليلهم بطاعة ربهم ... بتلاوة وتضرع، وسؤال
وعيونهم تجري بفيض دموعهم ... مثل انهمال الوابل الهطّال
في الليل رهبان وعند جهادهم ... لعدوهم من أشجع الأبطال
بوجوههم أثر السجود لربهم ... وبها أشعة نوره المتلالي[4]

* **وكان الحسن بن علي** رضي الله عنه كثير الحج، فقد قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه: ما ندمت على شيء فاتني في شبابي إلا إني لم أحج ماشياً، ولقد حج الحسن بن علي خمساً وعشرين حجة ماشياً، وإن النجائب لتُقاد معه، ولقد قاسم الله ماله ثلاث مرات، حتى أنه يعطي الخف

(1) الإيمان أولاً، ص 173.
(2) المصدر السابق نفسه، ص 174.
(3) المصدر السابق نفسه، ص 175
(4) رهبان الليل (1/ 365).

ويُمسك النعل[1]، فهذا مثل من لزوم ما لا يلزم شرعاً يقوم به الحسن بن علي ﷺ، حيث لازم الحج ماشياً خمساً وعشرين حجَّة، وهذا يدل على فضيلة المشي في الحج، كما يؤيد ذلك ندم ابن عباس ﷺ على عدم قيامه بذلك أيام شبابه ومداومة الحسن على ذلك على ما فيه من مشقة تدل على قوة إيمانه ورغبته الصادقة في المزيد من الأعمال الصالحة، والمقصود بالمشي من الحج من مكة إلى عرفة ثم من عرفة إلى مكة، وليس المقصود أن يحج الحاج ماشياً من بلده[2]، ومن سيرة الحسن بن علي ﷺ نتعلم أهمية السياحة إلى البيت الحرام، كلما سمحت ظروفنا وتيسر حالنا قال ﷺ: «**تابعوا بين الحج والعمرة، فإن متابعة بينهما تنفي الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد**»[3]، ولذلك حج الحسن ماشياً ونجائبه تقاد إلى جانبه خمساً وعشرين مرة في بعض الروايات[4] وقال: إني استحيي من ربي ﷻ أن ألقاه ولم أمشي إلى بيته[5]، وكان ﷺ كثير الصمت، متعبداً على منهج جده ﷺ.

3 - زهده:

فهم الحسن ﷺ من خلال معايشته للقرآن الكريم وملازمته لوالده أمير المؤمنين علي ﷺ، ومن تفكره في هذه الحياة بأن الدنيا دار ابتلاء واختبار، فقد تربى على كتاب الله واستوعب الآيات التي تحدثت عن الدنيا وأخبرتنا بخستها وقلتها وانقطاعها وسرعة فنائها، وكان ﷺ يقرأ كل يوم سورة الكهف ويمر على قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[الكهف: 45، 46] فهذا المثل يدل على حقارة الدنيا وقلة بقائها، ومصير ما فيها من النعيم والترف إلى الهلاك، ولما بيّن تعالى أن الدنيا سريعة الانقراض والزوال، بيّن أن المال والبنين زينة الحياة الدنيا في عرف الناس، وكل ما كان من زينة الدنيا فهو سريع الانقضاء والانقراض، فيقبح بالعاقل الافتخار به أو الفرح بسببه[6] ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ أي: أن أعمال الخير وأفعال الطاعات، كالصلوات والصدقات، والجهاد في سبيل الله، ومساعدة الفقراء والأذكار أفضل ثواباً، وأعظم قربة عند الله، وأبقى أثراً، إذ ثوابها عائد على صاحبها، وخير أملاً حيث ينال صاحبها في الآخرة كل ما كان يؤمله في الدنيا[7]، وتربى الحسن بن علي على منهج جده ﷺ الذي كان أعرف الخلق بالدنيا ومقدارها، إذ هو القائل ﷺ: «**لو كانت الدنيا**

(1) سير أعلام النبلاء (3/ 260).
(2) التاريخ الإسلامي (19/ 221).
(3) الإيمان أولاً، ص 249.
(4) تاريخ ابن عساكر (14/ 72).
(5) المصدر السابق نفسه (14/ 71).
(6) التفسير المنير (15/ 259).
(7) المصدر السابق نفسه (15/ 261).

تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً شربة ماء»[1]، وقال ﷺ: **«ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليمِّ فلينظر بما ترجع»**[2]، وقال ﷺ: **«الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»**[3]، وقد تأثر أمير المؤمنين الحسن بن علي رضي الله عنه بالتربية القرآنية والنبوية، فكان من أصدق النَّماذج الإسلامية في الزهد، فقد ضرب لنا أروع الأمثلة في الزهد وإليك التفصيل:

إن حرص المرء على الشرف والملك أشد من حرصه على المال، كما أن طلب شرف الدنيا والرفعة فيها، والرياسة على الناس، والعلو في الأرض أضرُّ على العبد من طلب المال، وضرره أعظم والزهد فيه أصعب، فإن المال يبذل في طلب الرياسة والشرف، والحرص على الشرف على قسمين:

أحدهما: طلب الشرف بالولاية السلطان والمال، وهذا خطر جدّاً، وهو في الغالب يمنع خير الآخرة وشرفها وكرامتها وعزّها. قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: 83]. وقلَّ من يحرص على رياسة الدنيا بطلب الولايات فَيُوَفَّقُ، بل يُوكلُ إلى نفسه[4]، كما قال ﷺ لعبد الرحمٰن بن سمُرة رضي الله عنه: **«يا عبد الرحمٰن لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أُعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها»**[5]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **«إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة فنعمت المرضعة**[6]**، وبئست الفاطمة»**[7] إن حبَّ المال والرياسة والحرص عليهما يفسد دين المرء، حتى لا يبقى منه إلا ما شاء الله، فقد قال ﷺ: **«ما ذئبان جائعان أُرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه»**[8]. وأصل محبة المال والشرف حبُّ الدنيا، وأصل حبِّ الدنيا اتباع الهوى[9]، قال وهب بن مُنبِّه: من اتباع الهوى الرغبة في الدنيا، ومن الرغبة فيها حبُّ المال والشرف، ومن حب المال والشرف استحلال المحارم[10]. ولذلك قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: 37 - 41]. كما

(1) سنن الترمذي رقم: 4110، صحيح غريب.
(2) مسلم رقم: 2858.
(3) المصدر السابق نفسه: 2856.
(4) ما ذئبان جائعان، لابن رجب، ص 33.
(5) البخاري رقم: 6622.
(6) مثل ضربه للإمارة وما يصل إلى الرجل من المنافع فيها واللذات.
(7) مثل ضربه للموت الذي يهدم عليه تلك اللذات ويقطع منافعها عنه، البخاري رقم: 7148.
(8) الإحسان في تقريب، صحيح ابن حبان رقم: 3218 حسن، صحيح.
(9) شرح حديث: ما ذئبان جائعان لابن رجب، ص 71.
(10) شرح حديث: ما ذئبان جائعان لابن رجب، ص 71.

أن النفس تحب الرفعة والعُلُوَّ على أبناء جنسها ومن هنا نشأ الكبرُ والحسد، ولكنَّ العاقل ينافس في العلو الدائم الباقي الذي فيه رضوان الله وقربه وجواره، ويرغب عن العلوِّ الثاني الفاني الزائل الذي يعقبه غضب الله وسخطه وانحطاط العبد وسفوله وبعده عن الله وطرده عنه، فهذا العلو الثاني الذي يُذَمُّ وهو العتو والتكبر في الأرض بغير الحقِّ. وأما العلوُّ الأول والحرص عليه، فهو محمود، قال الله تعالى: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: 26]. وقال الحسن: إذا رأيت الرَّجُل ينافسك في الدنيا فنافسه في الآخرة، وقال وهيب بن الورد: إن استطعت أن لا يسبقك إلى الله أحد فافعل[1]. ففي درجات الآخرة الباقية يُشرعُ التنافس وطلب العلوِّ في منازلها والحرص على ذلك بالسَّعي في أسبابه، وأن لا يقنع الإنسان منها بالدون مع قدرته على العلوِّ، وأما العلوُّ الفاني، المنقطع الذي يُعقب صاحبه غداً حسرة وندامة وذلة وهواناً وصغاراً فهو الذي يُنْشَرُ الزهد فيه والإعراض عنه[2].

وهذا الفقه العظيم والفهم العميق نتعلمه من سيرة الحسن بن علي ﷺ فقد ترك الملك والسلطان رغبة فيما عند الله وحقناً لدماء المسلمين، فقد تركها وهو في قوة ومنعة فقد قال: كانت جماجم العرب بيدي، يسالمون من سالمت ويحاربون من حاربت فتركتها ابتغاء وجه الله[3]. وقال في رواية أخرى: . . ولكن خشيت أن يجيء يوم القيامة سبعون ألفاً أو ثمانون ألفاً، أو أكثر أو أقلُّ، كلهم تنضح أوداجهم دماً، كلهم يستعدي الله فيم هُرِيق دمه[4]، لقد بايع الحسن بن علي بعد وفاة علي تسعون ألفاً[5]، فزهد في الخلافة، فلم يُردها وسلّمها لمعاوية وقال: لا يهرق على يدي محجمة دم[6]. وقال في رواية: ما أحببتَ أن ألي من أمة محمد مثقال حبة من خردل يهراق فيه محجمة من دم، قد علمت ما ينفعني ممّا يضرني، فالحقوا بطيّتكم[7].

4 - إنفاقه وكرمه وجوده:

من الأخلاق القرآنية والتي تتصف بها النفوس الكريمة التي تجسدت في شخصية الحسن ابن علي ﷺ: خلق الكرم والجود، وكثرة الإنفاق في سبيل الله تعالى، وكان تنويه القرآن الكريم بأهل الكرم عظيماً، وقد كان هذا التنويه من أول القرآن الكريم حيث يقول سبحانه في مستهل ثاني سورة بعد البسملة: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ

(1) شرح حديث ما ذئبان جائعان لابن رجب، ص 72.
(2) المصدر السابق نفسه، ص 73.
(3) البداية والنهاية (11/ 206).
(4) تاريخ دمشق (14/ 104).
(5) المصدر السابق نفسه (14/ 98).
(6) المصدر السابق نفسه (14/ 98).
(7) بطيتكم: طية الشيء: جهته ونواحيه، تاريخ دمشق (14/ 89).

يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ثم وصفهم بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: 1 - 5] وقد تأثر أمير المؤمنين الحسن بالقيم القرآنية والنبوية والتربية العملية في حضن أمير المؤمنين علي وانعكس ذلك على نفسيته وترك لنا آثاراً بارزة دالة على تأصل خلق الجود والكرم والإنفاق في شخصيته العظيمة، فقد كان على جانب عظيم من السخاء والجود، وكيف لا يكون كذلك وقد شبَّ وكبر في بيت أكرم الكرماء سيدنا رسول الله ﷺ الذي كان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، وقد تسللت إليه هذه الخلة الكريمة وتشربتها نفسه في طفولته، وأخبار كرمه وجوده أصبحت مضرب الأمثال، وقدوة العظماء من الرجال[1].

منها: قال محمد بن سيرين: ربما أجاز الحسن بن علي الرجل الواحد بمائة ألف[2]، وقال سعيد بن عبد العزيز: سمع الحسن رجلاً إلى جانبه يدعو الله أن يملكه عشرة آلاف درهم فقام إلى منزله فبعث إليه[3]، وذكروا أنه رأى غلاماً في حائط من حوائط المدينة يأكل من رغيف لقمة، ويطعم كلباً هناك لقمة، فقال له: ما حملك على هذا؟ فقال: إني أستحي من أن آكل ولا أطعمه، فقال له الحسن: لا تبرح مكانك حتى آتيك، فذهب إلى سيده فاشتراه، واشترى الحائط الذي هو فيه، فأعتقه وملَّكه الحائط، فقال له الغلام: يا مولاي قد وهبت الحائط للذي وهبتني له[4].

وقال أبو هارون العبدي: انطلقنا حجاجاً فدخلنا المدينة، فدخلنا على الحسن بن علي، فحدثناه بمسيرتنا، وحالنا، فلما خرجنا بعث إلى كل واحد منا بأربعمائة، فرجعنا، فأخبرناه بيسارنا، فقال: لا تردوا علي معروفي فلو كنت في غير هذه الحال لكان هذا لكم يسيراً، أما إني مزودكم، إن الله يباهي ملائكته بعباده يوم عرفة[5]، فهذا الحسن بن علي رضي الله عنه قد أعطى أولئك الحجاج ذلك المال مع ظهور يسارهم، فكيف الحال لو كانوا محتاجين؟ وحينما أظهروا له عدم حاجتهم لم يقبل منهم رد ذلك المال، وهذا دليل على قوة الدافع في نفسه نحو السخاء والجود، ولم ينس أن يزودهم بما هو خير من ذلك حيث ذكّرهم بفضل يوم عرفة الذي يباهي الله تعالى به ملائكته عليهم السلام[6].

وعن عبد الله بن عبيد الله بن عمير قال: قال ابن عباس عن الحسن بن علي: ولقد قاسم الله ماله ثلاث مرات، حتى إنه يعطي الخف ويمسك النعل[7]. وهذا مثال عزيز في الكرم،

(1) الدوحة النبوية الشريفة، ص 84.
(2) تهذيب الكمال (6/ 234).
(3) سير أعلام النبلاء (3/ 260).
(4) البداية والنهاية (11/ 196).
(5) سير أعلام النبلاء (3/ 261).
(6) التاريخ الإسلامي (17/ 136).
(7) سير أعلام النبلاء (3/ 260).

حيث قسم الحسن بن علي ﷺ ماله قسمين ثلاث مرات، فكان يتصدق بنصف ماله، ولقد كان دقيقاً في محاسبته نفسه وكأنه يؤدي واجباً من الواجبات، حيث كان يعطي الخف ويمسك النعل مع أن أحدهما لا يغني عن الآخر، وأنه في عمله هذا قد جعل من نفسه قدوة للمسلمين في أعمال الخير والإحسان[1].

فقد كان ﷺ من أسخى أهل زمانه[2]، وعد ﷺ من الأجواد[3]، ومن أخبار جوده: أن معاوية بن أبي سفيان بعث إليه بمائة ألف فقسمها بين جلسائه، فأصاب كل واحد منهم عشرة آلاف[4]، ومن أخبار كرمه أنه دخل على أسامة بن زيد وهو يجود بنفسه ويقول: واكرباه واحزناه، فقال له الحسن: وما الذي أحزنك يا عم؟ فقال له: أي ابن رسول الله عليَّ دين مقداره ستون ألف درهم ولا أتمكن من رده، فقال الحسن ﷺ: سأردها عنك، فقال له أسامة: فك الله رهانك يا ابن النبي، إن الله أعلم حيث يجعل رسالته[5].

وكان الناس يشهدون للحسن ﷺ بكرمه، ودليل ذلك: أن أعرابياً قدم إلى المدينة يستعطي الناس فقيل له: عليك بالحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ أو عبد الله بن جعفر أو سعيد بن العاص، فلقي سعيد بن العاص، فأكرمه وأعطاه ما أراد[6].

ومن كرم الحسن ﷺ أنه قيل له: من أحسن الناس عيشاً؟ فقال من أشرك الناس في عيشه، وقيل له: من شر الناس؟ فقال: من لا يعيش في عيشه أحد[7]. ولقد سئل الحسن بن علي ﷺ: لأي شيء نراك لا ترد سائلاً وإن كنت على فاقة؟ فقال: إني لله سائلاً وفيه راغباً، وإن الله تعالى عودني عادة، عودني أن يفيض نعمه عليّ، وعودته أن أفيض نعمه على الناس، فأخشى إن قطعت عادتي أن يمنعني عادته[8]، وكان الحسن ﷺ في سخائه وإيثاره لا يميز بين غني وفقير، أو صغير وكبير، أو قريب أو بعيد، لأن النفس التي ترتاح للبذل والعطاء، وجبلت على الكرم والسخاء لذتها في إسعاد الناس[9] ابتغاء مرضاة الله وطلباً للمثوبة والأجر، تجد راحتها في ذلك. وكأن الشاعر حافظ إبراهيم كان يعني الحسن عندما قال:

(1) التاريخ الإسلامي (17/ 137).
(2) المحاسن والمساوىء، ص 55، الحسن بن علي، ص 32.
(3) الحسن بن علي، رسالة ماجستير، ص 32، لم تنشر.
(4) البداية والنهاية، نقلاً عن الحسن بن علي، ص 32.
(5) المحاسن والمساوىء، ص 57.
(6) غاية المرام، عز الدين القريشي (1/ 95).
(7) تاريخ اليعقوبي (2/ 226، 227).
(8) نصيحة الملوك، ص 438، للماوردي.
(9) الدوحة النبوية الشريفة، ص 84.

إني لتطربني الخلالُ كريمةً ... طرب الغريب بأوبة وتلاق
ويهزُّني ذكرُ المروءة والندى ... بين الشمائل هِزة المشتاق
فإذا رُزِقتَ خليقة محمودة ... فقد اصطفاك مقسِّم الأرزاق
فالناس هذا حظه مال، وذا ... علم، وذاك مكارم الأخلاق

وعن علي بن أبي طالب ﷺ، أنه خطب الناس ثم قال: إن ابن أخيكم الحسن بن علي قد جمع مالاً، وهو يريد أن يقسمه بينكم، فحضر الناس فقام الحسن فقال: إنما جمعته للفقراء، فقام نصف الناس، ثم كان أول من أخذ منه الأشعث بن قيس[1]، ومن سيرة الحسن ابن علي نتعلم أن بداية انطلاق النفس إلى رضاء الله، وتخلُّصها من جواذب الأرض، وتطهيرها من الشح بدوام الإنفاق في سبيل الله حتى يصير سجية من سجاياها، فتزهد في المال ويخرج حبه من القلوب، فلا يفرح صاحبه بزيادته ولا يحزن على نقصانه مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[الحديد: 23].
كما أن للصدقة أثر عظيم في تزكية النفوس، فإن لها فوائد أخرى عظيمة في الدنيا والآخرة منها:

*** فهي أفضل استثمار للمال:**

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، فإن الله يقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فُلوه حتى يكون مثل الجبل»**[2].

*** وهي حجاب من النار:**

عن عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: **«يا عائشة استتري من النار ولو بشق تمرة، فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان»**[3].

*** وهي ظل لصاحبها يوم القيامة:**

عن عقبة بن عامر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«كل امرئ في ظل صدقته حتى يُقضى بين الناس»**[4].

---

(1) الطبقات (1/ 278) إسناده صحيح.
(2) صحيح متفق عليه، والفلو: الفرس أول ما يولد.
(3) صحيح الترغيب والترهيب للألباني رقم: 855.
(4) المصدر السابق نفسه: 822.

* والصدقة تدفع العذاب وقد ترد الحقوق بين الناس:

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار، فإني رأيتكن أكثر أهل النار، إنكن تكثرن اللعن، وتكفرن العشير**»[1]. قال ابن حجر: وفي هذا الحديث: أن الصدقة تدفع العذاب، وأنها تكفر الذنوب بين المخلوقين[2].

وأما في الدنيا ففوائدها كثيرة ومجزية، وجاءت الأحاديث التي تؤيد تلك الفوائد، فهي دواء للمرضى، وتدفع البلاء، وتيسر الأمور، تجلب الرزق، تقي مصارع السوء، وتطفئ غضب الرب، وتزيل أثر الذنوب[3].

إن للإنفاق في سبيل الله علاقة وثيقة بالسير إلى الله، فهو وسيلة مؤثرة غاية التأثير، كما أنه من الوسائل المحورية في إحياء القلب وإيقاظ الإيمان، ولنا في جود وكرم وإنفاق الحسن ابن علي أسوة وقدوة حسنة. فإن الإنفاق في سبيل الله من أعظم أبواب الجنة، وهو مفتوح للموسرين أكثر من غيرهم، دخل من خلاله سادات الأمة الجنة، مثل عثمان وعبد الرحمٰن بن عوف والحسن وغيرهم، فعلى أغنياء المسلمين في العصر الحديث أن يقتحموا هذا الباب فيدعموا قضايا الإسلام العادلة ومشاريع الدعوة إليه بما يستطيعون، فيكسبون رضا الله ودخول الجنة والمساهمة في نصرة دين الله وإغاثة المحتاجين، ولا يبخلوا فيضيق الله عليهم.

5 - حلمه:

كان بين الحسن بن علي ومروان بن الحكم كلام، فأقبل عليه مروان فجعل يغلظ له، والحسن ساكت، فامتخط مروان بيمينه، فقال الحسن ﷺ: ويحك أما علمت أن اليمين للوجه والشمال للفرج، أف لك، فسكت مروان[4]. وما سكوت الحسن ﷺ، إلا لما كان لحقّ نفسه، فلما خالف مروان السنة، غضب لله وللسنة وأبان له الصواب فيها[5]، ولما مات ﷺ، بكى مروان بن الحكم في جنازته، فقال له الحسين: أتبكيه وقد كنت تجرّعه ما تجرّعه؟ فقال: إني كنت أفعل ذلك إلى أحلم من هذا، وأشار إلى الجبل[6].

وذكر ابن عائشة أن رجلاً من أهل الشام قال: دخلت المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، فرأيت رجلاً راكباً على بغلة، لم أرَ أحسن وجهاً ولا سمتاً، ولا ثوباً، ولا دابة منه، فمال قلبي إليه فسألت عنه، فقيل: هذا الحسن بن علي بن أبي طالب، فامتلأ قلبي بغضاً له،

(1) متفق عليه.
(2) فتح الباري (1/ 536).
(3) الإيمان أولاً كيف نبدأ به، ص 188 إلى 189.
(4) سير أعلام النبلاء (3/ 260).
(5) الدوحة النبوية الشريفة، ص 87.
(6) تهذيب الكمال (6/ 235).

وحسدت علياً أن يكون له ابن مثله، فصرت إليه، فقلت: أأنت ابن علي بن أبي طالب؟ قال: أنا ابنه، قلت: فعل بك وبأبيك، أسبهما، فلما انقضى كلامي، قال لي: أحسبك غريباً، قلت: أجل، قال: مر بنا فإن احتجت إلى منزل أنزلناك، وإن احتجت إلى مال آسيناك، أو إلى حاجة عاوناك، قال: فانصرفت عنه، وما على الأرض أحب إليَّ منه، وما فكرت فيما صنع وصنعت إلا شكرته وخزيت نفسي[1].

وهذه المواقف الكريمة التي نتعلم منها الحلم من سيرة الحسن بن علي ﷺ وكيفية كسب المخالفين، بالإحسان إليهم والترفق بهم والصبر على أذاهم ومحبة الخير لهم، وقد يغلب على كثير منهم الجهل وعدم معرفة الحقائق، تطبيقاً لقول الله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: 199] واقتداء بجده ﷺ، فقد بلغ عليه الصلاة والسلام الذروة والغاية في حلمه وعفوه وضبط نفسه إزاء التخرصات والمفتريات التي نُسِبت إليه، إضافة إلى الإيذاء من مشركي العرب: كامرأة أبي لهب، وأبي جهل، وأبيّ بن خلف، وغيرهم من سفهاء مكة[2]، ووصفت السيدة عائشة ﷺ خُلُق رسول الله ﷺ فقالت: ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح[3]، وعنها أيضاً قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط - بيده ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء - قط فينتقم من صاحبه، إلا أن ينتهك شيئاً من محارم الله فينتقم لله ﷻ[4].

وعن معاذ بن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من كظم غيظاً - وهو قادر على أن ينفذه[5] - دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يُخيِّر من أي الحور العين[6] شاء**»[7]

وفي صفة الحلم يقول الشاعر:

وفي الحلم ردع للسفيه عن الأذى ... وفي الخرق[8] إغراء فلا تك أخرقا

فتندم إذ لا تنفعك ندامة ... كما ندم المغبون لمّا تفرّقا[9]

---

(1) وفيات الأعيان (2/ 67، 68).

(2) الأخلاق بين الطبع والتطبع، فيصل الحاشدي، ص 139.

(3) رواه الترمذي رقم: 2016، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي رقم: 1640.

(4) مسلم رقم: 2328.

(5) ومنه العفو عند المقدرة.

(6) الحور: نساء شديدات سواد العيون وبياضها.

(7) سنن الترمذي رقم: 4777، حسّنه الألباني، صحيح الجامع (2/ 6518).

(8) الخرق: الجهل ضدُّ الرِّفق.

(9) الأخلاق بين الطبع والتطبع، ص 151.

6 - تواضعه:

مرّ الحسن بن علي ﷺ على جماعة من الفقراء قد وضعوا على وجه الأرض كسيرات من الخبز كانوا قد التقطوها من الطريق، وهم يأكلون منها، فدعوه إلى مشاركتهم فأجابهم إلى ذلك وهو يقول: إن الله لا يحب المتكبرين. ولما فرغ من تناول الطعام دعاهم إلى ضيافته، فأطعمهم وكسَاهم وأغدق عليهم من إحسانه[1]، ومن مواقف تواضعه: أنه مرّ على صبيان يتناولون الطعام فدعوه لمشاركتهم، فأجابهم إلى ذلك ثم حملهم إلى منزله فمنحهم ببره ومعروفه وقال: اليد لهم لأنهم لم يجدوا غير ما أطعموني ونحن نجد مما أعطيناهم[2]، فصفة التواضع من صفات عباد الرحمن، قال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾[الفرقان: 63]، والتواضع علامة من علامات حب الله للعبد، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[المائدة: 54] فمن سيرة الحسن بن علي ﷺ نتعلم صفة التواضع، قال الشاعر:

تواضعْ كالنجمِ لاحَ[3] لناظرٍ ... على صفحاتِ الماءِ وهو رفيعُ
ولا تَكُ كالدخانِ يعلو بنفسهِ ... على طبقاتِ الجوِّ وهوَ وضيعُ[4]

7 - سيادته:

ولقد أعلن رسول الله ﷺ مكانة هذا الإمام وسيادته وجلالة قدره، على مرأى ومسمع من الناس في غير مرة، وقد تواترت الروايات بقوله ﷺ عن الحسن: «**إن ابني هذا سيد**»، قال ابن عبد البر: وتواترت الآثار الصحاح عن النبي ﷺ أنه قال في الحسن بن علي: «**إن ابني هذا سيد، وعسى الله أن يبقيه حتى يصلح بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»[5]، وجاء من حديث جابر بن عبد الله: قال رسول الله ﷺ: «**إن ابني هذا - يعني الحسن - سيِّد، وليصلحنَّ الله به بين فئتين من المسلمين**»[6]، وعن سعيد بن أبي سعيد قال: كنا مع أبي هريرة جلوساً، فجاء حسن بن علي بن أبي طالب فسلم علينا، فرددنا عليه، وأبو هريرة لا يعلم فمضى، فقلنا: يا أبا هريرة هذا حسن بن علي قد سلم علينا، فقام فلحقه، فقال: يا سيدي، فقلت له: تقول يا

---

(1) حياة الإمام الحسن بن علي (1/ 291).
(2) صلاح الأمة في علو الهمة (5/ 437).
(3) لاح: ظهر وبرز.
(4) الأخلاق بين الطبع والتطبع، ص 128.
(5) البخاري، فضائل الصحابة (7/ 94).
(6) الطبراني في الكبير رقم: 2597.

سيدي؟ قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه لسيد»[1]، وعن جابر بن عبد الله أنه قال: «من سرَّه أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى الحسن بن علي»[2] وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»[3].

وقد نقل إلينا خبر سيادة الحسن والحسين في الجنة جمع غفير من الصحابة، وما ذلك إلا لإعلان رسول الله ﷺ بذلك مرة بعد مرة، أو في محافل جامعة[4]، وقد أثبتت الأيام ومرور الشهور والأعوام على رسوخ صفة السيادة في الحسن، وقد بلغت ذروتها في توفيق الله له في عقد الصلح مع معاوية، وجمع الأمة على كلمة سواء، فقد كان الحسن سيداً جليلاً، ويعلمنا الحسن بأن السيادة لا تكون بالقهر وسفك الدماء، أو إهدار الأموال والحرمات، بل السيادة بصيانتها وإزالة البغضاء والشحناء، فصلحه وحقنه لدماء المسلمين بلغ فيه ذروة السيادة التي لا يستطيعها من فكر بالقوة وهو يملك طرفاً منها، وقد صالح الحسن معاوية وحوله الألوف، فيهم من هو طامع مدسوس ولكن فيهم الكثير الكثير من المخلصين الأوفياء، فما أراد أن تراق بسببه قطرة دم، أو يخدش مسلم في هذا السبيل، وإن الرئاسة للأقوام إن لم تكن لصيانتها وحياطتها وحفظها، وترقيتها، فهي نوع من الطاغوت الأعمى والتهور الأحمق، والمغامرة والمقامرة التي تجلب معها الدمار والخراب، والإذلال واليباب، وينتهي أصحابها إلى غضب الله، ولعنة التاريخ، وهل تدافع أمواج الدماء البشرية عبر العصور والقرون إلا من الحرص على الرئاسة والسلطان والتكالب على الدنيا[5]؟

8 - صفاته الخَلْقية:

كان الحسن بن علي رضي الله عنه سيداً وسيماً جميلاً، أبيض اللون مشرباً بحمرة، أدعج العينين سهل الخدين، كث اللحية، كأن عنقه إبريق فضة، عظيم الكراديس بعيد ما بين المنكبين، ليس بالطويل ولا بالقصير، من أحسن الناس وجهاً، جعد الشعر حسن البدن[6]، ومن بركات الله سبحانه وتعالى على الحسن أنه كان أشبه الناس بجده ﷺ[7].

---

(1) المستدرك (3/ 169) وقال الحاكم: صحيح، وأقرَّه الذهبي.
(2) صحيح ابن حبان (15/ 421، 422)، مجمع الزوائد (9/ 178).
(3) مستدرك الحاكم (3/ 166) وقد صح هذا الحديث من أوجه كثيرة.
(4) الدوحة النبوية الشريفة، ص 81.
(5) الدوحة النبوية الشريفة، ص 94.
(6) سير أعلام النبلاء (3/ 49)، أخبار الدول، ص 105.
(7) الحسن بن علي، فتيخان كردي، ص 24.

ثانياً: من حياة الحسن بن علي في المجتمع:

ترك لنا الحسن بن علي مواقف متميزة من حياته في المجتمع الإسلامي الراشدي، فقد كان حريصاً على تصحيح المفاهيم وقضاء حوائج الناس، ومخالطتهم بالحسنى، وإرشادهم بالمواعظ، والحكم النادرة وغير ذلك، وإليك تفصيل ما أجملت:

1 - تفنيده لمعتقد الرجعة:

عن عمرو بن الأصمّ، قلت للحسن: إن الشيعة تزعم أن علياً مبعوث قبل يوم القيامة، قال: كذبوا والله، ما هؤلاء بالشيعة، لو علمنا أنه مبعوث ما زوَّجنا نساءه، ولا اقتسمنا ماله[1]، وكان أول من قال بالرجعة ابن سبأ، إلا أنه قال بأنه غاب وسيرجع ولم يصدق بموته، وكانت عقيدة الرجعة خاصة برجعة الإمام عند السبئية الكيسانية وغيرها، ولكنها صارت عند الاثني عشرية عامة للإمام وكثير من الناس، ويشير الآلوسي إلى أنَّ تحول مفهوم الرجعة عند الشيعة الرافضة من رجعة الإمام فقط إلى ذلك المعنى العام كان في القرن الثالث[2]، وأما المفهوم العام لمبدإ الرجعة عند الاثني عشرية فهو يشمل ثلاثة أصناف:

* - الأئمة الاثني عشر، حيث يخرج المهدي من مخبئه، ويرجع من غيبته، وباقي الأئمة يحيون بعد موتهم ويرجعون لهذه الدنيا.

* - ولاة المسلمين الذين اغتصبوا الخلافة - في زعمهم الباطل - من أصحابها الشرعيين «الأئمة الاثني عشرية»، فيبعث خلفاء المسلمين وفي مقدمتهم أبو بكر وعمر وعثمان.. ومن قبورهم يرجعون لهذه الدنيا - كما يزعم الشيعة الإماميَّة - للاقتصاص منهم بأخذهم الخلافة من أهلها، فتجري عليهم عمليات التعذيب والقتل والصلب.

* - عامة الناس، ويخص منهم: من محض الإيمان محضاً، وهم الشيعة عموماً - على حد زعمهم - ولأن الإيمان خاص بالشيعة كما تتفق على ذلك رواياتهم وأقوال شيوخهم، ومن محض الكفر محضاً وهم كل الناس ما عدا المستضعفين[3]. ولهذا قالوا في تعريف الرجعة: إنها رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة[4]، وعودتهم إلى الحياة بعد الموت في صورهم التي كانوا عليها[5].

---

(1) سير أعلام النبلاء (3/ 263).
(2) روح المعاني (5/ 27)؛ ضحى الإسلام، أحمد أمين (3/ 237).
(3) أصول الشيعة الإمامية (2/ 1105).
(4) تفسير القمي (2/ 76)، وضع عنواناً في أعلى الصفحة: أعظم دليل على الرجعة.
(5) أوائل المقالات، ص 95.

وقد خالف الشيعة الإماميَّة علماء أهل البيت ممن ساروا على الهدى والحق: كتاب الله وسنة رسوله في معتقد الرجعة، وعلى رأسهم الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ، وجعلوا الرجعة من أصول المذهب الشيعي الرافضي، فمن رواياتهم التي اختلقها الرواة الكذبة: ليس منّا من لم يؤمن بكَرَّتِنا[1]، وقال ابن بابويه في الاعتقادات: واعتقادنا في الرجعة أنها حق[2]، وقال المفيد: واتفقت الإمامية على وجوب رجعة كثير من الأموات[3]، وقال الطبرسي والحر العاملي، وغيرهما من شيوخ الشيعة: بأنها موضع إجماع الشيعة الإمامية[4]، وأنها من ضروريات مذهبهم، وأنهم: مأمورون بالإقرار بالتوحيد والنبوة والإمامة والقيامة[5].

إن فكرة الرجعة عند الشيعة الإماميَّة بعد الموت مخالفة صريحة لنص القرآن الكريم، وباطلة بدلالة آيات عديدة من كتاب الله سبحانه وتعالى، قالَ تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المومنون: 99-100] فقوله سبحانه: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ صريح في نفي الرجعة مطلقاً[6]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنعام: 27-28]. فهؤلاء جميعاً يسألون الرجوع عند الموت، وعند العرض على الجبار جلَّ في علاه، وعند رؤية النار يجابون، لما سبق من قضائه: أنهم لا يرجعون، ولذلك عد أهل العلم القول بالرجعة إلى الدنيا بعد الموت من أشد مراحل الغلو في بدعة التشيع[7].

وقد مرّ معنا موقف الحسن بن علي من رواية عمرو بن الأصمّ، وقد جاء في مسند أحمد: أن عاصم بن ضمرة - وكان من أصحاب علي ﷺ - قال للحسن بن علي: إن الشيعة يزعمون أن علياً يرجع. قال الحسن: كذب أولئك الكذابون، ولو علمنا ذلك ما تزوج نساؤه ولا قسمنا ميراثه[8]، والقول بالرجعة بعد الموت على الدنيا لمجازاة المسيئين وإثابة المحسنين ينافي طبيعة هذه الدنيا، وأنها ليست دار جزاء، قال تعالى: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: 185].

وقد كان لابن سبأ اليهودي دور التأسيس لمبدإ الرجعة، إلا أنها رجعة خاصة بعلي، كما أنه

---

(1) أصول الشيعة الإمامية (2/ 1103).
(2) الاعتقادات، ص 90.
(3) أوائل المقالات، ص 51.
(4) مجمع البيان (5/ 52).
(5) القاموس (3/ 28)؛ مجمع البحرين (4/ 334).
(6) مختصر التحفة، ص 201.
(7) أصول الشيعة الإمامية (2/ 1124).
(8) مسند أحمد (2/ 312)، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

ينفي وقوع الموت عليه أصلاً، كحال الاثني عشرية مع مهديهم الذي يزعمون وجوده، وعقيدة الرجعة عند الشيعة الإمامية خلاف ما علم من الدين بالضرورة من أنه لا حشر قبل يوم القيامة، وأن الله كلما توعد كافراً أو ظالماً إنما توعده بيوم القيامة، كما أنها خلاف الآيات والأحاديث المتواترة المصرحة بأنه لا رجوع إلى الدنيا قبل يوم القيامة[1]. هذا من حيث النقل، وأما من حيث العقل: فإن الله جعل الدنيا دار ابتلاء، وجعل الآخرة دار جزاء، فلماذا يرجعهم للدنيا ليحاسبهم فيها مع وجود الآخرة؟! علماً بأن عذاب الآخرة أعظم وأشد لمن انحرف عن دينه، ولم يحدث أن أرجع الله أحداً من الأموات ليحاسبه في الدنيا في تاريخ البشرية كلها.

2 - قضاء حوائج الناس:

جاء رجل إلى الحسن بن علي ﷺ فذكر له حاجته فخرج معه لحاجته، فقال: أما إني قد كرهت أن أعنيك في حاجتي، ولقد بدأت بحسين فقال: لولا اعتكافي لخرجت معك. فقال الحسن: لقضاء حاجة أخ لي في الله أحبّ إليّ من اعتكاف شهر[2]، وجاء في رواية أخرى: أنه ترك الطواف وخرج في حاجة إنسان له حاجة عند شخص معين[3].

وجاء من كلام الحسن - وذكر بعض الكتّاب أنه من كلام الحسين ﷺ -: إن حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم، فلا تملوا النعم فتحور[4] نقماً، واعلموا أن المعروف مكسب حمداً ومعقب أجراً، فلو رأيتم المعروف رجلاً، رأيتموه حسناً جميلاً يسر الناظرين ويفوق العالمين، ولو رأيتم اللؤم، رأيتموه سمجاً[5] مشوهاً، تنفر عنه القلوب والأبصار[6].

وذكر صاحب كتاب الشهب اللامعة في السياسة النافعة: أن رجلاً رفع إلى الحسن بن علي ﷺ رقعة فقال: قد قرأتها، حاجتك مقضية، فقيل له: يا ابن بنت رسول الله ﷺ، لو نظرت إلى رقعته وراجعته على حسب ما فيها، فقال: أخاف أن أسأل عن ذل مقامه بين يدي حتى أقرأها[7].

وهذه المواقف تدل على حسن أخلاقه وعظمتها مع تواضع كبير، ولا نستغرب ذاك من سيدنا الحسن، فهو القائل: مكارم الأخلاق عشرة: صدق اللسان، وصدق البأس، وإعطاء السائل، وحسن الخلق، والمكافأة بالصنائع، وصلة الرحم، والترحم على الجار، ومعرفة الحق للصاحب، وقرى الضيف، ورأسهن الحياء[8].

---

(1) أصول الشيعة الإمامية (2/ 1124).
(2) تاريخ دمشق الكبير (14/ 76).
(3) المصدر السابق نفسه. (14/ 76).
(4) تحور: ترجع.
(5) سمج: قبيح، لسان العرب (2/ 197).
(6) الشهب اللامعة في السياسة النافعة، ص 441.
(7) الشهب اللامعة في السياسة النافعة، ص 439.
(8) من أقوال الصحابة، محمد خورشيد، ص 68، الحسن بن علي، ص 31.

وأيضاً قوله: أشد من المصيبة سوء الخلق[1].

وهذه المواقف الكريمة للحسن رضي الله عنه تطبيق لتوجيهات رسول الله ﷺ، فعن عبد الله بن دينار عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ قال: قيل: يا رسول الله، من أحب الناس إلى الله؟ قال: «**أنفعهم للناس، وإن أحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مؤمن، تكشف عنه كرْباً أو تقضي عنه ديناً أو تطرد عنه جوعاً، ولأنْ أمشي مع أخي المسلم في حاجة، أحبُّ إليَّ مِنْ أن أعتكف شهرين في مسجد.. ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجة حتى يُثبتَها له، ثبَّت الله قدمه يوم تزل فيه الأقدام، وإنَّ سوء الخُلُقِ ليُفْسِدُ العمل، كما يفسد الخلُّ العسل**»[2]. وعن مسلمة بن مخلد، أن النبي ﷺ قال: «**من ستر مسلماً في الدنيا ستره الله في الدنيا والآخرة، ومن نجّى مكروباً فك الله عنه كُربةً من كرب يوم القيامة، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته**»[3].

3 - زواجه من بنت طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه:

عن شعيب بن يسار، أن الحسن بن علي أتى ابناً لطلحة بن عبيد الله[4]، فقال: قد أتيتك لحاجة وليس لي مرد، قال: وما هي؟ قال: تزوجني أختك[5]، قال: إن معاوية كتب إلي يخطبها على يزيد، قال: مالي مردٌّ إذ أتيتك، فزوجها إياي، ثم قال: ادخل بأهلك، فبعث إليها بحلة ثم دخل بها، فبلغ ذلك معاوية، فكتب إلى مروان أنْ خيّرها، فخيّرها فاختارت حسناً فأقرّها، ثم خلف عليها بعده حسين[6].

4 - زواجه من خولة بنت منظور:

عن ابن أبي مليكة، قال: تزوج الحسن بن علي خولة بنت منظور فبات ليلة فوق إجّار[7]، فشدت خمارها برجله والطرف الآخر بخلخالها، فقام من الليل فقال: ما هذا؟ قالت: خفت أن تقوم من الليل بوسنك[8] فتسقط، فأكون أشأم سخلة[9] على العرب،

---

(1) تاريخ اليعقوبي (2/ 227).
(2) سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم: 906، وحسن الألباني إسناد في الصحيح الجامع.
(3) مصنف عبد الرزاق رقم: 18936، حديث صحيح.
(4) هو إسحاق بن طلحة. (5) هي أم إسحاق.
(6) الطبقات، تحقيق السُّلمي (1/ 292) إسناده لا بأس به.
(7) المصدر نفسه (1/ 307) الإجّار: سطح ليس حواليه سترة.
(8) الوسن: قيل: النوم الثقيل، وقيل: أول النوم.
(9) سخلة: السخلة: ولد الشاه من المعز والضأن ذكراً كان أو أنثى، ويطلق على المولود المحبب لوالديه، والمراد: أشأم امرأة.

فأحبها، فأقام عندها سبعة أيام[1]. فقال ابن عمر: لم نر أبا محمد منذ أيام. فانطلقوا بنا إليه، فأتوه فقالت له خولة: أتحبسهم حتى نهيئ لهم غداءً؟ قال: نعم، قال ابن عمر: فابتدأ الحسن حديثاً ألهانا بالاستماع إعجاباً به حتى جاءنا الطعام[2].

5 - لا يرى أمهات المؤمنين:

كان الحسن والحسين لا يريان أمهات المؤمنين. فقال ابن عباس: إنَّ رؤيتهن حلال لهما، وعلق الذهبي فقال: الحل متيقن[3]. وهذا يدل على شدة حيائه.

6 - الغيرة في النسب النبوي:

دخل سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما السُّوق لحاجة يقضيها فساوم صاحب دكان في سلعة، فأخبره بالسعر العام، ثم علم أنه الحسن بن علي رضي الله عنهما سبط رسول الله ﷺ، فنقص في السعر إجلالاً له وإكراماً، ولكن الحسن بن علي رضي الله عنهما لم يقبل منه ذلك، وترك الحاجة، وقال: إنني لا أرضى أن أستفيد من مكانتي من رسول الله في شيء تافه[4].

وهذا الحال كان مصاحباً لأهل البيت ممن ساروا على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فهذا زين العابدين بن علي بن الحسين، يقول عنه جويرية بن أسماء - وهو من أخص خدمه: ما أكل علي بن الحسين بقرابته من رسول الله ﷺ درهماً قط[5]، وكان إذا سافر كتم نفسه، فقيل له في ذلك، فقال: أنا أكره أن آخذ برسول الله ﷺ ما لا أعطي به[6]. وكذلك روي عن أبي الحسن علي الرضا بن موسى الكاظم فقد قيل: إنه كان إذا سافر كتم نفسه، فقيل له في ذلك، فقال: أنا أكره أن آخذ برسول الله ﷺ ما لا أعطي به[7]، فهؤلاء السادة من أهل البيت كانوا غيارَى أشد الغيرة في الرحم التي كانت تصلهم برسول الله ﷺ فما كانوا يستغلون هذه النسبة لمصالح دنيوية، شأن أبناء أسر الزعماء الدينيين في الديانات الأخرى ممن ينالون تقديساً زائداً في كل حال، ويعاملون من أتباعهم كشخصيات تفوق البشر، وكانوا بعيدين عن كسب حطام الدنيا بأسمائهم، وبناء قصور الفخر على عظامهم، واستغنائهم وعزّة نفسهم، تصور سيرتهم

---

(1) المعلوم من السنة أن الرجل إذا تزوج امرأة على زوجته فإنه يقيم عندها سبعة أيام متواصلة إذا كانت بكراً وثلاثة أيام إذا كانت ثيباً ثم يعود إلى القسم بينهن، وخولة عندما تزوجها الحسن لم تكن بكراً حيث سبقها عليه محمد بن طلحة بن عبيد الله كما في جمهرة أنساب العرب لابن حزم، ص 258، وحقها ثلاث ليال لا سبع. وهذا ما يؤكد ضعف الرواية فإن إسنادها ضعيف جداً، وهذه نكارة في المتن تؤكد الضعف.

(2) الطبقات، تحقيق السُّلمي (1/ 307، 308) إسناده ضعيف.

(3) سير أعلام النبلاء (3/ 265).

(4) المرتضى للندوي، ص 228.

(5) البداية والنهاية، نقلاً عن المرتضى للندوي، ص 228.

(6) وفيات الأعيان (2/ 434).

(7) المصدر السابق نفسه (2/ 434).

وسلوكهم تصويراً يختلف تماماً عن سيرة الطبقة المحترفة بالدين من البراهمة والكهنة في الديانات والملل الأخرى، فإنها تعتبر ذات قدسية وعظمة عن طريق الولادة، فهي لا تحتاج لكسب المعاش وتحقيق حاجات الحياة إلى بذل شيء من الجُهد والسعي[1].

7 - صلاته على الأشعث بن قيس:

مات الأشعث بن قيس بعد مقتل أمير المؤمنين علي بأربعين ليلة، وصلى عليه الحسن بن علي[2]، وهو زوج بنت الأشعث بن قيس[3]، وقد ذهبت بعض الروايات الضعيفة إلى تورط الأشعث بن قيس في دم أمير المؤمنين وهذا ليس عليه دليل، وذلك لأن الأشعث بن قيس عند استعراض دوره في خلافة علي ﷺ نجده مخلصاً ووفياً، فهو أول من حارب أهل الشام أثناء القتال على الماء، وأظهر العداوة للخوارج منذ نشأتهم، فهو الذي أبلغ علياً ﷺ أن الخوارج يقولون: إن علياً تاب من خطيئته ورجع عن التحكيم، وقاتل علي الخوارج في النهروان، وقد حرص كل الحرص على أن يوطد علاقته بعلي وآل بيته فزوج ابنته من الحسن بن علي ﷺ، وعندما أراد الحسن أن يبني بها قامت كندة وجعلت أرديتها بسطاً من بابه إلى باب الأشعث[4]، وقد مات الأشعث بعد مقتل علي وصلى عليه الحسن بن علي كما مرّ، ولم ينقل عن آل علي بن أبي طالب ﷺ أنهم اتهموا الأشعث بهذه التهمة، أو كشفوا أحداً من آل الأشعث بهذا السبب، ويظل قتل علي عملاً من تدبير الخوارج جاء في الأرجح ثأراً لقتلى النهروان[5].

8 - معاملته لمن يسيء إليه:

قدم رجل من المدينة وكان يبغض علياً فقطع به فلم يكن له زاد ولا راحلة، فشكا ذلك إلى بعض أهل المدينة، فقال له: عليك بالحسن بن علي، فقال له الرجل: ما لقيت هذا إلّا في حسن وأبي حسن؟ فقيل له: فإنك لا تجد خيراً إلا منه، فأتاه فشكا إليه، فأمر له بزاد وراحلة، فقال الرجل: الله أعلم حيث يجعل رسالته، فقيل للحسن: أتاك رجل يبغضك ويبغض أباك فأمرت له بزاد وراحلة؟ قال: أفلا أشتري عرضي منه بزاد وراحلة[6].

9 - من أدبه في المجالس:

كان ذات يوم جالساً في مكان، فأراد الانصراف، فجاءه فقير فرحب به ولاطفه وقال له:

---

(1) المرتضى للندوي، ص 228.
(2) الكامل في التاريخ (3/ 444).
(3) تهذيب التهذيب (2/ 300).
(4) تهذيب الكمال (3/ 393 - 394) الطبقات (6/ 23).
(5) دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، بطاينة، ص 52.
(6) تاريخ ابن عساكر (14/ 76).

إنك جلست على حين قيام منا أفتأذن لي بالانصراف؟ قال: نعم يا ابن بنت رسول الله ﷺ [1].

10 - حسن خلقه بين الناس:

عن عمير بن إسحاق قال: ما تكلم عندي أحد كان أحبَّ إليَّ إذا تكلَّم ألا يسكت من الحسن بن علي، وما سمعت منه كلمة فحش قط إلا مرة، فإنه كان بين الحسين بن علي وبين عمرو بن عثمان خصومة، فقال الحسن: ليس له عندنا إلا ما رَغِم أنفه. فهذه أشد كلمة فحش سمعتها منه قط[2].

11 - ملاعبته بالمداحي[3]:

قال سليمان بن شديد: كنت ألاعب الحسن والحسين بالمداحي فكنت إذا أصبت مدحاته فكان يقول لي: يحل لك أن تركب بضعة من رسول الله ﷺ! وإذا أصاب مدحاتي قال: أما تحمد ربك أن يركبك بضعة من رسول الله ﷺ [4].

12 - بعده عن فضول الكلام:

كان الحسن بن علي أكثر دهره صامتاً، فإذا قال بذَّ القائلين، فالحسن بن علي يعلمنا الابتعاد عن فضول الكلام، وهذا عن هدي النبي ﷺ، فقد قال: «**لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه**»[5]، وقال ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**»[6]، وجاء عنه: «**من صمت نجا**»[7]، وسئل الرسول ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس النار؟ فقال: «**الفم والفرج**»[8]، وقد سئل معاذ النبيَّ ﷺ عن العمل الذي يدخله الجنة ويباعده من النار، فأخبره برأسه وعموده وذروة سنامه ثم قال: «**ألا أخبرك بملاك ذلك كلِّه؟**» قال: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسان نفسه، ثم قال: «**كُفَّ عليك هذا**». فقال: وإنّا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: «**ثكلتك أمك يا معاذ وهل يُكبُّ الناس في النار على وجوههم - أو على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم**»[9] ويقول ابن عبيد: ما من الناس أحد يكون لسانه

---

(1) الطبقات (1/ 281) تحقيق السُّلمي، إسناده ضعيف، تاريخ الخلفاء، ص 73.

(2) البداية والنهاية (11/ 198).

(3) المداحي: هي أحجار أمثال القِرَصَة كانوا يحفرون حفرة ويدحون فيها بتلك الأحجار، فإن وقع الحجر فيها غلب صاحبها وإن لم يقع غُلب، وهي لعبة يلعب بها أهل مكة، وقد سئل ابن المسيب عن المراماة والمسابقة بها فقال: لا بأس به.

(4) الطبقات، تحقيق السُّلمي (1/ 294).

(5) السلسلة الصحيحة رقم: 2841.

(6) البخاري رقم: 6136.

(7) صحيح الجامع رقم: 6367.

(8) السلسلة الصحيحة رقم: 669.

(9) سنن الترمذي وقال: حديث صحيح.

منه على بال إلا رأيت ذلك صلاحاً في سائر عمله[1]، وكان ابن الكاتب يقول: إذا سكن الخوف في القلب لم ينطق اللسان إلا بما يعنيه[2]، وقال الأوزاعي: كتب إلينا عمر بن عبد العزيز رسالة: أما بعد: فإنه من أكثر ذكر الموت رضي بالدنيا باليسير، ومن عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما ينفعه، والسلام[3]. فالحسن بن علي كان يعد كلامه من عمله، ولذلك أكثر الصمت.

13 - إكرام الحسن بن علي أسامة بن زيد رضي الله عنهما:

عن حرملة - مولى أسامة - قال: أرسلني ابن زيد إلى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وقال لي: إنه سيسألك ويقول لك: ما خلّف صاحبك؟ فقل له: يقول لك: لو كنت في شدْق الأسد لأحببت أن أكون معك فيه، ولكن هذا أمر لم أرَه، قال: فأتيت علياً فلم يعطني شيئاً، فذهبت إلى حسن وحسين وعبد الله بن جعفر عليهم السلام فأوقروا لي راحلتي[4].

14 - الحسن بن علي واليهودي الفقير:

اغتسل الحسن رضي الله عنه وخرج من داره في بعض الأيام وعليه حلة فاخرة ووفرة ظاهرة ومحاسن سافرة، فعرض له في طريقه شخص من محاويج اليهود وعليه مسح من جلود، قد أنهكته العلة، وركبته القلة والذلة، وشمس الظهيرة قد شوت شواه وهو حامل جرة ماء على قفاه، فاستوقف الحسن رضي الله عنه وقال: يا ابن رسول الله، سؤال، قال: ما هو؟ قال: جدك يقول: «**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر**»[5] وأنت مؤمن وأنا كافر. فما أرى الدنيا إلا جنة لك تتنعم بها، وما أراها إلا سجناً عليّ قد أهلكني ضرها وأجهدني فقرها، فلما سمع الحسن كلامه قال له: يا هذا لو نظرت إلى ما أعد الله لي في الآخرة لعلمت أني في هذه الحالة بالنسبة إلى تلك في سجن، ولو نظرت إلى ما أعد الله لك في الآخرة من العذاب الأليم لرأيت أنك الآن في جنة واسعة[6]. لقد كان الحسن بن علي حاضر البديهة، فأجاب بجواب مقنع مفحم حيث أوضح له أن حالته التي يشكو منها إنما هي كالجنة بالنسبة إلى عذاب الآخرة الذي أعد للكافرين، وأن حالة الحسن التي ظنها نعيماً إنما هي كالسجن بالنسبة إلى نعيم الجنة الذي أعد للمتقين[7].

15 - احترام وتقدير ابن عباس للحسن والحسين رضي الله عنهما:

قال مدرك أبو زياد: كنا في حيطان ابن عباس فجاء ابن عباس وحسن وحسين فطافوا في

(1) صفة الصفوة (3/ 372).
(2) المصدر السابق نفسه (4/ 323).
(3) سير أعلام النبلاء (5/ 133).
(4) ذخائر العقبى، ص 237.
(5) مسلم وابن ماجه رقم: 4113.
(6) الحسن والحسين، محمد رشيد رضا، ص 32.
(7) الحسن والحسين رضي الله عنهما، ص 33.

البستان فنظروا ثم جاؤوا إلى ساقية فجلسوا على شاطئها فقال لي حسن: يا مُدرك أعندك غداء؟ قلت: قد خبزنا، قال: ائت به. قال: فجئته بخبز وشيء من ملح جريش وطاقتي بقل فأكل ثم قال: يا مُدرك ما أطيب هذا! ثم أتى بغدائه، وكان كثير الطعام طيّبه - فقال: يا مُدرك اجمع لي غلمان البستان، قال: فقدم إليهم فأكلوا ولم يأكل فقلت: ألا تأكل؟ فقال: ذاك أشهى عندي من هذا، ثم قاموا فتوضأوا ثم قدّمت دابة الحسن فأمسك له ابن عباس بالركاب وسوّى عليه، ثم جيء بدابّة الحسين فأمسك له ابن عباس بالركاب وسوّى عليه، فلما مضيا قلت: أنت أكبر منهما تمسك لهما وتسوّي عليهما؟ فقال: يا لُكع أتدري من هذان؟ هذان ابنا رسول الله ﷺ هذا مما أنعم الله عليّ به أن أمسك لهما وأسوّي عليهما[1].

وهذا الاحترام والتقدير من ابن عباس للحسن والحسين دليل على محبته لهما ومعرفة فضلهما، كما يدل على فضل ابن عباس فلا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أهله. وقد كان أمير المؤمنين علي يعامل عمه العباس والد عبد الله معاملة قلّ نظيرها في الاحترام والتقدير، فعن ابن عباس رضي الله عنهما - قال: اعتلَّ أبي العباس، فعاده عليٌّ، فوجدني أضبط رجليه، فأخذهما من يدي، وجلس موضعي وقال: أنا أحقُّ بعمِّي منك، إن كان الله عزّ وجلّ قد توفّى رسول الله ﷺ وعمِّي حمزة وأخي جعفراً فقد أبقى لي العباس. عمُّ الرجل صِنْوُ أبيه، وبرُّه به كِبرُّه بأبيه، اللّهُمَّ هب لعمِّي عافيتك وارفع له درجته، واجعله عندك في علِّيِّين[2].

16 - ثناء عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما على الحسن:

قال عبد الله بن عروة: رأيت عبد الله بن الزبير قعد إلى الحسن بن علي في غداة من الشتاء باردة قال: فوالله ما قام حتى تفسّخ جبينه عرقاً فغاظني ذلك، فقمت إليه فقلت: يا عم! قال: ما تشاء؟ قال: قلت: رأيتك قعدت إلى الحسن بن علي، فأقمت إليه حتى تفسخ جبينك عرقاً قال: يا ابن أخي إنه ابن فاطمة، لا والله ما قامت النساء عن مثله[3].

17 - بين الحسن والحسين رضي الله عنهما:

ذكر ابن خلكان (بصيغة التمريض) وقيل: دار بين الحسن والحسين كلام فتقاطعا فقيل للحسين: لو أتيت أخاك فهو أكبر منك سناً، فقال: فإن الفضل للمبتدئ وأنا أكره أن يكون لي الفضل على أخي، فبلغ ذلك الحسن فأتاه[4].

18 - أكرم الناس أباً وأماً وجداً وجدة وخالاً وخالة وعماً وعمة:

قال معاوية - وعنده عمرو بن العاص وجماعة من الأشراف -: من أكرم الناس أباً وأماً

(1) تاريخ ابن عساكر (14/ 69).
(2) ذخائر العُقبى، ص 337.
(3) تاريخ ابن عساكر (14/ 70).
(4) وفيات الأعيان (2/ 69).

وجداً وجدّة وخالاً وخالة وعماً وعمّة؟ فقام النعمان بن العجلان الزُرقاني، فأخذ بيد الحسن فقال: هذا أبوه علي وأمه فاطمة وجده رسول الله ﷺ، وجدته خديجة، وعمّه جعفر، وعمته أمّ هاني بنت أبي طالب، وخاله القاسم، وخالته زينب[1].

19 - محبة الناس له ولأخيه الحسين وازدحامهم عليهما في البيت الحرام:

قال أبو سعيد: رأيت الحسن والحسين صليا مع الإمام العصر ثم أتيا الحجر فاستلماه ثم طافا أسبوعاً وصليا ركعتين، فقال الناس: هذان ابنا بنت رسول الله ﷺ، قال: فحطمهما الناس حتى لم يستطيعا أن يمضيا، ومعهما رجل من الركانات، وأخذ الحسين بيد الركاني[2]، وردّ الناس عن الحسن - وكان يجله، وما رأيتهما مرّا بالركن الذي يلي الحجر من جانب الحجر إلا استلماه، قال: قلت لأبي سعيد[3]: فلعله بقي عليهما بقية من سُبُوع قطعته الصلاة؟ قال: لا، بل طافا أسبُوعاً تاماً[4].

ثالثاً: من أقواله وخطبه ومواعظه التي حفظها عنه الناس:

1 - قال الحسن بن علي: هلاك الناس في ثلاث: الكبر والحرص والحسد، فالكبر هلاك الدين، وبه لُعن إبليس، والحرص عدو النفس وبه أخرج آدم من الجنة، والحسد رائد السوء ومنه قتل قابيل هابيل[5].

فهذه الأمراض القلبية حذر منها الحسن بن علي رضي الله عنه وهي من أشد الأمراض علة، وإليك بعض البيان:

أ - مرض الكبر: قول الحسن: فالكبر هلاك الدين وبه لعن إبليس:

الكبر نقيض التواضع، وهو استعظام النفس واستكبار حالة نفسه، والنظر إلى الآخرين بعين الاحتقار، وهو من عظيم الآفات، وعنه تشعب أكثر البليات ويستوجب به من الله عز وجل سرعة العقوبة والغضب، لأن الكبر لا يحق إلا لله عز وجل، ولا يليق ولا يصلح لمن دونه، إذ كل من سواه عبد مملوك، وهو المليك الإله القادر، فيستحق المتكبر أن يقصمه الله عز وجل ويحقره ويصغره، إذ تعدى قدره، وتعاطى ما لا يصلح لمخلوق[6].

---

(1) تاريخ ابن عساكر (14/ 70).

(2) كأنه منسوب إلى ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلب الذي صارعه النبي ﷺ مرتين، كما في مادة ركن من القاموس وشرحه.

(3) القائل: الراوي وهو عمارة بن معاوية الدّهني.

(4) تاريخ ابن عساكر (14/ 69).

(5) علموا أولادكم حب آل بيت النبي ﷺ، ص 31.

(6) منهج الإسلام في تزكية النفس، ص 342.

- **علامات الكبر**: وللكبر علامات في الظاهر تدل عليه، فمنها: حب التقدم على الناس، وإظهار الترفع عليهم، وحب التصدر في المجالس والتبختر في المشية، والاستنكاف من أن يرد عليه كلامه وإن كان باطلاً، والامتناع من قبوله، والاستخفاف بضعفاء المسلمين ومساكينهم، ومنها تزكيته لنفسه والثناء عليها، والفخر بالآباء والتبجح بالنسب، والتكبر بالمال والعلم والعمل والعبادة والجمال والقوة، وكثرة الأتباع والأنصار والعشيرة ونحو ذلك[1].

الوقاية والعلاج من هذا المرض:

* أن يُسائل المسلم نفسه وأن يراقب قلبه، هل هو متكبر؟ هل يميل إلى التكبر؟ فإن وجد نفسه ميالاً إلى التواضع كارهاً التكبر وأهله، فليحمد الله ﷻ على ما أنعم عليه وأفضل، وإلا عاتب نفسه، وحاسبها وجاهدها، وهذّبها بكثرة الذكر والعبادة والصيام والطاعة، وعاقبها بحرمانها من كثير من الراحة واللهو والرغبات المباحة حتى تعود إلى رشدها، وتبتعد عن طريق غيها، وتشفى من مرضها.

* وأن يضع المسلم نصب عينه حقيقة هذا المرض ونتائجه في الدنيا والآخرة، وحكمه في الشريعة، وعقابه في الدنيا والآخرة، ومن القرآن والسنة والواقع، وقصص الصالحين وحياتهم، فهذا القرآن الكريم يظهر أن الكبر من صفات الشيطان، قال تعالى في إبليس اللعين: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: 34].

والمتكبر لا يحبه الله، كما قال تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: 23].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: 18].

والخيلاء والفخر من أوصاف المتكبر، والمتكبر متعرض لأن يطبع الله على قلبه، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: 35].

فإن تكبر بالعلم والعبادة وهو أعظم آفات التكبر، فعليه أن يعلم أن حجة الله على أهل العلم...، وأنه يحتمل من الجاهل مالا يحتمل من العالم، وبالتكبر يعصي الله ﷻ عن

(1) منهج الإسلام في تزكية النفس، ص 342.

علم، فجنايته أفحش وخطره أعظم، وإن تكبر من جهة النسب، فليعلم أن هذا تعزز بكمال غيره ثم يعلم أباه وجدّه، فإن أباه القريب نطفة قذرة، وأباه البعيد تراب، ومن اعتراه الكبر بالجمال، فلينظر إلى باطنه نظر العقلاء ولا ينظر إلى ظاهره نظر البهائم، ومن اعتراه من جهة القوة، فليعلم أنه لو آلمه عرق عاد أعجز من عاجز، ومن تكبر بسبب الغنى فلينظر لمن هو أغنى منه قارون وهامان وما حل بهما، من كل ذلك يجد نفسه أصغر من أن يتكبر، وما عليه إلا أن يتواضع فيرفعه الله ويعزه، ويعلو شأنه ويرضى الله عنه في الدنيا والآخرة، وأن يعتبر بالآخرين ممن ذكروا في القرآن الكريم أو السنة الشريفة، أو من قصص الأقدمين والحاضرين ممن تكبروا، فما كان مصيرهم ومآلهم وخزيهم في الدنيا والآخرة؟ يعتبر منهم فيتقي نفسه من التكبر ويعالجها إن مرضت، وأن يصاحب المتواضعين من الصالحين لينتفع منهم ويكسب من أخلاقهم وأقوالهم وطريقة معاملتهم للآخرين، ويبتعد عن المتكبرين ولا يجالسهم، حتى لا يكسب منهم ما يضره في الدنيا والآخرة، أو يتأثر بهم فينساق في أهوائهم وضلالاتهم[1].

ب - الحرص: قول الحسن: والحرص عدو النفس وبه أخرج آدم من الجنة:

قال رسول الله ﷺ: **«ما ذئبان جائعان أُرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه»**[2]، فهذا مثل عظيم جداً ضربه النبي ﷺ لفساد دين المسلم بالحرص على المال والشرف في الدنيا، وأنَّ فساد الدين بذلك ليس دون فساد الغنم بذئبين جائعين ضاريين باتا في الغنم قد غاب عنها رِعاؤها ليلاً، فهما يأكلان في الغنم ويفترسان فيها، ومعلوم أنه لا ينجو من الغنم من إفساد الذئبين المذكورين والحالة هذه إلا قليل، فأخبر النبيُّ ﷺ أنَّ حرص المرء على المال والشرف إفساد لدينه ليس بأقلَّ من إفساد الذئبين لهذه الغنم، بل إما أن يكون مساوياً وإما أكثر. يشير إلى أنه لا يسلم من دين المسلم مع حرصه على المال والشرف في الدنيا إلا القليل، فهذا المثل العظيم يتضمن غاية التحذير من شرِّ الحرص على المال والشرف في الدنيا.

- حال من حرص على جمع المال:

فأما الحرص على المال فهو على نوعين:

*** أحدهما شدة محبة المال مع شدة طلبه من وجوهه المباحة والمبالغة في طلبه،** والجدُّ في تحصيله واكتسابه من وجوهه مع الجهد والمشقة، وقد ورد أن سبب الحديث كان وقوع بعض أفراد هذا النوع، كما أخرجه الطبراني[3] من حديث عاصم بن عديّ رضي الله عنه قال:

(1) منهج الإسلام في تزكية الإسلام، ص 346.
(2) الإحسان في تقريب، صحيح ابن حبان رقم: 3218، حسن صحيح.
(3) الطبراني في الأوسط (1/ 470) رقم: 855.

اشتريت مائة سهم من سهام خيبر فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فقال: «ما ذئبان ضاريان ضَلَّا في غنم أضاعها ربُّها بأفسد في طلب المسلم المال والشرف لدينه»[1]. وقد علق ابن رجب رحمه الله على الحديث فقال: ولو لم يكن في الحرص على المال إلا تضييع العمر الشريف الذي لا قيمة له، وقد يُمكِّن صاحبه فيه اكتساب الدرجات العلى والنعيم المقيم، فضيَّعه بالحرص في طلب رزق مضمون مقسوم لا يأتي منه إلا ما قُدِّر وقُسم، ثمَّ لا ينتفع به، بل يتركه لغيره، ويرتحل عنه فيبقى حسابه عليه ونفعه لغيره فيجمع لمن لا يحمده، ويقدُم على مَنْ لا يعذره، لكفاه بذلك ذماً للحرص، فالحريص يضيع زمانه الشريف، ويخاطر بنفسه التي لا قيمة لها في الأسفار وركوب الأخطار لجمع مال ينتفع به غيره، كما قيل:

ومن ينفق الأيام في جمع ماله ... مخافة فقر فالذي فعل الفقر[2]

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: اليقين أن لا ترضي الناس بسخط الله، ولا تحسدنَّ أحداً على رزق الله، ولا تلومنّ أحداً على ما لم يؤتك الله، فإنّ الرزق لا يسوقه حِرصُ حريصٍ، ولا ترده كراهة كاره، فإن الله بقسطه جعل الروح والفرح في اليقين والرِّضا، وجعل الهمَّ والحزن في الشك والسَّخط[3].

وكان عبد الواحد بن زيد يحلف بالله: لحرص المرء على الدنيا أخوف عليه عندي من أعْدَى أعدائه. وكان يقول: يا أخوتاه، لا تغبطوا حريصاً على ثروته وسعته في مكسب ولا مال، وانظروا له بعين المقت له في اشتغاله اليوم بما يرديه غداً في المعاد، ثمَّ يتكبَّر، وكان يقول: الحرص حرصان: حرص فاجع، وحرص نافع، فأما النافع فحرص المرء على طاعة الله، وأما الحرص الفاجع فحرص المرء على الدنيا[4].

وكتب بعض الحكماء إلى أخ له كان حريصاً على الدنيا: أما بعد: فإنك أصبحت حريصاً على الدنيا تخدمها وهي تخرجُك من نفسها بالأعراض والأمراض والآفات والعلل، كأنك لم تر حريصاً محروماً ولا زاهداً مرزوقاً. وقال بعض الحكماء: أطول الناس هماً الحسود، وأهنؤهم عيشاً القنوع، وأصبرهم على الأذى الحريص، وأخفضهم عيشاً أرفضهم للدنيا، وأعظمهم ندامة العالم المفرِط[5].

قال الشاعر:

الحرص داء قد أضرَّ ... بمن ترى إلّا قليلا

---

(1) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان رقم: 3218، حسن صحيح.
(2) ما ذئبان جائعان لابن رجب، ص 23.
(3) المصدر السابق نفسه، ص 26.
(4) ما ذئبان جائعان، ص 26.
(5) المصدر السابق نفسه، ص 27.

كم من حريص طامع ... والحرص صيَّرهُ ذليلا[1]

وقال الشاعر محمود الوراق:

ونازح الدار لا ينفك مغتربا ... عن الأحبة لا يدرون بالحال
بمشرق الأرض طوراً ثم مغربها ... لا يخطر الموت من حرص على بال
ولو قنعت أتاك الرزق في دعة ... إنَّ القنوع الغِنَى لا كثرة المال

وقال أيضاً:

أيها المتعب جهداً نفسه ... يطلب الدنيا حريصاً جاهدا
لا لك الدنيا ولا أنتَ لها ... فاجعلِ الهمّيْنِ هماً واحدا[2].

وأما النوع الثاني من الحرص على المال: أن يزيد على ما سبق ذكره في النوع الأول، حتى يطلب المال من الوجوه المحرّمة ويمنع الحقوق الواجبة، فهذا من الشحِّ المذموم، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: 16]. وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن عمرو ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**اتقوا الشحَّ فإنَّ الشحَّ أهلك من كان قبلكم، أمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالفجور ففجروا**»[3].

وقال طائفة من العلماء: الشُّحُّ هو الحرص الشديد الذي يحمل صاحِبَهُ على أن يأخذ الأشياء من غير حِلِّها، ويمنعها حقوقها[4]، والبخل هو إمساك الإنسان ما في يده. والشّحُ تناول ما ليس له ظلماً وعُدْواناً من مال أو غيره. حتى قيل: إنه رأس المعاصي كلِّها، وبهذا فسَّرَ ابن مسعود ﷺ وغيره من السلف الشحَّ والبخل[5]، وقد يستعمل الشُّح بمعنى البخل وبالعكس، ولكنَّ الأصل هو التفريق بينهما على ما ذكرناه، ومتى وصل الحرص على المال إلى هذه الدرجة نقص بذلك الدين والإيمان نقصاً بيِّناً، فإن منع الواجبات وتناول المحرمات ينقص بهما الدين والإيمان بلا ريب حتى لا يبقى منه إلا القليل[6].

وأما حرص المرء على الشرف فهو أشد إهلاكاً من الحرص على المال، فإن طلب شرف الدنيا والرفعة فيها، والرياسة على الناس، والعُلُوّ في الأرض أضرُّ على العبد من طلب المال، وضرره أعظم، والزهد فيه أصعب، فإن المال يبذل في طلب الرياسة والشرف، والحرص على الشرف قسمين:

---

(1) ما ذئبان جائعان، ص 27.
(2) المصدر السابق نفسه، ص 29.
(3) سنن أبي داود (2/ 324) رقم: 1698، صححه الألباني.
(4) ما ذئبان جائعان، ص 31.
(5) المصدر السابق نفسه، ص 31.
(6) المصدر السابق نفسه، ص 31.

أحدهما: طلب الشرف بالولاية والسلطان والمال، وهذا خطر جِدًّا وهو في الغالب يمنع خير الآخرة وشرفها وكرامتها وعزَّها، قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: 83]، وقلَّ من يحرص على رياسة الدنيا بطلب الولايات فيُوفَّقُ، بل يُوكَلُ إلى نفسه، كما قال ﷺ لعبد الرحمٰن بن سمرة رضي الله عنه: «**يا عبد الرحمٰن لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أُعطيتها من غير مسألة أُعنت عليها**»[1]. واعلم أنَّ الحرص على الشرف يستلزم ضرراً عظيماً، قبل وقوعه: في السّعي في أسبابه، وبعد وقوعه: بالحرص العظيم الذي يقع فيه صاحب الولاية من الظُّلم والتكبر وغير ذلك من المفاسد[2].

وأما القسم الثاني: طلب الشرف والعلوّ على الناس بالأمور الدينية: كالعلم والعمل والزهد، فهذا أفحش من الأول، وأقبح فساداً وخطراً، فإن العلم والعمل والزهد إنما يطلب به ما عند الله من الدرجات العُلى والنعيم المقيم، والقُرب منه، والزُّلفى لديه[3].

* **علاج مرض الحرص**: وأما طريقة العلاج من الحرص المذموم، فيكون بالزهد وفيه أسباب عديدة منها:

- نظر العبد إلى سوء عاقبة الشرف في الدنيا بالولاية والإمارة لمن لا يؤدي حقها في الآخرة.
- نظر العبد إلى عقوبة الظالمين والمتكبرين، ومن ينازع الله رداء الكبرياء.
- نظر العبد إلى ثواب المتواضعين لله في الدنيا بالرفعة في الآخرة، فإن من تواضع لله رفعه الله.
- وليس هو في قدرة العبد ولكنه من فضل الله ورحمته ما يعوِّض الله عباده العارفين به الزاهدين فيما يغني عن المال والشرف، مما يعجِّلُهُ الله لهم في الدنيا من شرف التقوى وهيبة الخلق لهم في الظاهر، ومن حلاوة المعرفة والإيمان والطاعة في الباطن، وهي الحياة الطيبة التي وعدها الله لمن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن، وهذه الحياة الطيبة لم يذقها الملوك في الدُّنيا ولا أهل الرياسات، والحرص على الشرف، كما قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف. ومن رزقه الله ذلك اشتغل به عن طلب الشرف الزائل، والرياسة الفانية[4]، قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: 26] وقال: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: 10]. فالحسن بن علي رضي الله عنهما يحذرنا من الحرص المذموم، ولذلك قال: الحرص عدو النفس وبه أخرج آدم من الجنة[5].

---

(1) البخاري رقم: 6622.
(2) ما ذئبان جائعان، ص 43، 35.
(3) المصدر السابق نفسه، ص 47.
(4) المصدر السابق نفسه، ص 75، 76.
(5) علموا أولادكم حب آل بيت النبي ﷺ، ص 131.

ج - الحسد: قال الحسن: والحسد رائد السوء ومنه قتل قابيل هابيل:

الحسد نقيض الحب الذي هو تمني الخير للآخرين، فهو تمني زوال النعمة عن المحسود، وهو مرض مهلك مذموم وقبيح، أمر الله ﷻ نبيه ﷺ بالاستعاذة من شر الحاسد، كما أمره بالاستعاذة من شر الشيطان، فقال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: 5]، وقد قال ﷺ: «**لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً**»[1].

وقال أنس: كنا يوماً جلوساً عند رسول الله ﷺ فقال: «**يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة**» قال: فطلع علينا رجل من الأنصار ينفض لحيته من وضوئه، قد علّق نعليه في يده الشمال، فسلم، فلما كان الغد قال ﷺ مثل ذلك فطلع ذلك الرجل، وقاله في اليوم الثالث فطلع ذلك الرجل، فلما قام النبي ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال له: إني لاحيت أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثاً، فإن رأيت أن تأويني إليك حتى تمضي الثلاث فعلت، فقال: نعم، فبات عنده ثلاث ليال، فلم يره يقوم من الليل شيئاً غير أنه إذا انقلب عن فراشه ذكر الله تعالى، ولم يقم إلا لصلاة الفجر، قال: غير أني ما سمعته يقول إلا خيراً، فلما مضت الثلاث، وكدت أن أحتقر عمله فقلت: يا عبد الله لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هَجْر، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول كذا وكذا، فأردت أن أعرف عملك فلم أرك تعمل عملاً كثيراً، فما الذي بلغ بك ذاك؟ فقال: ما هو إلا ما رأيت، فلما وليت دعاني فقال: ما هو إلا ما رأيت، غير أني لا أجد على أحد من المسلمين في نفسي غشاً ولا حسداً على خير أعطاه الله إياه. قال عبد الله فقلت له: هي التي بلغت بك، وهي التي لا نطيق[2].

والحسد له أسباب كثيرة منها: العداوة والبغضاء والعجب وحب الرياسة، وخبث النفس وبخلها وغيرها من أمراض القلب الأخرى، فالحسد جامع الآفات والأمراض، وهو من أشدها مذهباً للدين والإيمان والحب والإخاء، وهو مفسدة وأي مفسدة، ويكثر الحسد بين أقوام تكثر بينهم الأسباب التي ذكرناها، ويقع ذلك غالباً بين الأقران، والأمثال والإخوة وبني العم، وأصحاب المهن والأعمال، وبين العلماء والتجار، لأن سبب التحاسد توارد الأغراض على مقاصد يحصل فيها فيثور التنافر والتباغض، فأصل الحسد التزاحم على غرض واحد، ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا، والدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين[3].

---

(1) البخاري رقم: 6065.

(2) مسند أحمد (3/ 166) إسناده صحيح.

(3) منهج الإسلام في تزكية النفس، ص 340.

* - علاج مرض الحسد:

هناك عدة أدوية تقي وتعالج من مرض الحسد منها:

- العلم بأن مرض الحسد ضرر على الحاسد في الدين والدنيا، وأنه لا يضر المحسود في الدين ولا في الدنيا، وأن النعمة لا تزول عن المحسود بحسد الحاسد، فماذا يستفيد الحاسد من حسده إلا البغض والألم والحسرة والانفعال وذهاب الدين والدنيا؟ فكيف يريد الحاسد زوال نعمة أنعمها الله ﷻ على المحسود، فالله أحب أن ينعم على عبده، والحاسد يحب زوالها، فقد أحب ما كره الله وكره ما أحب الله، وهذا داء مزيل للإيمان، لأن صاحبه لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير.

- التذكر الدائم لمساوئ هذا المرض في الدين والدنيا، وبغض الله ﷻ له وكراهية النبي ﷺ له، والنتيجة التي ينالها الحاسد في الدنيا والآخرة، كل ذلك يساعد على فهم حقيقة الحسد، والوقاية منه والبعد عنه وطلب العلاج.

- العبرة من الآيات والأحاديث والقصص وواقع الحاسدين، ونتائج حسدهم، كل ذلك يساعد على الوقاية والعلاج من هذا المرض الخطير.

- محاسبة النفس ومعاتبتها عند كل فكرة حسد تعرض عليه، ومحاولته كف نفسه عن المحسود، بل الثناء عليه، والدعاء له بالحفظ والزيادة، ولا مانع من أن يتمنى لنفسه مثل ذلك دون حسد الآخرين.

- الرضا بعطاء الله ومنحه، والقناعة بذلك، والإيمان بأن الرزق والعطاء والفضل من الله يؤتيه من يشاء وكيفما يشاء، ولا أحد يستطيع أن يزيل نعمة أنعمها الله على عبد من عباده، وأنه لا ينال عطاء الله إلا بفضل الله وإرادته، ولا يملك العبد إلا الرضا والدعاء والالتجاء، فلِمَ لا يقف العبد على الباب الذي يجلب الخير؟ ولِمَ يبتعد عن المرض الذي يجلب الشر[1]؟ فالحسن بن علي ﷺ يحذرنا من الحسد ولذلك قال: والحسد رائد السوء ومنه قتل قابيل هابيل[2]، عندما حسد أخاه على تقبل الله منه ولم يتقبل منه هو.

2 - مقام الرضا بين الحسن وأبي ذر:

قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرِّدُ: قيل للحسن بن عليٍّ: إن أبا ذرٍّ يقول: الفقر أحبُّ إليَّ من الغنى، والسَّقم أحبُّ إليَّ من الصحة، فقال: رحم الله أبا ذرٍّ، أما أنا فأقول: من اتَّكل

(1) منهج الإسلام في تزكية النفس، ص 341.
(2) علموا أولادكم محبة آل بيت النبي ﷺ، ص 31.

على حسن اختيار الله له لم يتمنَّ أن يكون في غير الحالة التي اختار الله له، وهذا حد الوقوف على الرِّضا بما تصرَّف به القضاء[1].

إن الحسن بن علي ﷺ في حديثه هذا يصف لنا شيئاً من أعمال القلوب، وهذا دليل على معرفته بهذا العمل العزيز، فالرضا من أعمال القلوب، نظير الجهاد من أعمال الجوارح، فإنَّ كل واحد منهما ذروة سنام الإيمان[2].

فالرضا ثمرة من ثمار المحبة - لله ﷻ - وهو أعلى مقامات المقرّبين، وحقيقته غامضة على الأكثرين. وهو باب الله الأعظم، ومستراح العارفين، وجنة الدنيا، فجدير بمن نصح نفسه أن تشتد رغبته فيه، وأن لا يستبدل بغيره منه، ورضا الله على العبد أكبر من الجنة وما فيها، لأن الرضا صفة الله والجنة خلقه، قال تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾، بعد قوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[التوبة: 72]. وهذا الرضا جزاء من رضاهم عنه في الدنيا، ولما كان هذا الجزاء أفضل الجزاء، كان سببُه أفضل الأعمال، والسخط باب الهمِّ والغمِّ وشتات القلب، وكَسْف البال، وسُوء الحال، والظنِّ بالله خلاف ما هو أهله، والرضا يخلّصه من ذلك كلّه، ويفتح له باب جنة الدنيا قبل جنة الآخرة، فالرضا يوجب له الطمأنينة وبَرد القلب وسكونه وقراره، والسُّخط يُوجب اضطراب قلبه، وريبته وانزعاجه، وعدم قراره، والسُّخط يوجب تلون العبد، وعدم ثباته مع الله، فإنه لا يرضى إلَّا بما يلائم طبعه ونفسه، والمقادير تجري دائماً بما يلائمه وما لا يلائمه، وكلّما جرى عليها منه ما لا يلائمه أسخطه، فلا تثبت له قدم على العبودية، فإذا رضي عن ربه في جميع الحالات استقرت قدمه في مقام العبودية، فلا يُزيل التلوُّن عن العبد شيءٌ مثل الرضا.

والرضا يفرِّغ القلب لله، والسُّخط يُفرِّغ القلب من الله، فإنّ من ملأ قلبه من الرضا، ملأ الله صدره غنىً وأمناً وقناعة وفرّغ قلبه لمحبّته والإنابة إليه والتوكل عليه، ومن فاته حظُّه من الرضا امتلأ قلبه بضدّ ذلك واشتغل عمّا فيه سعادته وفلاحه، وبداية الرضا مكتسبة للعبد وهي من جملة المقامات، ونهايته من جملة الأحوال وليست مكتسبة، فأوَّله مقام ونهايته حال، وقد مدح الله أهله وأثنى عليهم وندبهم إليه، فدلّ ذلك على أنّه مقدور لهم. وقد قال رسول الله ﷺ: «**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً**»[3]، وقال رسول الله ﷺ: «**من قال حين يسمع المؤذن: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك**

(1) البداية والنهاية (11/ 199).
(2) مدارج السالكين (2/ 214).
(3) مسلم رقم: 43 (1/ 62).

له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، رضيت بالله رباً، وبمحمد رسولاً، وبالإسلام ديناً. غفر الله له ما تقدم من ذنوبه»[1].

قال ابن القيم: وهذان الحديثان عليهما مدار مقامات الدين، وإليهما ينتهي. وقد تضمّنا الرضا بربوبيته سبحانه وألوهيته، والرضا برسوله، والانقياد له، والرضا بدينه والتسليم له. ومن اجتمعت له هذه الأربعة، فهو الصديق حقًّا، وهي سهلة بالدعوى واللسان، وهي من أصعب الأمور عند الحقيقة والامتحان، ولاسيما إذا جاء ما يخالف هوى النفس ومرادها، من ذلك تبيّن أن الرضا كان لسانه به ناطقاً، فهو على لسانه لا على حاله.

- **فالرضا بإلهيته**: يتضمن الرضا بمحبته وحده وخوفه، ورجائه والإنابة إليه، والتبتُّل إليه، وانجذاب قوى الإرادة والحبّ كلها إليه، فعل الراضي بمحبوبه كلّ الرضا، وذلك يتضمّن عبادته والإخلاص له.

- **والرضا بربوبيّته**: يتضمّن الرضا بتدبيره لعبده، ويتضمّن إفراده بالتوكل عليه، والاستعانة به، والثقة به، والاعتماد عليه، وأن يكون راضياً لكل ما يفعل به، فالأول يتضمن رضاه بما يؤمر به، والثاني: يتضمّن رضاه بما يُقدِّر عليه.

- **وأما الرضا بنبيّه رسولاً**: فيتضمن كمال الانقياد له، والتسليم المطلق إليه بحيث يكون أولى به من نفسه، وأن يكون متميزاً بمكانته عن غيره من البشر فلا يشاركه أحد مكانته ولا خصوصيته، فلا يتلقّى الهدى إلا من مواقع كلماته، ولا يحاكم إلا إليه، ولا يحكّم عليه غيره، ولا يرضى بحكم غيره البتة، ولا في شيء من أسماء الربّ وصفاته وأفعاله، ولا في شيء من أذواق حقائق الإيمان ومقاماته، ولا في شيء من أحكام ظاهره وباطنه، ولا يرضى في ذلك بحكم غيره، ولا يرضى إلا بحكمه، فإن عجز عنه كان تحكيمه غيَره من باب غذاء المضطر إذا لم يجد ما يعينُهُ إلا من الميتة والدم، وأحسن أحواله: أن يكون من باب التراب، الذي إنما يُتيمَّم به عند العجز عن استعمال الماء الطهور.

وأما الرضا بدينه: فإذا قال، أو حكم أو أمر، أو نهى: رضي كل الرضا، ولم يبق في قلبه حرج من حكمه، وسَلَّم له تسليماً، ولو كان مخالفاً لمراد نفسه أو هواها أو قوْل مُقلِّده وشيخه وطائفته[2].

وقال: . . فإن الرضا آخر التوكّل، فمن رسخ قدمه في التوكل والتسليم والتفويض حصل له الرضا ولابدّ، ولكن لعزَّته وعدم إجابة أكثر النفوس له، وصعوبته عليها - لم يُوجبه الله على

(1) مسلم رقم: 386 (1/ 290).

(2) مدارج السالكين (2/ 172 - 173)، صلاح الأمة في علو الهمّة (4/ 491، 492).

خلقه، رحمة بهم، وتخفيفاً عنهم، لكن ندبهم إليه، وأثنى على أهله، وأخبر أن ثوابه رضاه عنهم، الذي هو أعظم وأكبر وأجل من الجنان وما فيها، فمن رضي عن ربِّه رضي الله عنه، بل رضا العبد عن الله من نتائج رضا الله عنه، فهو محفوف بنوعين من رضاه عن عبده: رضا قلبه، أوجب له أن يرضى عنه، ورضاً بعده وهو ثمرة رضاه عنه، ولذلك كان الرضا باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، ومستراح العارفين، وحياة المحبّين، ونعيم العابدين، وقُرّة عيون المشتاقين.

كيف نحقق الرضا؟

إن من أعظم أسباب حصول الرضا: أن يلزم ما جعل الله رضاه فيه، فإنه يوصله إلى مقام الرضا ولابد. قيل ليحيى بن معاذ: متى يبلغ العبد مقام الرضا؟ فقال: إذا أقام نفسه على أربعة أصول فيما يُعامل به ربَّه، فيقول: إن أعطيتني قبلت، وإن منعتني رضيت، وإن تركتني عبدت، وإن دعوتني أجبت.

وقال الجنيد: الرضا هو صحة العلم الواصل إلى القلب، فإذا باشر القلب حقيقة العلم، أدّاه إلى الرضا، وليس «الرضا والمحبة» كالرجاء والخوف، فإنّ الرضا والمحبة حالان من أحوال أهل الجنة، لا يفارقان المتلبِّس بهما في الدنيا، ولا في البرزخ، ولا في الآخرة، بخلاف الخوف والرجاء، فإنهما يفارقان أهل الجنة بحصول ما كانوا يرجونه، وأمنهم مما كانوا يخافونه، وإن كان رجاؤهم لما ينالون من كرامته دائماً لكنّه ليس رجاءً مشوباً بشكٍّ، بل هو رجاء واثق بوعد صادق، من حبيب قادر، فهذا لون ورجاؤهم في الدنيا لون. وقال ابن عطاء: الرضا سكون القلب إلى قديم اختيار الله للعبد أنَّه اختار له الأفضل، فيرضى به[1].

وقال بعض العارفين: من يتوكل على الله، ويرضى بقدر الله، فقد أقام الإيمان، وفرغ يديه ورجليه لكسب الخير، وأقام الأخلاق الصالحة التي تُصلح للعبد أمره، والرضا يفتح باب حُسن الخلق مع الله تعالى ومع الناس، فإن حسن الخلق من الرضا، وسوء الخلق من السخط، وحسن الخلق يبلغ بصاحبه درجة الصائم القائم، وسوء الخلق يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، والرضا يُثمر سرور القلب بالمقدور في جميع الأمور وطيب النفس وسكونها في كل حال.. ولهذا سمَّى بعض العارفين الرضا: حسن الخلق مع الله، فإنه يوجب ترك الاعتراض عليه في ملكه، وحذف فضول الكلام التي تقدح في حسن خُلقه[2].

قال الشاعر:

---

(1) مدارج السالكين (2/ 174 - 175).

(2) صلاح الأمة (4/ 512) نقلاً عن مدارج السالكين.

العبد ذو ضجر والرب ذو قدر والدهر ذو دول والرزق مقسوم
والخير أجمع في ما اختار خالقنا وفي اختيار سواه اللَّوْمُ والشُّومُ

وقال الشاعر:

إذا ارتحل الكرام إليك يوماً ليلتمسوك حالاً بعد حال
فإنَّ رحالنا حطت لترضى بحلمك عن حلول وارتحال
أنخنا في فنائك يا إلهي إليك مُعَرَّضين بلا اعتلال
فسُسْنَا كيف شئت ولا تكلنا إلى تدبيرنا يا ذا المعالي[1].

فهذه بعض المعاني في مقام الرضا توضح قول أمير المؤمنين الحسن بن علي ﷺ عندما قال: من اتكل على حسن اختيار الله له، لم يتمنَّ أن يكون في غير الحالة التي اختار الله له، وهذا حد الوقوف على الرضا بما تصرَّف به القضاء[2].

3 - قال أمير المؤمنين الحسن بن علي ﷺ: إني أخبركم عن أخ لي كان من أعظم الناس في عيني، وكان عظيم ما عظَّمه في عيني صِغرُ الدنيا في عينه، كان خارجاً من سلطان بطنه، فلا يشتهي مالا يجد، ولا يكثر إذا وجد، وكان خارجاً من سلطان فرجه، فلا يستخف له عقله ولا رأيه، وكان خارجاً من سلطان جهله، فلا يمد يداً إلا على ثقة المنفعة، كان لا يسخط ولا يتبرم، كان إذا جامع العلماء يكون على أن يسمع أحرص منه على أن يتكلم، وكان إذا غُلِب على الكلام لم يُغلَب على الصمت، كان أكثر دهره صامتاً، فإذا قال بذَّ القائلين، كان لا يشارك في دعوى، ولا يدخل في مراء، ولا يدلي بحجة حتى يُرى قاضياً، يقول ما يفعل، ويفعل ما لا يقول تفضلاً وتكرماً، كان لا يغفل عن إخوانه، ولا يستخص بشيء دونهم، كان لا يلوم أحداً فيما يقع العُذر بمثله، كان إذا ابتدأه أمران لا يَرى أيهما أقرب إلى الحقِّ، نظر فيما هو أقرب إلى هواه فخالفه[3].

ففي هذا الأثر ترشيد وتوضيح وتعليم للناس نحو صفات كريمة وأخلاق حميدة، وهذا منهج سلوكي رفيع ينبغي أن نربي عليه أنفسنا وأبناءنا حتى يتحول إلى واقع ملموس في الحياة، ونستفيد من ذلك الأثر دروساً وعبراً منها:

أ - قول الحسن ﷺ: وكان عظيم ما عظمه في عيني صغر الدنيا في عينه[4]: ولا تصغر الدنيا إلا في عين من عرف حقائق الأمور واستقر التصور الصحيح عن الله والحياة والكون والجنة والنار، والقضاء والقدر، واستوعب بعمق فقه القدوم على الله تعالى، فعمل للباقي

(1) صلاح الأمة في علو الهمّة (4/ 529).
(2) البداية والنهاية (11/ 199).
(3) المصدر السابق نفسه (11/ 199).
(4) المصدر السابق نفسه (11/ 199).

وترفع عن الفاني، وأيقن أن الدنيا دار اختبار وابتلاء وعليه فإنها مزرعة للآخرة، ولذلك تحرّر من سيطرة الدنيا بزخارفها، وزينتها، وبريقها، وخضع وانقاد وأسلم نفسه لربه ظاهراً وباطناً، وكان وصل إلى حقائق استقرت في قلبه ساعدته على الزهد في هذه الدنيا، ومن هذه الحقائق:

* اليقين التام بأننا في هذه الدنيا أشبه بالغرباء أو عابري سبيل، كما قال النبي ﷺ: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»[1].

* إن هذه الدنيا لا وزن لها ولا قيمة عند رب العزة إلا ما كان منها طاعة لله تبارك وتعالى، إذ يقول النبي ﷺ: «**لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء**»[2]، وقال ﷺ: «**الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله وما والاه، أو عالماً أو متعلماً**»[3].

* إن عمرها قد قارب على الانتهاء، إذ يقول ﷺ: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**» بالسبّابة والوسطى[4]، وتبدأ قيامة الإنسان بموته والعمر قصير، فإذا استثنينا منه فترة الطفولة والنوم والكدر فكم يصفو لنا منه؟

* إن الآخرة هي الباقية، وهي دار القرار، كما قال مؤمن آل فرعون: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر: 39، 40] فإذا استقرت هذه الحقائق في قلب الأخ المسلم تصغر الدنيا في عينه.

ب - **قول الحسن** رضي الله عنه: كان خارجاً من سلطان بطنه فلا يشتهي ما لا يجد ولا يكثر إذا وجد[5]، ففي هذا التوجيه دعوة إلى ترك فضول الطعام، لأنه داع إلى أنواع كثيرة من الشر، فإنه يحرك الجوارح إلى المعاصي ويثقلها عن الطاعات وحسبك بهذين شراً، فكم من معصية جلبها الشبع وفضول الطعام، وكم من طاعة حال دونها، فمن وقي شر بطنه فقد وقي شراً عظيماً، والشيطان أعظم ما يتحكم من الإنسان إذا ملأ بطنه من الطعام[6]، ولذلك حذرنا ربنا سبحانه من اتباع وساوسه ومكائده التي تؤدي إلى طغيان شهوة البطن وعدم الاكتفاء بالحلال، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ

(1) الترمذي، كتاب: الزهد رقم: 2333 وهو حديث صحيح.
(2) الترمذي، كتاب: الزهد رقم: 2320.
(3) الترمذي، كتاب: الزهد رقم: 2322 وقال: حسن غريب.
(4) مسلم، كتاب: الفتن وأشراط الساعة رقم: 132 - 135.
(5) البداية والنهاية (11/ 199).
(6) جهاد النفس، علي الدهامي، ص 93.

مُّبِينٌ﴾ [البقرة: 168]، كما أرشد سبحانه إلى الاعتدال في الطعام والشراب لئلا يؤدي ذلك إلى تسلط شهوة البطن وانحرافها، قال تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: 31]. فالأمر الذي يدل على تسلط شهوة البطن أن يُكثر صاحبها من الطعام والشراب فوق الحاجة، ويبالغ في الشبع ويفرط فيه، وقد أشار النبي ﷺ إلى أخطار هذا الإسراف وضرره على الجسد والنفس، وذلك فيما رواه الترمذي عن مقدام بن معدي كرب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه، بحسب ابن آدم أكلات يُقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه**»[1].

وفي هذا الحديث النبوي بيان للمنهج السوي الذي ينبغي التمسك به في الإقلال من الطعام والشراب وعدم الإسراف في شهوة البطن، لأن هذا الإسراف يؤدي إلى الشر الكبير، وليس المقصود بالشر هنا ما يتعلق بأمراض المعدة فحسب، وإنما المقصود أيضاً الشر الذي يصيب النفس حينما تعتاد الشرهَ في الطعام والشراب وشدة التعلق بهما، فيتحول الطعام من وسيلة للغذاء وتقوية البدن إلى غاية وهدف يسعى صاحبه من أجله، ويصبح ذلك السعي شغله الشاغل حتى تصبح همته مصروفة إليه، فمهما شبعت بطنه لا تشبع نفسه، لأن شهوة البطن أضحت عنده مقياس السعادة[2]، فطغيان شهوة البطن لا يعني كثرة الأكل فحسب لأن كثرة الأكل عرض ظاهري لهذا المرض، وإنما حقيقة المرض في شَرَه النفس ومادِّيتها وتحول الطعام من وسيلة إلى غاية حتى يصبح الإنسان كالبهائم التي تسيِّرها شهواتها، وفي ذلك يقول الله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد: 12].

وقد روى الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**الكافر يأكل في سبعة أمعاء والمؤمن يأكل في معي واحد**»[3].

ومعنى هذا الحديث أن من شأن المؤمنين التقليل من الأكل للاشتغال بأسباب العبادة، والكافر بخلاف ذلك كله لأنه تابع لشهوة نفسه مسترسل فيها غير خائف من تبعات الحرام، وإن أكل قليلاً فليس ذلك لزهده في الدنيا وإنما لمراعاة الصحة ورياضة الجسم، فهو لشدة حرصه على الدنيا وتمسكه بها كأنه يأكل في سبعة أمعاء كما تقول: فلان يأكل الدنيا أكلاً، وأما المؤمن فإنه يأكل في معي واحد، فالرسول ﷺ يضرب المثل في هذا الحديث للمؤمن وزهده في الدنيا وللكافر وحرصه عليها[4].

---

(1) الترمذي، كتاب: الزهد، رقم: 380، حديث حسن صحيح.
(2) أمراض النفس، د. أنس كرزُون، ص 109.
(3) مسلم رقم: 2060.
(4) فتح الباري شرح البخاري (9/ 538 - 539).

وقد ذكر النووي رحمه الله توجيهاً آخر لهذا الحديث فقال: قيل: المراد بالسبعة: سبع صفات: الحرص والشره، وطول الأمل، والطمع، وسوء الطبع، والحسد، والسمن[1].

وقد قال: ابن القيم رحمه الله: والمفسد له من ذلك نوعان: أحدهما: ما يفسد لعينه وذاته كالمحرمات، والثاني: ما يفسده بقدر وتعدي حده كالإسراف في الحلال والشبع المفرط، فإنه يثقله عن الطاعات، ويشغله بمزاولة مؤنة البطنة ومحاولته حتى يظفر بها، فإذا ظفر بها شغله بمزاولة تصرفها ووقاية ضررها والتأذي بثقلها، وقوى عليه مواد الشهوة، وطرق مجاري الشيطان ووسعها، فإنه يجري من ابن آدم مجرى الدم، فالصوم يضيق مجاريه ويسد عليه طرقه والشبع يطرقها ويوسعها، ومن أكل كثيراً شرب كثيراً فنام كثيراً فخسر كثيراً[2].

ج - **قول الحسن** رضي الله عنه: وكان خارجاً من سلطان فرجه، فلا يستخف له عقله ولا رأيه[3]، فالحسن رضي الله عنه يدعو إلى التحكم في شهوة الفرج ولا يكون إشباعاً إلا بما شرّع المولى عز وجل، لأنّ طغيانها يترتب عليه نتائج خطيرة، كقسوة القلب وضعف الإيمان، فكلما تمادت شهوة الفرج في الطغيان ازداد القلب قسوة وظلمة ووحشة، ابتداء من النظر إلى ما حرم الله، ثم الاختلاط بين الجنسين وما يتبعه من ترجُّل النساء وتخنث الرجال، وما ينتج عنه من تهوين أمر الفاحشة والتمهيد لها، حتى يقع فيها، وعندها يتمكن المرض من القلب، وتبتعد عنه حقيقة الإيمان، ومصداق ذلك قول رسول الله ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**»[4]. قال البخاري رحمه الله عند روايته لهذا الحديث: أي لا يكون هذا مؤمناً تاماً ولا يكون له نور الإيمان.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا زنى العبد خرج منه الإيمان، فكان فوق رأسه كالظُلة، فإذا خرج من ذلك العمل رجع إليه الإيمان**»[5]. فأصحاب الكبائر ينزع منهم نور الإيمان ويضعف تعظيم الرب سبحانه من قلوبهم، إذ لو استشعروا من أتى الكبائر مثل الزنى أو السرقة أو شرب الخمر وغير ذلك، فلا بد أن يذهب ما في قلبه من تلك الخشية والخشوع والنور، وإن بقي أصل التصديق في قلبه، وهذا من الإيمان الذي ينزع منه عند فعل الكبيرة[6].

---

(1) شرح النووي على صحيح مسلم (14/ 23).
(2) مدارج السالكين (1/ 458 - 459).
(3) البداية والنهاية (11/ 199).
(4) البخاري، كتاب: الحدود (8/ 13) مسلم رقم: 57.
(5) صححه الحاكم في المستدرك (1/ 22) ووافقه الذهبي.
(6) كتاب الإيمان، لابن تيمية، ص 29.

ومن نتائج طغيان شهوة الفرج: كثرة الوقوع في المعاصي، فالمعصية ولو كانت صغيرة تمهد الطريق لأختها حتى تتابع المعاصي ويهون أمرها ولا يدرك صاحبها خطرها، فالنظرة تؤدي إلى الفكرة، ثم يتولد الخاطر في القلب وتتحرك الشهوة، وقد يؤدي ذلك إلى العزم على اقتراف الفاحشة، فإن تيسرت أسبابها وقع فيها، ولهذا كانت النظرة مقدمة من مقدمات الزنى، وباباً من الأبواب الموصلة إليه.

روى مسلم عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**كُتب على ابن آدم نصيبه من الزنى، مدرك ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخُطا، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه**»[1]، وهكذا تتدرج المعاصي في تسربها إلى قلب العبد وتأثيرها عليه حتى لا يبالي بها ولا يقدر على مفارقتها ويطلب ما هو أكثر منها[2].

وفي ذلك يقول ابن القيم - ﷺ -: إن المعاصي تزرع أمثالها، ويولد بعضها بعضاً حتى يعز على العبد مفارقتها والخروج منها.. حتى تصير هيئات راسخة وصفات لازمة وملكات ثابتة، ولو عطل المجرم المعصية وأقبل على الطاعة لضاقت عليه نفسه، وضاق صدره حتى يعاودها، حتى إن كثيراً من الفسَّاق ليواقع المعصية من غير لذة يجدها، ولا داعية إليها إلا لما يجده من الألم بمفارقتها[3].

ومن نتائج طغيان شهوة الفرج: ذهاب الحياء، فإذا اعتاد العبد على مقارفة الآثام نتيجة لطغيان شهوته، سيصل إلى حال لا يبالي فيه باطلاع الناس على أفعاله القبيحة، بل إن كثيراً من هؤلاء يخبرون الناس بما يفعلونه ويتباهون به لأنهم انسلخوا من الحياء[4].

وهكذا نجد أن التهاون في وقاية شهوة الفرج من الانحراف ولو كان يسيراً، سيؤدي شيئاً فشيئاً إلى ما هو أخطر، وحتى لا يقع المرء فريسة طغيان الشهوة التي يصعب التخلص من شرورها، وتؤدي في النهاية إلى طمس قلب صاحبها وانسلاخه من الأخلاق الفاضلة بالإضافة إلى ما يصيبه من الأمراض النفسية والجسدية[5]، فقد شرع الإسلام تدابير وقائية من طغيان شهوة الفرج منها:

*** غض البصر وستر العورة:**

لأن الطريق الذي تنفذ منه سهام الشهوة إلى القلب هو البصر، ولذلك أمر الله عباده بغض

---

(1) مسلم رقم: 2657.
(2) أمراض النفس، ص 121.
(3) الجواب الكافي، ص 59 - 60.
(4) أمراض النفس، ص 122.
(5) المصدر السابق نفسه، ص 123.

البصر عمّا حرّم عليهم وستر عوراتهم عمن لا يحل لهم، قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[النور: 30] وقال رسول الله ﷺ: **«لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة، ولا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد، ولا تفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد»**(1).

يقول ابن القيم - رحمه الله -: قد جعل الله سبحانه العين مرآة القلب، فإذا غض العبد بصره غض القلب شهوته وإرادته، وإذا أطلق بصره أطلق شهوته(2). ويقول أيضاً: النظرة تفعل في القلب ما يفعل السهم في الرمّية، فإن لم تقتله جرحته، وهي بمنزلة الشرارة من النار تُرمى في الحشيش اليابس، فإن لم تُحرقه كلّه أحرقت بعضه، وقد قيل:

كل الحوادث مبدأها من النظر ... ومعظم النار من مُستصغر الشرر
كم نظرة فتكت في قلب صاحبها ... فتك السهام بلا قوس ولا وَتر
والمرء ما دام ذا عين يُقلّبها ... في أعين الغيد موقوف على الخطر
يَسُرُّ مقلته ما ضرّ مهجته ... لا مرحباً بسرور عاد بالضرر(3)

*** - تحريم الاختلاط والأمر بحجاب النساء:**

وقد ورد في بيان ذلك آيات قرآنية وأحاديث نبوية عديدة ومنها: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: 59]. وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: 53] وروى البخاري ومسلم عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إياكم والدخول على النساء»**. فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمو؟ قال: **«الحمو الموت»**(4). والحمو: أخو الزوج وما أشبهه من أقارب الزوج كابن الأخ والعم وابنه ونحوهم ممن ليس بمحرم، وقوله ﷺ: **«الحمو الموت»** معناه أن الخوف منه أكثر من غيره لتمكنه من الوصول إلى المرأة والخلوة من غير أن ينكر عليه بخلاف الأجنبي(5).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يخلونَّ رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم، ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم»**(6) كما ورد التشديد والوعيد في أحاديث عديدة من تشبه الرجال بالنساء وتشبه النساء بالرجال في اللبس والحركة، لما في ذلك من إثارة الشهوات

(1) مسلم رقم: 338.
(2) روضة المحبين، ص 109.
(3) المرجع نفسه، ص 114.
(4) مسلم رقم: 2172.
(5) شرح النووي على، صحيح مسلم (14/ 153).
(6) مسلم رقم: 1341.

وانحرافها، روى البخاري عن ابن عباس ﷺ قال: لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال[1].

* - الترغيب في الصيام لتسكين الشهوة:

إذا لم يتيسر الزواج ولم يجد المرء المقدرة عليه لسبب من الأسباب فعليه أن يقي نفسه من تسلط الشهوة وذلك بالمبادرة إلى الصيام لما فيه من تسكين الشهوة وتخفيف وطأتها، وقد ورد في الإرشاد إلى ذلك الحديث الذي رواه الشيخان عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**»[2]، أي: أن الصوم يقطع الشهوة، ويُلحق بذلك التقليل من الأغذية المحركة للشهوة لكي يكسر من حدتها ويضعف تأثيرها، فإذا لم يحرص المرء على هذه التدابير الوقائية ولم يلتزم بها، فإن سهام الشهوة وسمومها لا بد أن تنفذ إلى القلب ما دام على أهبة الاستعداد لقبول هذا الانحراف، وعندها سيتمادى في مرضه وتتمادى الشهوة في طغيانها يوماً بعد يوم، حتى يقع صاحبه في حمأة الرذيلة[3]، فقول الحسن ابن علي ﷺ: كان خارجاً من سلطان فرجه، فلا يستخفُّ له عقله ولا رأيه[4]، دعوة صريحة إلى كبح طغيان شهوة الفرج.

د - **قول الحسن بن علي ﷺ: كان إذا جامع العلماء يكون على أن يسمع أحرص منه أن يتكلم**[5]. وفي هذا احترام للعلماء وتقديرهم والاستفادة منهم، فتوقيرهم واحترامهم من السنة، يقول رسول الله ﷺ: «**ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا، ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر، ويعرف لعالمنا حقه**»[6].

لقد كان سلف هذه الأمة يحترمون علماءهم احتراماً كبيراً ويتأدبون معهم، ولقد أكثر أهل العلم من الكلام عن أسلوب التعامل مع العالم في مجلسه، وأسلوب الحديث معه مما هو مذكور بتوسع في كتب آداب العالم والمتعلم، ومن أجمع ما رُوي في ذلك ما قاله علي بن أبي طالب ﷺ: إن من حق العالم ألاّ تكثر عليه السؤال، ولا تعنته في الجواب، وأن لا تُلِحَّ عليه إذا كسل، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض، ولا تفشيّ له سراً، ولا تغتابن عنده أحداً، وإن زلَّ قبلت معذرته، وعليك أن توقره وتعظمه لله ما دام يحفظ أمر الله، ولا تجلس أمامه، وإن كانت

(1) البخاري، كتاب: اللباس (7/ 55).
(2) مسلم رقم: 400.
(3) أمراض النفس، ص 126.
(4) البداية والنهاية (11/ 199).
(5) المصدر السابق نفسه (11/ 199).
(6) سنن الترمذي رقم: 1986، صححه ابن حبان رقم: 1913.

له حاجة سبقت القوم إلى خدمته[1]. وقال: من حق العالم عليك إن أتيته: أن تسلِّم عليه خاصة، وعلى القوم عامة، ولا تجلس قدامه، ولا تشر بيديك، ولا تغمز بعينيك، ولا تقل: قال فلان خلاف قولك، ولا تأخذ بثوبه، ولا تلح عليه في السؤال فإنه بمنزلة النخلة المرطبة لا يزال يسقط عليك منها شيء[2].

وقال عبد الرحمٰن بن مهدي رحمه الله: كان الرجل من أهل العلم إذا لقي من هو فوقه في العلم فهو يوم غنيمة سأله وتعلم منه، وإذا لقي من هو دونه في العلم علَّمه وتواضع له، وإذا لقي من هو قرينه في العلم ذاكره ودارسه[3].

ولقد ضرب السلف الصالح أبلغ المثل في الحرص على الطلب، والسعي في الأخذ عن أهل العلم والاستماع إليهم واحترامهم وتقديرهم، تشهد لذلك قصصهم التي ساقها الخطيب البغدادي وغيره في هذا المجال.

هـ - قول الحسن بن علي رضي الله عنه: كان أكثر دهره صامتاً، فإذا قال بذَّ القائلين، كان لا يشارك في دعوى، ولا يدخل في مراء[4]. فالحسن بن علي رضي الله عنه يدعو إلى التقليل من الكلام، ومنابذة المراء، وفي الحديث: «**إذا أصبح العبد فإن الأعضاء كُلها تُكفِّرُ اللسان، تقول: اتَّقِ الله فينا، فإنما نحن بك، فإذا استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا**»[5]، وقد كان السلف يحاسب أحدهم نفسه في كلامه، لأن اللسان أيسر حركات الجوارح وهي أضرُّها على العبد، وكان الصديق رضي الله عنه يمسك بلسانه ويقول: هذا أوردني الموارد[6]، والكلام أسيرك، فإذا أخرج من فيك صرت أنت أسيره، والله عند لسان كل قائل: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: 18].

وفي اللسان آفتان عظيمتان إن خلص من إحداهما لم يخلص من الأخرى: آفة الكلام، وآفة السكوت، وقد يكون كل منهما أعظم إثماً من الأخرى في وقتها، فالساكت عن الحق شيطان أخرس، عاص لله، مراء، مداهن؛ إذا لم يخف على نفسه، والمتكلم بالباطل شيطان ناطق، عاص لله، وأكثر الخلق منحرف في كلامه وسكوته؛ فهم بين هذين النوعين، وأهل الوسط - وهم أهل الصراط المستقيم - كفُّوا ألسنتهم عن الباطل، وأطلقوها فيما يعود عليهم

(1) جامع بيان العلم وفضله (1/ 129). (2) المصدر السابق نفسه (1/ 146).
(3) المحدث الفاصل للرامهرمزي، ص 206، قواعد في التعامل مع العلماء، عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ص 86.
(4) البداية والنهاية (11/ 199).
(5) الترمذي رقم: 2407، حسنه الألباني في الصحيح الجامع (1/ 5136).
(6) جهاد النفس، ص 76.

نفعه في الآخرة، فلا ترى أحدهم يتكلم بكلمة تذهب عليه ضائعة بلا منفعة، فضلاً عن أن تضره في آخرته، وإن العبد ليأتي يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال، فيجد لسانه قد هدمها عليه كلَّها، ويأتي بسيئات أمثال الجبال، فيجد لسانه قد هدمها من كثرة ذكر الله وما اتَّصل به[1].

فليس الكلام مأموراً به على الإطلاق، ولا السكوت كذلك، بل لا بد من الكلام بالخير والسكوت عن الشر، وكان السلف كثيراً يمدحون الصمت عن الشر، وعما لا يعني لشدته على النفس، ولذلك يقع فيه الناس كثيراً، فكانوا يعالجون أنفسهم، ويجاهدونها على السكوت عما لا يعنيهم[2].

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: ما حج ولا رباط، ولا جهاد أشد من حبس اللسان، ولو أصبحت يهمك لسانك، أصبحت في غم شديد. وقال: سجن اللسان سجن المؤمن، ولو أصبحت يهمك لسانك، أصبحت في غم شديد[3].

و - قول الحسن بن علي رضي الله عنهما: كان إذا ابتدأه أمران لا يرى أيهما أقرب إلى الحقِّ، نظر فيما هو أقرب إلى هواه فخالفه[4]:

فالحسن رضي الله عنه يحث على مخالفة الهوى، والهوى: ميلان النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع[5]، ويعتبر الهوى من الأسباب التي لأجلها خالفت كثير من الأمم أنبياءها فاستكبروا ولم يقبلوا الحق والهدى والنور الذي جاءتهم به أنبياؤهم، عليهم السلام. قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾[المائدة: 70] كما أن الله تعالى أمر نبيه داود عليه السلام بمخالفة الهوى، قال تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾[ص: 26].

ويقول ابن تيمية - رحمه الله -: ونفس الهوى - هو الحب والبغض الذي في النفس - لا يلام عليه، فإن ذلك قد لا يملك، وإنما يلام على اتباعه[6]، وقال في موضع آخر: ومجرد الحب والبغض هوى، لكن المحرم اتباع حبّه وبغضه بغير هدى من الله[7].

---

(1) الداء والدواء، لابن القيم، ص 379.
(2) جهاد النفس، ص 77.
(3) جامع العلوم والحكم.
(4) البداية والنهاية (11/ 199).
(5) التعريفات للجرجاني، ص 257.
(6) الفتاوى (28/ 131).
(7) المصدر السابق نفسه (28/ 133).

إن العلاج الناجع والبلسم الشافي لمن ابتلي بشيء من الهوى: إلزام النفس بالكتاب والسنة، واتباع منهج السلف الصالح وتربية النفس باستمرار على التقوى والخشية من الله تعالى، واتهام النفس ومحاسبتها دائماً فيما يصدر منها، وعدم الاغترار بأهوائها وتزييناتها وخداعها، والإكثار من استشارة أهل العلم والإيمان واستجلاء آرائهم حول ما يريد أن يقوله ويفعله، وكذلك ترويض النفس على استنصاح الآخرين وتقبل الآراء الصحيحة الصائبة وإن كانت مخالفة لما في النفس، وتعويدها على التريث وعدم الاستعجال في إصدار الأحكام وإمضاء الأعمال، والحذر من ردود الأفعال التي قد يكون فيها إفراط وتفريط وغلو أو تقصير، وجهل وبغي وعدوان، وإكثار المرء من الدعاء والتضرع إلى الله تعالى بأن يجنبه اتباع الهوى ومضلات الفتن، ويسأله تعالى أن يوفقه لقول كلمة الحق في الغضب والرضا، ويكثر الدعاء الذي علمه رسول الله ﷺ لأمته: «**وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب**»[1]. وقوله ﷺ: «**اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء**»[2].

4 - قال الحسن رضي الله عنه: يجوز أن يظن السوء بمن علم السوء منه وبدت عليه أدلته، وليس ينبغي أن يظن به السوء بمجرد الظن فإن الظن يكذب كثيراً[3]. ومفهوم هذه الحكمة الحسنة أن المؤمن الكيس الفطن يجوز له ظن السوء بمن علم من أحواله، وتصرفاته، وسلوكه ومواقفه وأقواله ما يشير إلى السوء به، فإن الإنسان يظهر بعض ما في نفسه على صفحات وجه وفلتات لسانه، وبعض مواقفه، وهذا الظن لا يبنى عليه عقاب أو جزاء على الشخص المشكوك فيه بطبيعة الحال، ولكن المقصد من قول الحسن رضي الله عنه الاحتراز والحذر والحيطة من أمثال هؤلاء حتى لا يقع الإنسان المسلم في مصائب وويلات بسبب حسن الظن بأمثال هؤلاء، ومن عاشر الناس علم خطورة الثقة في من له سوابق من سوء الظن وقرائن تدل على ذلك، وأما مجرد ظن السوء بالمسلم بلا دلائل ولا قرائن قوية فلا ينبغي للمسلم، فقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: 12]. قال بعض العلماء في قوله تعالى ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ هو أن تظنَّ بأهل الخير سوءاً، فأمّا أهل السوء والفسوق فلنا أن نظن بهم مثل الذي ظهر لنا[4]، وقال رسول الله ﷺ: «**إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث**»[5].

---

(1) النسائي، كتاب: السهو، باب الدعاء بعد الذكر (3/ 55)، صححه الألباني.
(2) سنن الترمذي، وصححه الألباني، كما في، صحيح سنن الترمذي (3/ 183).
(3) الشهب اللامعة في السياسة النافعة، للمالقي، ص 173.
(4) الأخلاق بين الطبع والتطبع، ص 243.
(5) البخاري رقم: 5143، مسلم رقم: 2563.

وعد ابن حجر سوء الظن بالمسلم من الكبائر الباطنة حيث قال: وذلك أنّ من حكم بشرٍّ على غيره بمجرد الظن حمله الشيطان على احتقاره، وعدم القيام بحقوقه، والتّواني في إكرامه، وإطالة اللسان في عرضه، وكل هذا مهلكات، وكل من رأيته يسيء الظّنّ بالناس، طالباً لإظهاره معايبهم - فاعلم أنّ ذلك لخبث باطنه وسوء طويّته، فإن المؤمن يطلب المعاذير لسلامة باطنه، والمنافق يطلب العيوب لخُبث باطنه[1].

فهذه إطلالة موجزة على قول الحسن بن علي ﷺ : يجوز أن يظن السوء بمن علم السوء منه وبدت عليه أدلته، وليس ينبغي أن يظن به السوء بمجرد الظن، فإن الظن يكذب[2] كثيراً.

5 - قول الحسن بن علي ﷺ : والله ما تشاور قوم قط إلا هداهم الله لأفضل ما يحضرهم[3]، فالحسن ﷺ يحث الناس ويوصيهم بضرورة التشاور فيما بينهم في جميع أمورهم، وقد مارس الرعيل الأول الشورى وتعلمها من هدي الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، وقد شاور الحسن أخيه الحسين وابن عمه عبد الله بن جعفر وغيرهم من قادة دولته في الصلح مع معاوية ﷺ كما سيأتي بيانه، وتعتبر الشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام، ومن لا يستشير أهل العلم والدين - من الحكام - فعزله واجب، هذا ما لا خلاف فيه[4].

وقال الجصاص الحنفي ﷺ في تفسيره المعروف بأحكام القرآن معقباً على قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: 38]: وهذا يدل على جلالة موقع الشورى لذكرها مع الإيمان، وإقامة الصلاة، ويدل على أننا مأمورون بها[5]، قال الطاهر بن عاشور: مجموع كلام الجصاص يدل على أن مذهب أبي حنيفة وجوبها[6].

وقال النووي ﷺ: واختلف أصحابنا هل كانت الشورى واجبة على رسول الله ﷺ أم كانت سنة في حقه كما في حقنا، والصحيح عندهم وجوبها، وهو المختار، قال الله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾، والمختار الذي عليه جمهور الفقهاء ومحققو الأصول أن الأمر للوجوب[7].

---

(1) الزواجر، ص 114.
(2) الشهب اللامعة في السياسة النافعة، ص 173.
(3) تهذيب الرياسة، وترتيب السياسة للقلعي، ص 183.
(4) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (3/ 379).
(5) أحكام القرآن للجصاص (3/ 386).
(6) التحرير والتنوير (4/ 149).
(7) شرح النووي على مسلم (4/ 76).

وقال ابن تيمية رحمه الله: لا غنى لولي الأمر عن المشاورة، فإن الله تعالى أمر بها نبيه ﷺ فقال تعالى: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: 159].

إن الشورى من قواعد النظام الإسلامي التي تساهم في إقامة المجتمع المسلم، وقد شرع نظام الشورى لحكم بالغة ومقاصد عظيمة، ولما فيها من المصالح الكبيرة، والفوائد الجليلة التي تعود على الأمة والدولة والمجتمع بالخير والبركة، ومن ذلك:

- الشورى نوع من الحوار المفتوح، ومن أحسن الأساليب لتوعية الرأي العام وتنويره، وتعزيز عوامل الحب والثقة بين الحاكم والمحكومين، والقائد والمقودين، والرئيس والمرؤوسين، وهو خير أسلوب في الحكم لعزل الشكوك، ونفي الهواجس، وإزالة الأوهام، ووقف الإشاعات التي تنمو عادة في ظل الاستبداد، وتنتشر في عتمة الغوغائية.

- تقضي مبادئ الإسلام بأن يشعر كل فرد أن له دوراً في حياة المجتمع والجماعة، والشورى تتيح الفرصة أمام كل فرد لكي يقدم ما يستطيع من جهود وأفكار وآراء ومهارات لخير المجتمع، كما تتيح الفرصة أمام كل فرد ليعبر عن رأيه في الشؤون العامة.

- إن الشورى تمنح الدفء العاطفي، والتماسك الفكري لأفراد الأمة، وفيها إشعار الفرد بقيمته الذاتية، وقيمته الفكرية، وقيمته الإنسانية، وتدفع أفراد المجتمع نحو الاجتهاد والإبداع والرضى وتتفجر الطاقات وتنكشف المواهب المغمورة في الأمة.

- إن الشورى تساهم في علاج ضروب الكبت الضاغطة، وكوامن الأحقاد الدفينة، وتطيح بكثير من الكظوم الخفية، تدفع رعايا الدولة للعطاء والحرص على ترسيخ النظام، وصدق الولاء.

- وفي نظام الشورى تذكير للأمة بأنها هي صاحبة السلطان، وتذكير لرئيس الدولة بأنه وكيل عنها في مباشرة الحكم والسلطان.

- وفي المشاورة امتثال لأمر الله بها، واقتداء برسول الله ﷺ وهذه المزية أرجح المزايا المتقدمة، وهذا أهم العوامل في نجاح نظام الشورى[1]. فالحسن بن علي رضي الله عنه يحث الناس على الاهتمام بالشورى وممارستها وتطبيقها ولذلك قال: والله ما تشاور قوم قط إلا هداهم الله لأفضل ما يحضرهم[2].

6 - قال الحسن بن علي رضي الله عنه في بعض مواعظه للمسلمين: يا ابن آدم عفَّ عن محارم

(1) الشورى بين الأصالة والمعاصرة لعز الدين التميمي، ص 33، 34.

(2) تهذيب الرياسة وترتيب السياسة، ص 183.

الله تكن عابداً، وارض بما قسم الله لك تكن غنياً، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلماً، وصاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك بمثله تكن عادلاً. إنه كان بين أيديكم قوم يجمعون كثيراً ويبنون مشيداً ويأملون بعيداً، أصبح جمعهم بوراً وعملهم غروراً ومساكنهم قبوراً. يا ابن آدم إنك لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك، فجد بما في يدك لما بين يديك، فإن المؤمن يتزود والكافر يتمتع[1]، وتلا هذه الآية: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: 197].

أ - وهذا شرح موجز لهذه الخطبة الحسنية: يا ابن آدم عف عن محارم الله تكن عابداً[2]، فهذا توجيه من الحسن بن علي يحث فيه الناس على الابتعاد عن المحرمات، ويعتبر الحسن ابن علي من ترك المحرمات فهو العابد، فالوقوع في المحرمات توقع الإنسان في الغفلة وتعرضه لسخط الله وعقابه وغضبه، كما أن الوقوع في المحرمات والغفلة عن طاعة الله سببان لمفاسد كثيرة وأضرار بليغة في الدنيا والآخرة، يقول ابن القيم: قلة التوفيق وفساد الرأي، وخفاء الحق، وفساد القلب، وخمول الذكر، وإضاعة الوقت، ونفرة الخلق، والوحشة بين العبد وبين ربه، ومنع إجابة الدعاء، وقسوة القلب، ومحق البركة في الرزق والعمر، وحرمان العلم، ولباس الذل، وإهانة العدو، وضيق الصدر، والابتلاء بقرناء السوء الذين يفسدون القلب، ويضيعون الوقت، وطول الهم والغم وضنك المعيشة، وكسف البال، كل هذه الأشياء تتولد من المعصية والغفلة عن ذكر الله كما يتولد الزرع من الماء، والإحراق من النار، وأضداد هذه تتولد من الطاعة[3]، فالبعد عن المحرمات طريق للطاعات، فيصبح المسلم عابداً، ولذلك قال الحسن: عف عن محارم الله تكن عابداً[4].

ب - وارض بما قسم الله لك تكن غنياً[5]: يتحدث الحسن ﷺ عن الرضى بما كتبه الله على العبد، وأن الرضى يؤدي إلى الغنى بالله سبحانه وتعالى، والرضا عن الله سبحانه وتعالى معناه: أن لا يكره العبد ما يجري به قضاء الله تعالى[6]. وأعلاه: سرور القلب، وسكينة النفس إلى قضاء الله وقدره خيره وشره، والإيمان بالقضاء والقدر أحد الأركان الستة، حلوه ومره، وهذا القسم من الرضا من أجل الأخلاق الإيمانية لأنه: آخذ بزمام مقامات الدين

(1) نور الأبصار، الشبلنجي، ص 121، الحسن بن علي، ص 28.
(2) نور الأبصار، الشبلنجي، ص 121.
(3) الفوائد، ص 32.
(4) الحسن بن علي، ص 28، نور الأبصار، ص 121.
(5) المصدر السابق نفسه، ص 28.
(6) المفردات للراغب، ص 197.

كلها، إذ هو روحها وحياتها، فإنه روح التوكل وحقيقته، وروح اليقين، وروح المحبة ودليل صحة محبة المحب، وروح الشكر ودليله[1]، وهو أيضاً يفتح باب حسن الخلق مع الله تعالى ومع الناس، فإن حسن الخلق من الرضا، وسوء الخلق من السخط، بل إن بعض العلماء عرف الرضا بحسن الخلق مع الله، قال: لأنه يوجب ترك الاعتراض عليه في ملكه، وحذف فضول الكلام الذي يقدح في حسن خلقه.. فلا يسمي شيئاً قط قضاه الله تعالى وقدره باسم مذموم، إذا لم يذمه الله تعالى، لأنه ينافي الرضا[2].

ولذلك كان هذا النوع من الرضا محل عناية القرآن الكريم في التحدث عنه بآيات كثيرة يقول فيها ﷻ: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: 100] مما يدل على أنه من أعلى مقامات الإيمان لما يعنيه من كمال الخُلق مع الخالق جلّ وعلا، لكل ما يقضيه الله ﷻ في خلقه وكونه وتشريعه، فيقبله العبد بكل سرور واطمئنان وانشراح نفس، فلا يجد في نفسه حرجاً ممّا قضاه الله تعالى له من خير أو شر - بل يرضى بمر القضاء الذي قدره له - ولا على ما قضاه في الكون من تدبير وخلق وفناء بداية، لما يعلمه من حكمته سبحانه في تدبيره الملكوت كله، ولا على ما شرعه لعباده من تشريع على ألسنة رسله، وفي محكم كتابه، لأنه كله هو الحق والهدى - فصاحب هذا الخلق يتلقى كل ذلك بالمحبة والسرور على مراد الله الذي قضاه في كل ذلك، لعلمه أن الله ﷻ حكيم في فعله وتدبيره وقضائه، ودود مع عباده لا يفعل لهم إلا محض الخير مهما بدا لأنفسهم خلافه[3].

وقد كان جدّ الحسن ﷺ القدوة المثلى والأسوة الحسنى، فقد بيّن لنا ﷺ كيف كان رضاه عن الله تعالى فيما يبتليه به في الحياة من متاعب في النفس أو المال أو البنين أو الأقارب، فكان ﷺ على ذلك النحو من الرضا كمالاً وتماماً، سواء فيما ناله من الأذية في نفسه من جراء دعوته إلى الله تعالى في مكة أو في الطائف أو في المدينة، ولقد بلغت به الأذيّة أن جرت عليه عدة محاولات اغتيال فلم تفلح، فلم يزد على تقرير المحاولين ما أرادوه، ثم العفو عنهم، وأما رضاه بما كان عليه من القلة في المال، فلم تعرف البشرية رضاً مثله، حيث بلغ به في حاله ذاك، أن جعل يدعو الله تعالى ويقول: «**اللهم اجعل رزق آل محمداً قوتاً**»[4]، وأما في فقد الأولاد فلما مات خال الحسن ولد النبي ﷺ الرضيع إبراهيم عليه السلام عن ثمانية عشر شهراً، وقد رزق به على الكِبَر وبعد موت أبنائه الذكور من قبل، لم يتزعزع رضاه عليه الصلاة والسلام لقضاء الله وقدره، بل أعلن رضاه بذلك، وقال فيما رواه عنه أنس بن مالك رضي الله عنه: «**إن العين**

(1) مدارج السالكين (2/ 218).
(2) المصدر السابق نفسه (2/ 220).
(3) أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة (1/ 96).
(4) البخاري، الرقاق رقم: 1055.

تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا بما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»[1].

وأما أقاربه ﷺ فقد صُرِّعوا حوله بين يديه في الدفاع عنه وعن دعوته، فلم يتبرم لذلك، بل جاء أنه قال في حق عمه أسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب[2] ﷺ الذي استشهد بأحد، ومُثِّلَ به أيَّما تمثيل: فنظر إلى منظر لم ينظر إلى منظر أوجع للقلب منه، نظر إليه، وقد مُثِّل به، فما زاد على أن قال: «رحمة الله عليك، إن كنت ما علمتك إلا وصولاً للرحم، فعولاً للخيرات، والله لولا حزن من بعدك عليك لسرني أن أتركك حتى يحشرك الله في بطون السباع»[3].

ومع ما كان عليه ﷺ من كمال الرضا عن الله تعالى في كل أحواله، فقد كان دائب الدعاء أن يرزقه الله تعالى المزيد من الرضا والثبات الدائم عليه[4]، فكان من دعائه ﷺ: «وأسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، وأعوذ بك من ضراء مضرة، وفتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين»[5].

ولم تقتصر أقواله ﷺ في الرضا على ما كان يعبر به عن نفسه من ذلك الخلق العظيم، بل كذلك كان ينوه بهذا الخلق العظيم، ويبين ما له من عظيم الأجر والثواب عند الله، ليحض أمته عليه، وذلك كما في قوله ﷺ: «من قال حين يسمع المؤذن: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، رضيت بالله ربًّا، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، وبالإسلام ديناً، غفر له ذنبه»[6]. ويلاحظ هنا كيف ربط النبي ﷺ هذا الدعاء بأمر يتكرر يومياً خمس مرات. ليصبح هذا الدعاء ومضمونه شيئاً راسخاً في نفس المؤمنين والمؤمنات، وقوله ﷺ: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا، وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً»[7]. فقد بيّن في هذين الحديثين عظيم خلق الرضا عن الله تعالى حيث أبان أن هذا الخلق سبب لمغفرة الذنوب، وشهد له في الحديث الآخر أنه مما يوجد حلاوة الإيمان، وذلك لأن صاحب هذا الخلق يعلم أنه ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن تدبير الله تعالى له خير من تدبيره لنفسه، فيعيش قرير العين في هذه الحياة في السراء والضراء، يحمد الله تعالى

(1) مسلم رقم: 2315.
(2) طبقات ابن سعد (3/ 8).
(3) تفسير ابن كثير (2/ 592) عزاه ابن كثير إلى البزار وقال عنه بعد إيراده له بسنده: هذا إسناده فيه ضعف، وذكره بنحوه ابن هشام في سيرته (3/ 171) عن ابن إسحاق مرسلاً.
(4) أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة (1/ 100).
(5) سنن النسائي، في السهو (3/ 55) من حديث عمار بن ياسر، إسناده حسن.
(6) مسلم رقم: 386.
(7) مسلم رقم: 2758.

على الخير وغيره، لأن ذلك كله فعل الله تعالى وتصرفه في ملكه، وأي راحة للمرء أكثر من أن يعيش في هذه الحياة على هذا النحو[1]؟

فالحسن بن علي ﷺ حثّ على هذا الخلق بلسان الحال ولسان المقال فقد قال: وارض بما قسم الله لك تكن غنيًّا[2].

ج - **قوله: وأحسن جوار من جاورك تكن مسلماً**[3]: فالحسن ﷺ يحث المسلمين على حسن الجوار، فحق الجار على جاره من أعظم الحقوق، قال تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ [النساء: 36]، وقال النبي ﷺ: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**»[4] وذلك لشدة الوصية به وتأكيدها. ومن حقوق الجوار وآدابه في الإسلام أمور منها:

- عدم إيذائه بأي شيء من قول أو عمل: فقد قال ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره**»[5]. فيجب على الإنسان أن يكف أذاه عن جاره، وسواء كان بالقول، أو بالفعل، أو بالإشارة، فأذية الجار محرمة على كل حال.

- الإحسان إليه دائماً: وبكل صورة ممكنة، كما قال ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً، أو ليسكت**»[6] ونظراً للأهمية الكبرى التي يعطيها الإسلام للجار ربط الرسول ﷺ بين صدق الإيمان بالله واليوم الآخر والإحسان للجار، ولو طبقنا هذا التوجيه النبوي مع جيراننا في مجتمعاتنا لتحولت هذه المجتمعات إلى مجتمعات متعاونة ومتكاتفة ولعاش أهلها حياة طيبة.

- تحمل أذى الجار والصبر عليه: وكما قيل: ليس حسن الجوار بكف الأذى عن الجار، ولكن بتحمل أذاه. فينبغي للمسلم أن يصبر على أذى جاره، وأن يتحمله، وأن يقابله بالإحسان. فإن بهذا يغلق الباب أمام نزغ الشيطان.

- مواساته بالطعام ولا سيما إذا كان فقيراً:

قال ﷺ: «**ليس المؤمن بالذي يشبع وجاره جائع إلى جنبه**»[7]، وقال ﷺ: «**إذا طبخ**

(1) أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة (1/ 101).
(2) الحسن بن علي، ص 28، نور الأبصار، ص121.
(3) الحسن بن علي، ص 28.
(4) البخاري، رقم: 6015.
(5) البخاري، رقم: 6018.
(6) مسلم، رقم: 48.
(7) المستدرك (4/ 167) السلسلة الصحيحة رقم: 148.

أحدكم قدراً فليكثر مرقها، ثم ليناول جاره منها»[1]، وقال ﷺ: «يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة»[2]. فينبغي لكل مسلم أن يتنبه إلى هذا الأدب الرفيع، وألا يهمله، فإن له أثراً عظيمًا على الجار، وهو دليل على اتصاف المجتمع المسلم بالتراحم، والتعاطف، والتكافل بين أفراده[3]، ويفهم من الحديث الحرص على سد احتياجات الجار ما أمكن من ملابس وأدوية وغيرها.

- مشاركته الفرح والحزن:

فإذا كان عند جاره مناسبة سارة فينبغي له أن يذهب إليه، وأن يشاركه ويقاسمه فرحه، ما لم يكن فيه معصية، وإذا أحلت به نازلة فينبغي له أن يحضره، وأن يشاركه ويقاسمه حزنه، ويواسيه بالكلمة الصالحة، ويشد من أزره. وكل هذا من حق المسلم أصلاً على أخيه المسلم، والجار أولى بهذه الحقوق من غيره.

- أن يعرض عليه البيت قبل غيره إذا أراد التحول عنه:

فإذا أراد أن ينتقل من داره فليعرضها على جاره قبل غيره، فقد يرغب في شرائها، وكذلك أي أرض أو عقار، وقد قال ﷺ: «من كانت له أرض فأراد بيعها فليعرضها على جاره»[4]. وهذا أطيب لخاطره ولقلبه، وإذا فرط الناس في هذا الأمر فإنهم يفتحون باباً للمشاحنات والمنازعات والعداوات، فالله المستعان.

- ألا يمنع جاره من غرس خشبة في جداره: إذا احتاج الجار إلى ذلك، فينبغي أن يسمح له بغرس هذه الخشبة، ولا يمنعه من الانتفاع بها، فقد قال ﷺ: «لا يمنع جار جاره أن يغرس خشبة في جداره»[5]. ثم قال أبو هريرة: مالي أراكم عنها معرضين؟ والله لأرمين بها بين أكتافكم. أي: لأصرحن ولأحدثن بها بينكم مهما ساءكم ذلك وأوجعكم[6]. ويفهم من الحديث كل مساعدة يحتاجها الجار، ولا يترتب عليها ضرر لجاره، فالإسلام يحث على تقديمها.

- تعظيم حرمة الجار وعدم خيانته: لا بإفشاء سره، ولا بهتك عرضه، ولا بالفجور بأهله، فإنه من أقبح الكبائر، قال ﷺ لما سئل: أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية

(1) مجمع الفوائد (8/ 165)، صحيح الجامع للألباني رقم: 676.
(2) مسلم رقم: 1030.
(3) موسوعة الآداب الإسلامية (1/ 299).
(4) سنن ابن ماجه رقم: 2493، صحيح ابن ماجه 2022.
(5) البخاري رقم: 2463.
(6) موسوعة الآداب الإسلامية (1/ 301).

أن يطعم معك». قيل: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك»[1]، بل ينبغي أن يحفظه في نفسه وماله وعرضه، حتى يأمنه جاره، فقد قال ﷺ: «والله لا يؤمن» - ثلاثاً - «الذي لا يأمن جاره بوائقه»[2]. أي غدره وخيانته[3]. ولذلك كان الحسن بن علي ﷺ يوصي الناس في مواعظه وخطبه بحسن الجوار، والإحسان إلى الجار، فقد قال: وأحسن جوار من جاورك تكن مسلماً[4].

د - قوله: وصاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك بمثله تكن عادلاً: فالحسن ﷺ يحث المسلمين على إنصاف الناس ومصاحبتهم بالعدل وعدم ظلمهم، فالإنصاف خصلة شريفة، وخلة كريمة، يدل على نفس مطمئنة، وأفق واسع، ونظر في العواقب بعيد، ويعرف بأنه استيفاء الحقوق لأربابها[5]، واستخراجها بالأيدي العادلة، والسياسة الفاضلة[6]، وقال ابن القيم في إنصاف الناس: أن تؤدي حقوقهم، وألا تطالبهم بما ليس لك، وألا تحملهم فوق وسعهم، أن تعاملهم بما تحب أن يعاملوك به، وأن تعوضهم ممّا تحب أن يعوضوك منه، وأن تحكم لهم أو عليهم بما تحكم به لنفسك أو عليها[7]. الإنصاف والعدل توأمان نتيجتهما عُلُوُّ الهمَّة، وبراءة الذِّمَّة باكتساب الفضائل، واجتناب الرَّذائل[8].

وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالإنصاف، ونهى أن يحملنا بغضنا للكُفَّار على عدم الإنصاف، فقال عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: 8]. قال ابن تيمية رحمه الله: فنهى أن يحمل المؤمنين بغضهم للكفار على ألّا يعدلوا، فكيف إذا كان البغض لفاسق، أو مبتدع، أو متأوِّل من أهل الإيمان؟ فهو أولى أن يجب عليه ألّا يحمله ذلك على ألّا يعدل على مؤمن، وإن كان ظالماً له[9]. وقال ابن كثير رحمه الله: أي لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل، فإن العدل واجب على كلِّ أحد في كل أحد في كل حال، وقال لبعض السلف: ما عاملت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه[10].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ﴾ [المائدة: 2]. قال أبو عبيدة والفراء: أي لا يكسبنكم بغض قوم أن تعتدوا[11] الحق

(1) مسلم رقم: 86.
(2) البخاري رقم: 6016.
(3) موسوعة الآداب الإسلامية (1/ 301).
(4) الحسن بن علي، ص 28، نور الأبصار، ص 121.
(5) أرباب: أصحاب، مفرد رب.
(6) الأخلاق بين الطبع والتطبع، ص 228.
(7) زاد المعاد (2/ 407) بتصرف.
(8) التَّوقيف على مهمَّات التعريف للمناوي، ص 64.
(9) الاستقامة (1/ 38).
(10) تفسير ابن كثير (2/ 7).
(11) تعتدوا: تتجاوزوا.

إلى الباطل، والعدل إلى الظلم[1]، فما أجمل أن يتحلى المرء بالإنصاف، فهو من صفات الربانيين الذين لا يرجون إلا الحق[2].

قال ابن القيم رحمه الله:

وتعرَّ من ثوبين من يلبسهما ... يلق الردى بمذمة وهوان[3]
ثوب من الجهل المركب فوقه ... ثوب التعصب بئست الثوبان
وتحلَّ بالإنصاف أفخر حلة ... زينت بها الأعطاف والكتفان[4]

وقال المتنبي:

ولم تزل قلة الإنصاف قاطعة ... بين الرجال ولو كانوا ذوي رحم

ومن إنصاف العباد إنصافهم في الأموال والمعاملات، والحجج والمقالات، وقد عاب الله سبحانه وتعالى الذين يخسون الناس أشياءهم، وأوعدهم بالخسارة والهلاك، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: 1 - 3]. قال ابن سعدي رحمه الله: دلت الآية الكريمة على أن الإنسان كما يأخذ من الناس الذي له، يجب عليه أن يعطيهم كل ما لهم من الأموال والمعاملات، بل يدخل في عموم هذه الحجج والمقالات، فإنه كما أن المتناظرين قد جرت العادة أن واحداً منهما يحرص على ما له من الحجج، فيجب عليه - أيضاً - أن يبين ما لخصمه من الحجج التي لا يعلمها. وأن ينظر في أدلة خصمه كما ينظر في أدلته هو، وفي هذا الموضع يعرف إنصاف الإنسان من تعصبه واعتسافه[5]، وتواضعه من كبره، وعقله من سفهه[6]. فما أجمل قول الحسن بن علي رضي الله عنهما: وصاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك بمثله تكن عادلاً[7].

هـ - **قول الحسن** رضي الله عنه: إنه كان بين أيديكم قوم يجمعون كثيراً ويبنون مشيداً، ويأملون بعيداً، أصبح جمعهم بوراً وعملهم غروراً ومساكنهم قبوراً، يا بن آدم إنك لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك، فجد بما في يدك لما بين يديك فإن المؤمن يتزود والكافر يتمتع، وتلا هذه الآية: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: 197].

فالحسن رضي الله عنه يصف صنفاً من الناس منغمساً في الدنيا وزينتها، مشغولاً بالجمع والبناء ومصاباً بمرض طول الأمل، فهذا حال أغلب الناس إلا من رحم ربي، فإذا الموت يأتي بغتة،

(1) تفسير القرطبي (6/ 45).
(2) الأخلاق بين الطبع والتطبع، ص 229.
(3) الهوان: الخزي والعار.
(4) الأعطاف: جمع عطف، وهو الجانب.
(5) الاعتساف: أشد الظلم.
(6) تفسير ابن سعدي، ص 915.
(7) الحسن بن علي، ص 28.

فلم ينتفعوا بما جمعوا، فأصبحت أعمالهم ضائعة، ومساكنهم خالية، فالحسن بن علي ﷺ يحذر الناس من الاغترار بهذه الدنيا ويحثهم على الزهد فيها، وإنما ينشأ الزهد لليقين بالتفاوت بين الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[النساء: 77]. والقرآن يربي المؤمن على الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة، وقد بين الله سبحانه وتعالى أن الكفار هم الذين يغترون بزينة الدنيا وزخرفها، فقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة: 212].

وقد بيّن القرآن الكريم في كثير من المواضع: أن الدنيا حقيرة لا يجب أن تشغل المرء عن طلب الآخرة، منها قوله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾[التكاثر: 1 - 8]، أي أشغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها، وتمادى بكم ذلك حتى جاءكم الموت وزرتم المقابر وصرتم من أهلها[1].

وروى الإمام أحمد، عن عبد الله بن الشخير قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقول: «﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ **يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت**»[2]؟ وقال رسول الله ﷺ: «**يقول العبد: مالي مالي، وإنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو تصدق فأمضى، وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس**»[3]، وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يتبع الميت ثلاث فيرجع اثنان ويبقى معه واحد: يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله ويبقى عمله**»[4]، وعن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**يهرم ابن آدم وتبقى معه اثنتان: الحرص والأمل**»[5]، وقال الأحنف بن قيس لما رأى في يد رجل درهماً: لمن هذا الدرهم؟ فقال الرجل: لي، فقال: إنما هو لك إذا أنفقته في أجر، أو ابتغاء شكر، ثم أنشد الأحنف متمثلاً قول الشاعر:

أنت للمال إذا أمسكته ... فإذا أنفقته فالمال لك[6]

وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ أي: ثم لتسألن يومئذ عن شكر ما أنعم

(1) معنى الزهد والمقالات وصفة الزاهدين لأبي سعيد البعري، ص 9.
(2) مسلم رقم: 2958. (3) مسلم 2959.
(4) البخاري رقم: 6514. (5) مسلم رقم: 1047.
(6) معنى الزهد والمقالات وصفة الزاهدين، ص 10.

الله به عليكم من الصحة والأمن والرزق وغير ذلك، ما إذا قابلتم به نعمة من شكره وعبادته[1].
وقال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: 131، 132].

قال ابن كثير رحمه الله: يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: لا تنظر إلى هؤلاء المترفين وأشباههم ونظرائهم وما فيه من النعيم، فإنما هو زهرة زائلة ونعمة حائلة لنختبرهم بذلك، وقليل من عبادي الشكور، وقال مجاهد: ﴿أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ يعني: الأغنياء، فقد آتاك الله خيراً مما آتاهم. ولهذا قال: ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ فكان ﷺ أزهد الناس في الدنيا مع القدرة عليها إذا حصلت له ينفقها هكذا وهكذا في عباد الله، ولم يدخر لنفسه شيئاً قال: «**إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح الله لكم من زهرة الدنيا**» قالوا: وما زهرة الدنيا يا رسول الله؟ قال: «**بركات الأرض**»[2] وقال قتادة والسدي: [زهرة الحياة] يعني: زينة الحياة الدنيا. وقال قتادة: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ لنبتليهم. وقوله: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ أي: استنقذهم من عذاب الله بإقام الصلاة، واصبر أنت على فعلها، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: 6]. وقوله: ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ يعني: إذا أقمت الصلاة أتاك الرزق من حيث لا تحتسب. كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: 2، 3] ولهذا قال: ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾.

وقال الثوري: لا نسألك رزقاً: أي لا نكلفك الطلب. وقال ثابت: وكانت الأنبياء إذا نزل بهم أمر فزعوا إلى الصلاة[3]. وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة نيته جمع له أمره وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة**»[4]. وقوله: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ أي: وحسن العاقبة في الدنيا والآخرة وهي الجنة لمن اتقى.. انتهى[5].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: اضطجع رسول الله ﷺ على حصير، فأثر في جنبه فلما استيقظ جعلت أمسح عنه، فقلت: يا رسول الله، ألا آذنتنا فبسطنا شيئاً يقيك منه، فتنام عليه،

(1) معنى الزهد والمقالات وصفة الزاهدين، ص 10.
(2) البخاري رقم: 6427.
(3) معنى الزهد والمقالات وصفة الزاهدين، ص 11.
(4) سنن ابن ماجه رقم: 4105، وصححه الألباني، صحيح الجامع 6510.
(5) تفروا إلى الله، ص 62، لأبي ذر القلموني، بتصرف.

فقال: «مالي وللدنيا، ما أنا والدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف، فقال تحت شجرة، ثم تركها»[1]. وقد كان الصحابة ﷺ سائرين على نهج النبي ﷺ فقد كانوا أزهد الناس وأرغبهم في الآخرة، فنظروا إلى الدنيا بعين أنها فانية وإلى الآخرة أنها باقية، فتزودوا من الدنيا زاد الراكب، ونظروا إلى الآخرة بقلوبهم، فعلموا أنهم سينظرون إليها بقلوبهم وأعينهم، ولمَّا علموا أنهم سيرتحلون منها بأبدانهم تعبوا قليلاً، وتنعموا كثيراً، كل ذلك بتوفيق مولاهم الكريم، فأحبوا ما أحبَّ لهم، وكرهوا ما كره لهم.

قال ابن مسعود ﷺ للتابعين: لأنتم أكثر عملاً من أصحاب رسول الله ﷺ، ولكنهم كانوا خيراً منكم، كانوا أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة، فكان في التابعين من هو أكثر قياماً وصياماً وعبادة من الصحابة ﷺ، ولكن الصحابة ﷺ سبقوا بأحوالهم الإيمانية من الزهد واليقين، وصدق التوكل على الله ﷻ، ولا شك في أن الصحابة ﷺ تعلموا الزهد من رسول الله ﷺ، فقد كان النبي ﷺ يمر عليه الهلال ثم الهلال ثم الهلال، ثلاث أهلة في شهرين، ولا يُوقد في بيتٍ من أبياته نار[2].

وأما قول الحسن بن علي ﷺ: فإن المؤمن يتزود والكافر يتمتع، وتلا هذه الآية: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: 197]. ففيها دعوة للتقوى، والالتزام بها، والتقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله، والمطلوب من العبد أن يتعلق قلبه بالله وحده محبة له وإخلاصاً له في عبادته ورغبة فيما عنده من نعيم أعده للمتقين، فخوفاً من سخطه وعقابه وعذابه.

وللتقوى ثمار يحتاج إليها كل مسلم منها: المخرج من كل ضيق والرزق من حيث لا يحتسب العبد، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: 2، 3].

ومنها: تيسير العلم النافع، قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: 282].

ومنها: إطلاق نور البصيرة، قال تعالى: ﴿إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: 29].

ومنها: محبة الله ﷻ، ومحبة ملائكته والقبول في الأرض، قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 76].

وعن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إذا أحب الله العبد قال لجبريل: قد أحببت فلاناً فأحبه. فيحبه جبريل ﷺ ثم ينادي في أهل السماء: إن الله قد أحب فلاناً**

(1) سنن الترمذي رقم: 2377 وصححه الألباني، صحيح الجامع رقم: 5668.
(2) البخاري رقم: 6567، مسلم رقم: 2972.

فأحبوه، فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض»[1].

ومنها: نصرة الله ﷻ وتأييده وتسديده: وهي المعية المقصودة بقول الله ﷻ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 194] فهذه المعية هي معية التأييد والنصرة والتسديد، وهي معية الله ﷻ لأنبيائه وأوليائه ومعيته للمتقين والصابرين، وهي تقتضي التأييد والحفظ والإعانة، كما قال تعالى لموسى عليه السلام وهارون: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: 46] وأما المعيَّة العامة مثال قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: 4] وقوله: ﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [النساء: 108]. والمعية العامة تستوجب من العبد الحذر والخوف ومراقبة الله ﷻ.

ومنها: البركات من السماء والأرض، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: 96].

ومنها: البشرى في الحياة الدنيا، وهي الرؤيا الصالحة وثناء الخلق ومحبتهم، قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [يونس: 62 - 64] والبشرى في الحياة ما بشر الله به المؤمنين المتقين في غير مكان من كتابه، وعن النبي ﷺ: «**الرؤيا الصالحة من الله**»[2]. وعنه ﷺ: «**لم يبق من النبوة إلا المبشرات**». قالوا: وما المبشرات؟ قال: «**الرؤيا الصالحة**»[3]. وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت لرسول الله ﷺ: الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس، فقال: «**تلك عاجل بشرى المؤمن**»[4]. وقد رأينا من الموفقين ثناء الناس على أعمالهم في الدنيا.

ومنها: الحفظ من كيد الأعداء ومكرهم، قال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: 120]. يرشدهم تعالى إلى السلامة من شر الأشرار وكيد الفجار باستعمال الصبر والتقوى والتوكل على الله الذي هو محيط بأعدائهم، فلا حول ولا قوة لهم إلا به، وهو الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن[5].

ومنها: حفظ الذرية الضعاف بعناية الله تعالى ﷻ، قال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: 9]. وفي الآية إشارة إلى إرشاد المسلمين الذين يخشون ترك ذرية ضعاف بالتقوى في سائر شؤونهم حتى

(1) مسلم، كتاب: البر والصلة رقم: 6937.
(2) البخاري، كتاب: الرؤيا رقم: 6986.
(3) البخاري، رقم: 6990.
(4) مسلم، (4/ 2034).
(5) تفسير القرآن العظيم (1/ 329).

تحفظ أبناءهم ويدخلون تحت حفظ الله وعنايته، ويكون في إشعارها تهديد بضياع أولادهم إن فقدوا تقوى الله، وإشارة إلى أن تقوى الأصول تحفظ الفروع، وأن الرجال الصالحين يحفظون في ذريتهم الضعاف كما الآية: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: 82]. فإن الغلامين حفظا ببركة أبيهما في أنفسهما ومالهما[1].

ومنها: سبب قبول الأعمال التي بها سعادة العباد في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: 27]. ومنها: سبب النجاة من عذاب الدنيا، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [فصلت: 17 - 18].

ومنها: تكفير السيئات وهو سبب النجاة من النار، وعظم الأجر، وهو سبب الفوز بدرجة الجنة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ [الطلاق: 5].

ومنها: ميراث الجنة، فهم أحق الناس بها وأهلها، بل ما أعد الله الجنة إلا لأصحاب هذه الرتبة العلية والجوهرة البهية. قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: 63]. فهم الورثة الشرعيون لجنة الله ﷻ، وهم لا يذهبون إلى الجنة سيراً على أقدامهم، بل يحشرون إليها ركباناً مع أن الله ﷻ يقرّب إليهم الجنة، تحية لهم ودفعاً لمشقتهم، كما قال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق: 31] وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: 85].

فالحسن ﷺ يحث المسلمين على التقوى حرصاً منه على أن ينال المسلمين هذه الثمار في الدنيا والآخرة، ولذلك قال: فإن المؤمن يتزود والكافر يتمتع، وتلا هذه الآية: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[2] [البقرة: 197].

المبحث الثالث

من أهم الشخصيات في خلافة الحسن بن علي

كانت الظروف التي أعقبت وفاة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ صعبة ومعقّدة، إذ لا زالت الحرب قائمة مع معاوية بن أبي سفيان، وفي هذه الظروف بايع أهل الكوفة الحسن بن علي ﷺ بالخلافة عام 40هـ / 660م، ولذلك لم يكن لدى الحسن ﷺ متسع من الوقت

(1) محاسن التأويل للقاسمي (5/ 47).

(2) الحسن بن علي، ص 28، نور الأبصار، ص 121.

لإجراء تغييرات إدارية، أو تغيير الولاة، فأقر عمال أبيه على ولاياتهم، عدا الكوفة، فقد ولى عليها المغيرة بن نوفل[1] بعد ما سار إلى معاوية بدلاً من واليها السابق هاني بن النخعي[2].

أما على المدائن فقد استمر سعد بن مسعود الثقفي عاملاً عليها[3]، وقد كان عاملاً للخليفة علي بن أبي طالب ﷺ على ذات المدينة[4]، وقد استبقاه الحسن إبان خلافته واستمر يشغل منصبه الإداري إلى نهاية عهد الحسن بن علي ﷺ وتنازله لمعاوية.

أما على البصرة فقد جاء في بعض الروايات، بأن عبد الله بن عباس كان والياً عليها من قبل الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ، وبقي عليها لغاية عقد الصلح مع معاوية بن أبي سفيان، ثم خرج من البصرة معتزلاً السياسة قاصداً مكة المكرمة[5]، متفرغاً للعلم والتعليم.

أما ولاية فارس فقد كانت لزياد بن سفيان[6]، وكان علي ﷺ قد بعثه إلى فارس لتأديب بعض المتمردين بها، فظفر بهم وتمكن من القضاء عليهم[7]، ثم ولاه ﷺ بعد ذلك على فارس فاستمرت ولايته لغاية عقد الصلح مع معاوية[8].

كما أبقى الحسن ﷺ العمال أنفسهم الذين كانوا يعملون لوالده الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ، فقد استبقى عبيد الله بن أبي رافع كاتباً[9]، وكذلك استبقى شريح بن الحارث قاضي الكوفة[10]، وأبقى معقل بن قيس الرياحي على الشرطة[11]، وكانت من أهم شخصيات عهد خلافته: شقيقه الحسين بن علي ﷺ وسنفرد له كتاب خاصاً به بإذن الله تعالى، ومن أهم شخصيات عهده أيضاً: قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي، وعبيد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي، وقد رأيت أن أترجم للشخصيات الثلاثة الأخيرة.

---

(1) التبيين في أنساب القرشيين، ص 80 - 81.
(2) تاريخ خليفة بن خياط، نقلاً عن الحسن بن علي، فنيخان، ص 85.
(3) أنساب الأشراف (5/ 214)، نهاية الإرب (2/ 266)، .
(4) التاريخ الكبير للبخاري (4/ 50).
(5) الحلة السيراء للقضاعي، نقلاً عن الحسن بن علي، ص 86.
(6) الحسن بن علي، ص 86.
(7) المصدر نفسه.
(8) مروج الذهب (3/ 15)، الحسن بن علي، ص 86.
(9) محاضرة الأبرار، لابن العربي (1/ 66)، الحسن بن علي، ص 87.
(10) مختصر التاريخ، لابن الكمازروني، ص 80.
(11) نهاية الإرب (5/ 223).

أولاً: قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنه:

هو قيس بن سعد بن عبادة بن دُليم بن حارثة بن أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج ابن ساعدة بن كعب، الأمير المجاهد، أبو عبد الله سيِّد الخزرج وابن سيِّدهم، أبي ثابت، الأنصاري الخزرجي الساعدي، صاحب رسول الله ﷺ وابن صاحبه[1]، كان من فضلاء الصحابة وأحد دهاة العرب وكرمائهم، وكان من ذوي الرأي الصائب والمكيدة في الحرب، مع النجدة والشجاعة، وكان شريف قومه غير مدافع، ومن بيت سيادتهم[2].

له عدة أحاديث عن رسول الله ﷺ منها: عن أبي ليلى قال: كان سهل بن حُنيف، وقيس ابن سعد قاعدين بالقادسية، فمرت بهما جنازة فقاما، فقيل: إنَّما هو من أهل الأرض فقالا: إنّ رسول الله ﷺ مرّت به جنازة فقام، فقيل: إنما هي جنازة يهودي، فقال: «**أليست نفساً**»[3] وفي هذا الحديث تكريم الإنسان من حيث هو إنسان.

وعن أبي عمّار، عن قيس بن سعد قال: أمرنا النبي ﷺ أن نصوم عاشوراء قبل أن ينزل صيام رمضان، فلمّا نزل صيام رمضان لم يأمرنا ولم ينهنا، ونحن نفعله[4].

وعن محمد بن شرحبيل، عن قيس بن سعد قال: أتانا رسول الله ﷺ فوضعنا له ماء فاغتسل، ثم أتيناه بملحفة ورسية، فالتحف بها، فكأني أنظر إلى أثر الورس على عُكنه[5].

روى عنه أنس، وثعلبة بن أبي مالك، وأبو ميسرة، وعبد الرحمٰن بن أبي ليلى، وعروة[6]، وعبد الله بن مالك الجيشاني، وأبو عمّار الهمداني، وميمون بن أبي شبيب، وعريب ابن حُميد الهمداني، والوليد بن عبدة وآخرون[7]، وقد حدّث قيس بن سعد بالكوفة والشام ومصر[8].

كان قيس ضخماً حسناً طويلاً، إذا ركب الحمار خطت رجلاه الأرض[9]، وكانت أمُّه بنت عمِّ أبيه واسمها فكيهة بنت عبيد بن دُليم[10]، وكان موقعه من رسول الله ﷺ، كصاحب الشرطة من الأمير، وحمل لواء النبي ﷺ في بعض الغزوات، واستعمله على الصدقة[11]، وشهد مع رسول الله ﷺ المشاهد[12]، وشارك في بعض السرايا منها:

---

(1) سير أعلام النبلاء (3/ 102).
(2) أسد الغابة (4/ 450).
(3) البخاري رقم: 1312.
(4) مسند أحمد (3/ 422).
(5) العكن: جمع عكنة، وهي الطي في البطن من السمن، تاريخ دمشق (52/ 271).
(6) الإصابة (5/ 361).
(7) سير أعلام النبلاء (3/ 102).
(8) سير أعلام النبلاء (3/ 102).
(9) الإصابة (5/ 360).
(10) الإصابة (5/ 360).
(11) البداية والنهاية (11/ 354).
(12) الإصابة (5/ 360، 361).

1) سرية أبي عبيدة بن الجراح ﷺ إلى سيف البحر:

تعتبر سرية أبي عبيدة ﷺ إلى سيف البحر، استمراراً لسياسة النبي ﷺ العسكرية ولإضعاف قريش ومحاصرتها اقتصادياً على المدى الطويل، فقد بعث ﷺ أبا عبيدة بن الجراح في ثلثمائة راكب قبل الساحل ليرصدوا عيراً لقريش، وعندما كانوا ببعض الطريق فني الزاد، فأمر أبو عبيدة بأزواد الجيش فجمع فكان قدر مزود تمر يقوتهم منه كل يوم قليلاً، حتى كان أخيراً نصيب الواحد منهم تمرة واحدة، وقد أدرك الجنود صعوبة الموقف فتقبلوا هذا الإجراء بصدور رحبة دون تذمر أو ضجر، بل إنهم ساهموا في خطة قائدهم التقشفية فصاروا يحاولون الإبقاء على التمرة أكبر وقت ممكن[1]، يقول جابر ﷺ أحد أفراد هذه السرية: كنا نمصها كما يمص الصبي ثم نشرب عليها من الماء فتكفينا يومنا إلى الليل[2]، وقد سأل وهب بن كيسان جابراً ﷺ: ما تغني تمرة؟ فقال: لقد وجدنا فقدها حين فنيت[3]، وقد اضطر ذلك الجيش إلى أكل ورق الشجر، قال جابر ﷺ: وكنا نضرب بعصينا الخبط[4]، ثم نبله بالماء فنأكله[5]، فسمي ذلك الجيش جيش الخبط[6]، وقد أثر هذا الموقف في قيس بن سعد بن عبادة ﷺ وكان من أحد جنود هذه السرية، فنحر للجيش ثلاث جزائر[7]، ثم نحر ثلاث جزائر، ثم نحر ثلاث جزائر، ثم إن أبا عبيدة نهاه[8].

وقد جاء ما فعله قيس بن سعد من كرم وجود مفصلاً في تاريخ ابن عساكر، فعن داود بن قيس، وإبراهيم بن محمد الأنصاري وخارجة بن الحارث، قالوا: بعث ﷺ أباعبيدة في سرية فيها المهاجرون والأنصار، ثلاثمائة رجل إلى ساحل البحر، إلى حين، فأصابهم جوع شديد، فقال قيس بن سعد: أمن يشتري مني تمراً بجزر، يوفيني الجزر ههنا وأوفيه التمر بالمدينة، . . . فوجد رجلاً من جهينة فقال قيس: بعني جزراً أوفيك أوسقة من تمر بالمدينة، قال الجهني: والله ما أعرفك، فمن أنت؟ قال: أنا ابن سعد بن عبادة بن دليم، قال الجهيني: ما أعرفني بنسبك، وذكر كلاماً، فابتاع منه خمس جزائز كلَّ جزور بوسق من تمر، فشرط عليه البدوي تمر دخرة مصلّبة من تمر آل دُليم، يقول قيس: نعم، قال: فأشهد له نفراً من الأنصار، ومعهم نفر من المهاجرين، قال قيس: أشهد من تحبّ، فكان فيمن أشهد: عمر بن الخطاب،

---

(1) السرايا والبعوث النبوية، ص 118.
(2) شرح النووي على مسلم (13/ 84).
(3) فتح الباري (8/ 77).
(4) الخبط: ضرب الشجر بالعصا ليتناثر ورقها، واسم الورق الساقط خبط.
(5) شرح النووي (13/ 84).
(6) فتح الباري (8/ 78).
(7) جمع جزور، والجزور: البعير، أو خاص بالناقة.
(8) فتح الباري (8/ 78).

قال عمر: ما أشهد، هذا يدين ولا مال له إنما المال لأبيه، قال الجهني: والله ما كان سعد ليُخني[1] بابنه في أوسقة من تمر، وأرى وجهاً حسناً وفعالاً شريفاً... وأخذ قيس الجزر فنحرها لهم في مواطن ثلاثة كل يوم جزوراً، فلما كان اليوم الرابع نهاه أميره، وقال: تريد أن تخفر ذمّتك ولا مال لك[2].

وجاء في رواية أخرى: ... أقبل أبو عبيدة ومعه عمر، فقال: عزمت عليك أن لا تنحر أتريد أن تخفر ذمتك؟ قال قيس: يا أبا عبيدة، أترى أبا ثابت يقضي ديون الناس ويحمل الكل، ويطعم في المجاعة لا يقضي عني أوسقة من تمر لقوم مجاهدين في سبيل الله؟ فكاد أبو عبيدة أن يلين له وجعل عمر يقول: اعزم، فعزم عليه وأبى أن ينحر، وبقيت جزوران، فقدم بهما قيس المدينة ظهراً يتعاقبون عليهما، وبلغ سعداً فقال: ما صنعت في مجاعة القوم؟ قال: نحرت، قال: أصبت، قال: ثم ماذا؟ قال: نحرت، قال: أصبت، قال: ثم ماذا؟ قال: نحرت، قال: أصبت، قال: ثم ماذا؟ قال: نُهيتُ، قال: من نهاك؟ قال: أبو عبيدة أميري، قال: وثم؟ قال: زعم أنه لا مال لي، وأن المال لأبيك، فقلت: أبي يقضي عن الأباعد، ويحمل الكلَّ، ويطعم الطعام في المجاعة ولا يصنع هذا بي، قال: فلك أربع حوائط أدناها حائط منه تجذّ خمسين[3] وسقاً، وقدم البدوي مع قيس فأوفاه أوسقته وحمله وكساه.

وجاء في رواية أن الأعرابي قال: والله ما مثل أبيك ضيعت ولا تركت بغير مال، فأبوك سيد من سادات قومك، نهاني الأمير أن أبيعه، فقلت: لم؟ قال: لا مال له، فلما انتسب عرفته وتقدمت، لما أعرف أنك تسمو إلى معالي الأخلاق وجسيمها، وإنك غير مدبر، ولا معرفة لديك، فأعطى ابنه يومئذ أموالاً عظاماً[4].

وفي هذه القصة قيم ودروس وعبر كثيرة منها:

أ - ضرورة الصبر لأصحاب الدعوة لأنهم سيمرون بمشاق عظيمة.

ب - أهمية تربية الأبناء على الكرم والمروءة ومكارم الأخلاق، وهذا واضح في تربية سعد لابنه قيس وإعطائه الأموال العظيمة تشجيعاً له للمضي في طريق المروءة والكرم.

ج - أهمية وجود المال الصالح للعبد الصالح، فلو لم يكن لسعد مال كثير لم يستطع قيس المساهمة في حل أزمة المجاعة.

د - وكان قيس بن سعد ﷺ يقول: اللهم هب لي حمداً ومجداً، لا مجد إلا بفعال، ولا فعال إلا بمال، اللهم لا يصلحني القليل[5].

---

(1) أي يسلمه ويخفر ذمته.
(2) تاريخ ابن عساكر (52/ 280).
(3) المصدر السابق نفسه (52/ 280).
(4) المصدر السابق نفسه (52/ 280).
(5) المصدر السابق نفسه (52/ 284).

2) في فتح مكة:

دخل رسول الله ﷺ مكة وعليه عمامة سوداء بغير إحرام[1]، وهو واضع رأسه تواضعاً لله، حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح، حتى أن ذقنه ليكاد يمسّ واسطة الرحل، ودخل وهو يقرأ سورة الفتح[2]، مستشعراً بنعمة الفتح وغفران الذنوب، وإفاضة النصر العزيز[3]، وعندما دخل مكة فاتحاً - وهي قلب جزيرة العرب ومركزها الروحي والسياسي - رفع كل شعار من شعارات العدل والمساواة والتواضع والخضوع، فأردف أسامة بن زيد[4]، وهو ابن مولى رسول الله ﷺ ولم يردف أحداً من أبناء بني هاشم وأبناء أشراف قريش وهم كثير، وكان ذلك صبح يوم الجمعة لعشرين ليلة خلت من رمضان، سنة ثمان من الهجرة[5]، وقد حرص النبي ﷺ على تأمين الجبهة الداخلية في مكة عند دخوله يوم الفتح، ولذلك عندما بلغه مقولة سعد بن عبادة لأبي سفيان: اليوم يوم الملحمة، اليوم نستحل الكعبة، قال: ﷺ: «**هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة، ويوم تكسى فيه الكعبة**»[6]، وأخذ الراية من سعد بن عبادة وسلمها لابنه قيس بن سعد، وبهذا التصرف الحكيم حال دون أي احتمال لمعركة جانبية هم في غنىً عنها، وفي نفس الوقت لم يُثره، ولا أثار الأنصار، فهو لم يأخذ الراية من أنصاري ويسلمها لمهاجر، أو أنصاري آخر، بل أخذها من أنصاري وسلمها لابنه، ومن طبيعة البشر أن لا يرضى الإنسان بأن يكون أحد أفضل منه إلا ابنه[7]، وفي هذا الحادثة تظهر حكمة النبي ﷺ في كيفية تصحيح الخطأ وأسلوبه في التعامل مع النفوس، فلم يترك خطأ سعد يمر، وفي نفس الوقت راعى نفسيته، فصحح خطأ سعد وأعطى الراية ابنه.

3) في عهد الصديق رضي الله عنه:

كانت أواصر النسب بين الصديق وقيس بن سعد بن عبادة من القوة بمكان، فقد تزوج قيس رضي الله عنه قريبة بنت أبي عتيق أخت أبي بكر الصديق[8]، وقد ذكر ابن عبد البر خبراً حكم عليه بالصحة حيث قال: . . . توفي - سعد بن عبادة - عن حمل لم يعلم به، فلما وُلد - وقد كان سعد رضي الله عنه قسم ماله في حين خروجه من المدينة بين أولاده - فكلّم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما

(1) مسلم رقم: 1358.
(2) البخاري، رقم: 4281، كتاب: المغازي.
(3) صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص 396.
(4) البخاري رقم: 4289.
(5) السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، ص 337.
(6) البخاري، كتاب: المغازي، (5/ 108) رقم: 4280.
(7) قيادة الرسول السياسية والعسكرية، ص 196.
(8) البداية والنهاية (11/ 355).

في ذلك قيساً، وسألاه أن ينقض ما صنع سعد من تلك القِسمة، فقال: نصيبي للمولود، ولا أغيّر ما صنع أبي ولا أنقضه - خبر صحيح من رواية الثقات[1].

وهذا الخبر الصحيح يبين بطلان الرواية الباطلة التي تنسب لسيد الأنصار العمل على شق عصا المسلمين، والتنكر لكل ما قدمه من نصرة وجهاد وإيثار للمهاجرين والطعن بإسلامه من خلال ما ينسب إلى سعد بن عبادة من قول: لا أبايعكم حتى أرميكم بما في كنانتي، وأخضب سنان رمحي، وأضرب سيفي، فكان لا يصلي بصلاتهم ولا يجمع بجماعتهم ولا يقضي بقضائهم، ولا يفيض بإفاضتهم، حتى هلك أبو بكر[2].

فقد استغلت هذه الرواية الباطلة للطعن بوحدة المهاجرين والأنصار وصدق أخوتهم، فالراوي صاحب هوى وهو إخباري تالف لا يوثق به[3]، ولا سيما في المسائل الخلافية وهو لوط بن يحيى أبو مخنف، متروك، ولم يعتد بأبي مخنف ويعتبر بروايته ويعتمد عليها سوى الشيعة؛ فقد كان من أعظم مؤرِّخي الشيعة على قول ابن القمي[4]، وزعمت رواية أخرى في غاية الضعف بأن سعداً عاش حتى عهد عمر حيث قالت: . . فلما ولي عمر، لقيه فقال: إيه يا سعد، فقال: إيه يا عمر، فقال عمر: أنت صاحب ما أنت صاحبه؟ قال: نعم، وقد أفضى إليك هذا الأمر، وكان صاحبك والله أحبَّ إلينا منك، وقد أصبحت كارهاً لجوارك. قال: من كره ذلك تحول عنه. فلم يلبث إلا قليلاً حتى انتقل إلى الشام، فمات بحوران[5].

إن الرواية الصحيحة تبين بأن سعد بن عبادة مات في خلافة الصديق كما مرّ معنا، كما أن سعد بن عبادة ﷺ بايع أبا بكر بالخلافة في أعقاب النقاش الذي دار في سقيفة بني ساعدة إذ أنه نزل عن مقامه الأول في دعوى الإمارة وبايع للصديق بالخلافة، وكان ابن عمه بشير بن سعد الأنصاري أول من بايع الصديق ﷺ في اجتماع السقيفة، ولم يثبت النقل الصحيح أية أزمات لا بسيطة ولا خطيرة، ولم يثبت أي انقسام أو فرق لكل منها مرشح يطمع في الخلافة كما زعم بعض كتاب التاريخ، ولكن الأخوة الإسلامية ظلت كما هي، بل ازدادت توثقاً كما يثبت ذلك النقل الصحيح، ولم يثبت النقل الصحيح تآمراً حدث بين أبي بكر وعمر وأبي عبيدة

(1) الاستيعاب (3/ 1289).
(2) تاريخ الطبري (4/ 42) لا يفيض بإفاضتهم: أي في الحج.
(3) ميزان الاعتدال في نقد الرجال (3/ 2992).
(4) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري: د. يحيى اليحيى، ص 45، 46.
(5) سير أعلام النبلاء (1/ 277) إسنادها في غاية الضعف، لأن الواقدي متروك، ومحمد بن صالح التمار صدوق يخطئ، والزبير بن منذر مستور.

لاحتكار الحكم بعد وفاة رسول الله[1] ﷺ. فهم كانوا أخشى لله وأتقى أن يفعلوا ذلك[2].

وقد حاول بعض الكتّاب من المؤرخين من أصحاب الأهواء أن يجعلوا من السيد الكبير الشريف، أبي قيس الأنصاري الخزرجي الساعدي المدني، النقيب سيد الخزرج[3] سعد بن عبادة رضي الله عنه منافساً للمهاجرين يسعى للخلافة بالشر، ويدير لها المؤامرات ويستعمل في الوصول إليها كل أساليب التفرقة بين المسلمين. هذا الرجل - الذي هو والد قيس - إذا راجعنا تاريخه وتتبعنا مسلكه، وجدنا مواقفه مع الرسول ﷺ تجعله من الصفوة الأخيار الذين لم تكن الدنيا أكبر همهم، ولا مبلغ علمهم، فهو النقيب في بيعة العقبة الثانية حتى لجأت قريش إلى تعقبه قرب مكة، وربطوا يديه إلى عنقه وأدخلوه مكة أسيراً حتى أنقذه منهم جبير بن مطعم بن عدي حيث كان يجيرهم في المدينة، وهو من الذين شهدوا بدراً[4]، وحظي بمقام أهل بدر ومنزلتهم عند الله، وكان من بيت جود وكرم وشهد له بذلك رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ يعتمد عليه - بعد الله - وعلى سعد بن معاذ كما في غزوة الخندق عندما استشارهم في إعطاء ثلث ثمار المدينة لعيينة بن حصن الفزاري، فكان رد السعدين يدل على عمق الإيمان وكمال[5] التضحية، فمواقف سعد مشهورة ومعلومة.

فهذا الصحابي الجليل صاحب الماضي المجيد في خدمة الإسلام والصحبة الصادقة لرسول الله لا يثبت ولا يعقل أنه كان يريد أن يحيي العصبية الجاهلية في مؤتمر السقيفة لكي يحصل في غمار هذه الفرقة على منصب الخلافة، كما أنه لم يثبت ولم يصح ما ورد في بعض المراجع من أنه - بعد بيعة أبي بكر - كان لا يصلي بصلاتهم ولا يفيض في الحج بإفاضتهم[6]، كأنما انفصل سعد بن عبادة رضي الله عنه عن جماعة المسلمين[7]، فهذا باطل ومحض افتراء، فقد ثبت من خلال الروايات الصحيحة أن سعداً بايع أبا بكر، فعندما تكلم أبو بكر يوم السقيفة، فذكر فضل الأنصار وقال: ولقد علمتم أن رسول الله ﷺ قال: **«لو سلك الناس وادياً، وسلكت الأنصار وادياً أو شعباً لسلكت وادي الأنصار أو شعب الأنصار»**[8]. ثمّ ذكر سعد بن عبادة بقول فصل وحجة لا ترد فقال: ولقد علمت يا سعد أن رسول الله ﷺ قال وأنت

(1) استخلاف أبو بكر، جمال عبد الهادي، ص 50، 51، 53.
(2) أبو بكر الصديق، للصلّابي، ص 144.
(3) سير أعلام النبلاء (3/ 270).
(4) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (2/ 594).
(5) الخلافة والخلفاء الراشدين، سالم البهنساوي، ص 48.
(6) المصدر السابق نفسه، ص 49.
(7) المصدر السابق نفسه، ص 49.
(8) البخاري، كتاب: التمني - رقم: 7244.

قاعد: «قريش ولاة هذا الأمر، فبرّ الناس تبع لبرّهم، وفاجرهم تبع لفاجرهم» قال سعد: صدقت، نحن الوزراء وأنتم الأمراء[1]، فتتابع القوم على البيعة وبايع سعد[2].

وبهذا تثبت بيعة سعد بن عبادة، وبها يتحقق إجماع الأنصار على بيعة الخليفة أبي بكر، ولا يعود أي معنى للترويج لرواية باطلة، بل سيكون ذلك مناقضاً للواقع واتهاماً خطيراً، أن ينسب لسيد الأنصار العمل على شق عصا المسلمين، والتنكر لكل ما قدمه من نصرة وجهاد، وإيثار للمهاجرين، والطعن بإسلامه من خلال ما ينسب إليه من قول ثبت بطلانه، وقد بينا أن إسناده في غاية الضعف، وأما متنه فهو يناقض سيرة سعد بن عبادة وما في عنقه من بيعة على السمع والطاعة، ولما روي عنه من فضائل[3].

هذا وقد كان لسعد وصية أوصى بها ابنه جاء فيها: يا بني أوصيك بوصيّة فاحفظها، فإن أنت ضيعتها فأنت لغيرها من الإمرة أضيع، إذا توضّأت فأتم الوضوء، ثم صل صلاة امرئ مودع ترى أنك لا تعود، وأظهر اليأس من الناس، فإنه غنى، وإيّاك وطلب الحوائج إليهم فإنه فقر حاضر، وإيّاك وكل شيء يعتذر منه[4].

4) في عهد علي رضي الله عنه:

استشهد عثمان رضي الله عنه وعلى مصر محمد بن أبي حنيفة مغتصباً للولاية فيها، ولم يقره عثمان عليها، وبعد وفاة عثمان أقره علي على مصر فترة من الوقت لم تطل، حيث وجه معاوية جيشاً إلى نواحي مصر فظفر بمحمد بن أبي حنيفة فقبض عليه ثم سجن وقتل[5]، وقد ذكر أن عليًّا لم يعين محمد بن أبي حنيفة على مصر وإنما تركه على حاله حتى إذا قتل عيَّن علي قيس ابن سعد الأنصاري على ولاية مصر[6]، فقال له: سر إلى مصر وليتكها، واخرج إلى رحلك واجمع إليه ثقاتك ومن أحببت أن يصحبك حتى تأتيها ومعك جند، فإن ذلك أرعب لعدوك وأعز لوليك، فإذا أنت قدمتها إن شاء الله، فأحسن إلى المحسن واشتد على المريب، وارفق بالعامة والخاصة فإن الرفق يمن[7].

وقد ظهر ذكاء قيس وحسن تصرفه في العديد من المواقف، فإنه حين توجه إلى مصر كان

(1) السلسلة الصحيحة رقم: 1156، مسند أحمد رقم: 18.
(2) الأنصار في العصر الراشدي، ص 102، تاريخ الطبري (3/ 223).
(3) الأنصار في العصر الراشدي، ص 102، 103.
(4) تاريخ ابن عساكر (22/ 181).
(5) ولاة مصر للكندي، ص 42، 43، الولاية على البلدان (2/ 9).
(6) ولاة مصر، ص 44، النجوم الزاهرة (1/ 94).
(7) الكامل في التاريخ (2/ 354).

فيها مجموعة ممن غضبوا لمقتل عثمان، ومجموعة ممن اشتركوا في قتله ولقد لقيته خيل من مصر قبل دخوله إليها فقالوا: من أنت؟ قال: من فألة[1] عثمان فأنا أطلب من أوى إليه فانتصر به لله، قالوا: من أنت؟ قال: قيس بن سعد، قالوا: امضِ، فمضى حتى دخل مصر، وهذا الموقف الذي لقيس هو الذي مكنه من دخول مصر، ثم أعلن بعد ذلك أنه أمير، وربما لو أنه أعلن لهؤلاء الأجناد أنه أمير لمنعوه من دخول مصر أصلاً، كما حدث لمن وجهه علي إلى الشام فمنعته أجناد الشام من دخولها حينما علموا أنه قد بعث أميراً على الشام[2].

وحينما وصل قيس بن سعد إلى الفسطاط صعد المنبر وخطب في أهل مصر، وقرأ عليهم كتاباً من علي بن أبي طالب ﷺ وطلب البيعة لعلي[3]، وهنا انقسم أهل مصر إلى فريقين: فريق دخل في بيعة علي وبايعوا قيساً، وفريق توقف واعتزل، وكان قيس بن سعد حكيماً مع الذين بايعوا والذين امتنعوا، حيث لم يجبرهم على البيعة وكف عنهم وتركهم في حالهم[4]، ولم يكتف بذلك بل إنه بعث لهؤلاء أعطياتهم في مكان اعتزالهم ووفد عليه قوم منهم فأكرمهم وأحسن إليهم[5]، فساعدت تلك المعاملة الطيبة على تجنب الصدام بهم، وبالتالي ساعدته على هدوء الأوضاع بمصر، حتى استطاع قيس أن ينظم الأمور فيها، فوزع الأمراء ونظم أمور الخراج وعين رجالات على الشرطة[6]، وبذلك استطاع أن يرتب ولاية مصر، وأن يسترضي جميع الأطراف فيها[7].

وأصبح قيس بن سعد في هذا الموقع يشكل ثقلاً سياسياً وخطراً عسكرياً على معاوية بن أبي سفيان في الشام، ونظراً لقرب مصر من الشام ولترتيب قيس لها وتنظيمها، وما اشتهر عن قيس من حزم ودهاء، وخوف معاوية من حركات عسكرية مناوئة له خرج من مصر، ولذلك فإنه أخذ يراسل قيس بن سعد في مصر مهدداً له، وفي الوقت نفسه يحاول إغراءه بالانضمام إليه، وكانت إجابات قيس على تلك الرسائل إجابات ذكية بحيث لم يستطع معاوية أن يفهم موقف قيس وما ينوي عمله، وقد تعددت بينهما الرسائل[8].

وقد انتشرت الروايات الشيعية من الرسائل بين معاوية وقيس بن سعد التي ذكرها أبو

(1) الفألة: الجماعة المنهزمون، لسان العرب (11/ 531).
(2) الولاية على البلدان (2/ 10) نقلاً عن نهاية الأرب في تاريخ العرب للنويري.
(3) تهذيب تاريخ دمشق (4/ 39).
(4) ولاة مصر، ص 44.
(5) المصدر السابق نفسه، ص 44.
(6) الولاية على البلدان (2/ 11)، النجوم الزاهرة (1/ 98).
(7) الولاية على البلدان (2/ 11).
(8) الكامل (2/ 355)، الولاية على البلدان (2/ 11).

مختف في كتب التاريخ وهي باطلة لا تصح، فقد انفرد بها هذا الأخير الذي ضعفه رجال الجرح والتعديل بها، وفي متن تلك الرواية الساقطة غرائب من أبرزها ما يلي:

أ - خطاب علي إلى أهل مصر مع قيس بن سعد وفيه: «ثم ولي بعدهما والٍ، فأحدث أحداثاً، فوجدت عليه الأمة مقالاً فقالوا ثم نقموا عليه فغيروا»، وهذا يعني أن الذين قاموا على عثمان ﷺ، رجال الأمة، وأن الأمة قد غيرت هذا المنكر بقتل عثمان، وعلي ﷺ بريء من هذا القول، وهو يعلم أن الذين قتلوا عثمان هم أوباش الناس، وأن قتله ظلم وفجور، وأقواله تدل على ذلك، ومنها ما رواه ابن عساكر: أن محمد ابن الحنفية قال: ما سمعت علياً ذاكراً عثمان بسوء قط[1].

ب - وأخرج الحاكم وابن عساكر أن عليًا ﷺ قال: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان، ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان وأنكرت نفسي، وجاؤوني للبيعة فقلت: والله إني لأستحي من الله أن أبايع قوماً قتلوا رجلاً قال عنه رسول الله ﷺ: «**ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة**» وإني لأستحي من الله أن أبايع وعثمان قتيل على الأرض لم يدفن بعد، فانصرفوا فلما دفن رجع الناس يسألونني البيعة، فقلت: اللهم إني مشفق مما أقدم عليه، ثم جاءت عزيمة فبايعت، فلما قالوا: «أمير المؤمنين» فكأنما صدع قلبي وانكب[2] بعبرة وقد أرسل الحسن والحسين ﷺ للدفاع عن عثمان ﷺ، وأقواله في هذا المعنى كثيرة[3]، وقد جمعتها في كتابي (تيسير الكريم المنان في سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان)[4].

ج - قول قيس بن سعد: «أيها الناس إنا قد بايعنا خير ما نعلم بعد نبينا ﷺ» وهذا مردود، إذ إن الثابت تفضيل أبي بكر وعمر ﷺ، على بقية الصحابة وعلى علي ﷺ، كما صح عن علي نفسه: أنه صرح بذلك، وهذا لا يشك فيه أحد في ذلك الزمان من الصحابة وغيرهم، وعليه فلا يصح نسبة هذا الكلام لقيس بن سعد ﷺ ولا لغيره من الصحابة، ولم يشتهر هذا إلا عند الشيعة المتأخرين[5]، قال ابن تيمية: الشيعة المتقدمون كلهم متفقون على تفضيل أبي بكر وعمر[6].

(1) تاريخ ابن عساكر، ترجمة عثمان، ص 395.
(2) المستدرك (2/ 355)، صحيح على شرط الشيخين.
(3) مرويات أبي مخنف د. يحيى اليحيى، ص 211.
(4) عثمان بن عفان، للصلّابي، ص 407، 409.
(5) مرويات أبي مخنف، ص 211.
(6) منهاج السنة (1/ 111).

والأدلة في تفضيل أبي بكر وعمر كثيرة، منها ما رواه ابن عمر ﷺ قال: كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ، فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان[1]، والأحاديث في ذلك كثيرة[2] ومشهورة، وحقيقة الأمر كما مر معنا في الروايات الصحيحة السابقة أن معاوية طلب من أمير المؤمنين تسليمه قتلة عثمان ولم يتهم أمير المؤمنين علياً به.

د - رسالة معاوية إلى قيس بن سعد: وإشارته فيها إلى كون علي طرفاً في قتل عثمان، وهذا لا يصح صدوره من معاوية، ذلك أن الأمر واضح فيه براءة علي ﷺ كما في الفقرة السابقة، وهذا لا يجهله معاوية ﷺ فضلاً أن يقرَّه لقيس بن سعد ﷺ، وهذا محمد بن سيرين من كبار التابعين ومن الذين عاصروا ذلك المجتمع يقول: لقد قتل عثمان وما أعلم أحداً يتهم علياً في قتله[3]، ويقول أيضاً: لقد قتل عثمان يوم قتل وإن الدار يومئذ لغاصة، فيهم عبد الله بن عمر، وفيهم الحسن بن علي في عنقه السيف، ولكن عثمان عزم عليهم أن لا يقاتلوا[4]، وأخرج ابن أبي شيبة بسند رجاله ثقات عن محمد ابن الحنفية أن علياً قال: لعن الله قتلة عثمان في السهل والجبل والبر والبحر[5]، والنصوص الصحيحة في هذا المعنى كثيرة جداً[6]، مما يؤكد اشتهار كراهية علي ﷺ لقتل عثمان[7].

هـ - وأما ما أورده من اتهام معاوية للأنصار في دم عثمان، فهذا لا يصح من معاوية وهو يعلم أن الذي قام بالدفاع جميعاً هم الأنصار، فقد أخرج ابن سعد بسند صحيح: أن زيد بن ثابت ﷺ جاء إلى عثمان ﷺ وهو محصور فقال: هذه الأنصار بالباب يقولون: إن شئت كنا أنصار الله مرتين، قال: فقال عثمان: أما القتال فلا[8].

و - ما ذكره من اختلاق معاوية كتاباً على لسان قيس بن سعد، فهذا من الكذب الذي لا يعقل صدوره من معاوية، ذلك أن العرب كانوا يعدون الكذب من أقبح الصفات التي يتنزه عنها الرجال الكرام، وهذه قصة أبي سفيان وهو يومئذ على الشرك فيما أخرجه البخاري في قصة سؤال هرقل عن رسول الله ﷺ، يقول أبو سفيان: فوالله لولا الحياء من أن يأثروا علي

(1) البخاري رقم: 3697.
(2) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص 212.
(3) تاريخ ابن عساكر، ترجمة عثمان، ص 395، مرويات أبي مخنف، ص 212.
(4) المصدر السابق نفسه، ص 350.
(5) المصنف (15/ 268).
(6) تاريخ ابن عساكر، ترجمة عثمان، ص 395.
(7) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص 213.
(8) الطبقات (3/ 70) سنده صحيح.

كذباً لكذبت عنه[1]، فهذه منزلة الكذب عند العرب، وعند المسلمين أشد وأخزى ولا يقول قائل: هذه خدعة والحرب خدعة، فإن الخدعة ليس معناها الكذب، كما هو معلوم من كلام العرب، ومعاوية ﷺ أحذق من أن يفعل هذا[2].

ز - رواية هذه الكتب الكثيرة بين قيس ومعاوية وعلي ﷺ بهذا التسلسل وبهذه الدقة تدخل الشك والريبة على القارئ لجهالة المطلع والناقل لها.

يقول الدكتور يحيى اليحيى: إن ولاية قيس بن سعد بن عبادة ﷺ على مصر من قبل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ أمر مجمع عليه[3]، وكل من ترجم لقيس لم يذكر هذه التفاصيل[4]، أي التي ذكرها أبو مخنف في روايته - وحتى مؤرخو مصر المعتبرون لم يذكروا ذلك[5]، هذا وقد نقل رواية أبي مخنف من الطبري بعد حذف واختصار كل من: ابن الأثير، وابن كثير، وابن خلدون، وابن تغري بردي[6]، وقد أخرج الكندي أيضاً عن عبد الكريم الحارث قال: لما ثقل مكان قيس على معاوية كتب إلى بعض بني أمية بالمدينة: أن جزى الله قيس بن سعد خيراً واكتموا ذلك، فإني أخاف أن يعزله علي إن بلغه ما بينه وبين شيعتنا حتى بلغ علياً، فقال من معه من رؤساء أهل العراق وأهل المدينة: بدِّل قيس وتحوَّل، فقال علي: ويحكم إنه لم يفعل، فدعوني، قالوا: لتعزلنه فإنه قد بدل، فلم يزالوا به حتى كتب إليه: إني قد احتجت إلى قربك، فاستخلف على عملك واقدم[7]، وقد رجح هذه الرواية الدكتور اليحيى في كتابه القيم «مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري» قال:

- إنها من رواية مصري ثقة، وهو أعلم بِقِطره من غيره.
- أخرجها مؤرخ مصري.
- خلوها من الغرائب.
- متنها مما يتفق مع سيرة أولئك الرجال.
- بينت تردد علي في عزل قيس حتى ألح عليه الناس، فاستبقاه عنده، وهكذا القائد لا يفرط بالقيادات الحاذقة وقت المحن[8].

---

(1) البخاري رقم: 7.
(2) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص 214.
(3) تاريخ خليفة، ص 201، فتوح مصر، ص 274، سير أعلام النبلاء (3/ 12).
(4) طبقات ابن سعد (6/ 52)، تاريخ بغداد (1/ 177) سير أعلام النبلاء (3/ 102).
(5) النجوم الزاهرة (1/ 97)، البداية والنهاية 07/ 251).
(6) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص 210.
(7) ولاة مصر، ص 45 - 46 وفيها المداني وهو صدوق وبقية رجالها ثقات إلا أنها مرسلة.
(8) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص 210.

هذا وقد تدخَّل بعض الناس للإفساد بين علي وقيس بن سعد لكي يعزله، وفي نهاية المطاف طلب بعض مستشاري علي منه أن يعزل قيساً، وصدقوا تلك الإشاعات التي قيلت فيه، وألحوا في عزله، فكتب إليه علي: إني قد احتجت إلى قربك فاستخلف على عملك واقدم[1]. كان هذا الكتاب بمثابة عزل لقيس عن ولاية مصر، وقد عين علي مكانه الأشتر النخعي[2]، على أكثر الأقوال، وقد التقى علي بالأشتر قبل سفره إلى مصر، فحدثه حديث أهل مصر وخبره خبر أهلها، وقال: ليس لها غيرك، اخرج رحمك الله فإني إن لم أوصك اكتفيت برأيك، واستعن بالله على ما أهمك فاخلط الشدة باللين، وارفق ما كان الرفق أبلغ واعزم بالشدة حين لا يغني عنك إلا الشدة[3].

قد توجه الأشتر إلى مصر ومعه رهط من أصحابه، إلا أنه حينما وصل إلى أطراف بحر القلزم - البحر الأحمر - مات قبل أن يدخل مصر، وقد قيل: إنه سقي شربة مسمومة من عسل فمات منها، وقد اتهم أناس من أهل الخراج أنهم سموه بتحريض من معاوية[4]، والتهمة الموجهة إلى معاوية في قتل الأشتر بالسم لا تثبت من طريق صحيح واستبعد ذلك ابن كثير[5]، وابن خلدون[6]، وسار على نهجهم الدكتور يحيى اليحيى[7]، وملت إلى هذا القول.

هذا وقد مات الأشتر قبل أن يباشر عمله في مصر، ومع ذلك فإن المصادر تتحدث عنه كأحد ولاة مصر لعلي بن أبي طالب وقد ولي بعده على مصر محمد بن أبي بكر[8]، وقد سبق لمحمد بن أبي بكر أن عاش في مصر في عهد عثمان، وتدل الروايات على أن محمد بن أبي بكر قد وصل إلى مصر قبل أن يغادرها الوالي الأول قيس بن سعد، وقد دارت محاورة بين قيس بن سعد ومحمد بن أبي بكر، قدم فيها قيس عدة نصائح لمحمد، خصوصاً فيما يتعلق بالناس الغاضبين لمقتل عثمان، والذين لم يبايعوا علياً بعده، وقد قال قيس: يا أبا القاسم إنك قد جئت من عند أمير المؤمنين، وليس عزله وإياي بمانعي أن أنصح لك وله، وأنا من أمركم هذا على بصيرة، ودع هؤلاء القوم ومن انضم إليهم - يقصد الذين لم يبايعوا علياً ولا غيره - على ما هم عليه، فإن أتوك فاقبلهم وإن تخلفوا عنك فلا تطلبهم، وأنزل الناس على قدر

(1) ولاة مصر، ص 45 - 46.
(2) فتوح البلدان، ص 229، الولاية على البلدان (2/ 12).
(3) النجوم الزاهرة (1/ 103).
(4) النجوم الزاهرة (1/ 104). سير أعلام النبلاء (4/ 34).
(5) البداية والنهاية (8/ 303).
(6) تاريخ ابن خلدون (4/ 112).
(7) مرويات أبي مخنف، ص 224.
(8) النجوم الزاهرة (1/ 106).

منازلهم، وإن استطعت أن تعود المرضى وتشهد الجنائز فافعل، فإن هذا لا ينقصك[1]. ثم رجع قيس إلى المدينة وبعدها التحق بأمير المؤمنين علي ﷺ بالكوفة وشهد معه معركة صفين وهو القائل يومها:

هذا اللواء الذي كُنا نحفُّ به ... مع النبي وجبريل لنا مدد
ما ضرّ من كانت الأنصار عيبته[2] ... أن لا يكون له من غيرهم أحد
قوم إذا حاربوا طالت أكُفُّهُمُ ... بالمشرفية حتى يفتح البلد[3]

وبقي مع أمير المؤمنين علي حتى قتل. فصار مع الحسن وسار في مقدمته إلى معاوية، فلما بايع الحسن معاوية - وسيأتي تفصيلها بإذن الله - دخل قيس في بيعة معاوية، وعاد إلى المدينة[4]، وأقبل على العبادة[5].

5) قول قيس: إنا لا نعود في شيء أعطيناه[6]:

عن موسى بن أبي عيسى - أن رجلاً استقرض من قيس بن سعد بن عبادة ثلاثين ألفاً، فلما ردَّها عليه أبي أن يقبلها وقال: إنا لا نعود في شيء أعطيناه[7].

6) قول قيس: لقد سألت فأحسنتِ[8]:

جاءت عجوز إلى قيس بن سعد بن عبادة قد كان يعرفها، فقال لها: كيف أنت؟ فقالت: أحمد الله إليك، ما في بيتي فأرة تدبّ، فقال: لقد سألتِ فأحسنتِ، لأملأن عليك بيتك فأراً، فأمر لها بدقيق كثير، وزيت وما يحتاج إليه، وانصرفت[9]. وقد ذكرها ابن عبد البر وقال: مشهورة صحيحة[10].

7) حال الرجل الذي تمنّى قيس أن يعمل مثله[11]:

قال قيس بن سعد: تمنّيت أن أكون في حال رجل رأيته، أقبلنا من الشام فإذا نحن بخباء فقلنا: لو نزلنا ههنا، فإذا امرأة في الخباء، فلم نلبث أن جاء رجل بذودٍ له، فقال لامرأته: من هؤلاء؟ فقالت: قوم نزلوا بك، فجاء بناقة فضرب عرقوبيها ثم قال: دونكم، وقال: يا هؤلاء انحروها، قال: فنحرناها فأصبنا من أطايبها، فلما كان من الغد جاءنا بأخرى، فضرب

(1) تاريخ ابن عساكر (22/ 181).
(2) عيبة الرجل: موضع سره.
(3) المشرفية: سيوف منسوبة إلى المشارف وهي قرى من أرض اليمن.
(4) أسد الغابة (4/ 452).
(5) الاستيعاب (3/ 1290).
(6) المصدر السابق نفسه (3/ 1291).
(7) المصدر السابق نفسه (3/ 1291).
(8) تاريخ دمشق (52/ 286).
(9) تاريخ دمشق (52/ 286).
(10) الاستيعاب (3/ 1292).
(11) تاريخ دمشق (52/ 285).

عرقوبيها، وقال: يا هؤلاء انحروها، قال: فنحرناها، فقلنا: اللحم عندنا كما هو، قال: إنّا لا نطعم أضيافنا الغابّ، قال: فقلت لأصحابي: إن هذا الرجل إن أقمنا عنده لم يبق عنده بعير، فارتحلوا بنا، وقلت لقيّمي: اجمع ما عندك، قال: ليس عندي إلا أربع مائة درهم، قلت: هاتها، وهات كسوتي، فجمعناها فقلت: بادروه، فدفعناه إلى امرأته، ثم سرنا، فلم نلبث أن رأينا شخصاً، فقلت: ما هذا؟ قالوا: لا ندري، فدنا، فإذا رجل على فرس يجرّ رمحه، فإذا صاحبنا، فقلت: وأسوأتاه استقل والله ما أعطيناه، قال: فدنا، فقال: دونكم متاعكم، فخذوه، فقلت: والله ما كان إلّا ما رأيت، ولقد جمعنا ما كان عندنا، قال: إنّي والله لم أذهب حيث تذهبون فخذوه، قلنا: فلا نأخذه، قال: والله لأميلنّ عليكم برمحي ما بقي منكم رجل أو تأخذونه، قال: فأخذناه فولى وقال: إنّا لا نبيع القِرَى[1] - أي الضيافة.

8) هل أسخى الناس قيس بن سعد، أم عبد الله بن جعفر، أم عرابة الأوسي؟

امترى ثلاثة في الأجواد، فقال رجل: أسخى الناس عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وقال آخر: أسخى الناس في عصرنا هذا قيس بن سعد بن عبادة، وقال الثالث: أسخى الناس عرابة الأوسي، فتلاحوا وأفرطوا وكثر ضجيجهم في ذلك بفناء الكعبة، فقال لهم رجل: قد أكثرتم، فلا عليكم، يمضي كل منكم إلى صاحبه، يسأله حتى ينظر ما يعطيه، ونحكم على العيان، فقام صاحب عبد الله بن جعفر، فصادفه وقد وضع رجله في غرز راحلته، يريد ضيعة له، فقال له: يا بن عم رسول الله ﷺ، قال: قل ما تشاء، قال: ابن سبيل ومنقطع به، قال: فأخرج رجله من الغرز وقال: ضع رجلك واستو على الناقة، وخذ ما في الحقيبة، ولا تحد عن السيف، فإنه من سيوف علي بن أبي طالب وامض لشأنك، قال: فجاء بالناقة والحقيبة فيها مطارف خزّ، وفيها أربعة آلاف دينار، وأعظمها وأجلها خطراً السيف، ومضى صاحب قيس بن سعد بن عبادة فلم يصادفه وعاد، فقالت له الجارية: هو نائم فما حاجتك إليه؟ قال: ابن سبيل ومنقطع به، قالت: فحاجتك أيسر من إيقاظه، هذا كيس فيه سبع مائة دينار، ما في دار قيس مال في هذا اليوم غيره، وامض إلى معاطن الإبل إلى مولانا بغلامينا، فخذ راحلةٍ مرحَّلة، وما يصلحها، وعبداً، وامض لشأنك، فقيل: إن قيساً انتبه من رقدته، فخبرته المولاة بما صنعت، فأعتقها، وقال لها: ألا نبهتني فكنت أزيده من عروض ما في منزلنا، فلعل ما أعطيته لم يقع بحيث ما أراد. ومضى صاحب عرابة الأوسي إليه فألفاه وقد خرج من منزله يريد الصلاة، وهو متوكّئ على عبدين، وقد كُفّ بصره فقال: يا عرابة، قال: قل ما تشاء، قال: ابن سبيل ومنقطع به قال: فخلّى عن العبدين، ثم صفّق بيده اليمنى على اليسرى ثم قال: أوه!

(1) تاريخ دمشق (52/ 285).

والله ما أصبحت ولا أمسيت وقد تركت الحقوق لعرابة من مال، ولكن خذهما فهما حرّان، وإن شئت فأعتق، وإن شئت فخذ، وأقبل يلتمس الحائط بيده قال: فأخذهما وجاء بهما. قال: فحكم الناس على ابن جعفر قد جاد بمالٍ عظيم، وإن ذلك ليس بمستنكر له إلا أن السيف أجلّها، وأن قيساً أحد الأجواد حكّم مملوكة في ماله بغير علمه، واستحسانه ما فعله وعتقه لها وما تكلم به، وأجمعوا على أن أسخى الثلاثة عرابة الأوسي لأنه جهد من مُقلّ[1]، ومن قيم ذلك العصر الواضحة المعالم التنافس في الكرم والجود وفعل الخير.

9) خبر منسوب إلى قيس لا يصح إثباته:

بعث قيصر إلى معاوية بن أبي سفيان: أن ابعث على سراويل أطول رجل من العرب، فقال لقيس بن سعد: ما أظننا إلّا قد احتجنا إلى سراويلك قال: فقام فتنحّى فجاء بها فألقاها إلى معاوية، فقال معاوية: رحمك الله، ما أردت إلى هذا؟ ألا ذهبت إلى منزلك ثم بعثت بها إلينا؟ فقال قيس:

أردت بها كي يعلم الناس أنّها ... سراويل قيس والوفود شهود
وأن لا يقولوا غاب قيس وهذه ... سراويل عادي نمته ثمود
وإني من الحيّ اليماني لسيدٌ ... وما الناس إلّا سيد ومسود
فكدهم بمثلي إن مثلي عليهم ... شديد وخلقي في الرجال مديد

قال: فأمر معاوية أطول رجل في الجيش فوضعها على أنفه فوقعت بالأرض، قال: فدعا معاوية بسراويل، فلما جيء بها قال له قيس: نح عنك ثيابك هذا، فقال معاوية:

أما قريش فأقوام مسرولة ... واليثربيون أصحاب التبابين

فقال قيس:

تلك اليهود التي يعني ببلدتنا ... كما قريش هم أهل السخاخين[2]

وجاء في رواية أخرى: أن قيصر كتب إلى معاوية: إنّي قد وجهت إليك رجلين: أحدهما أقوى رجل ببلادي، والآخر أطول رجل في أرضي، وقد كانت الملوك تتجارى في مثل هذا وتتحاجى به، فأخرج إليهما ممن في سلطانك من يقاوم كلّ واحد منهما، فإن غلب صاحباك حملت إليك من المال وأسارى المسلمين كذا وكذا، وإن غلب صاحباي هادنتني ثلاث سنين، فلما ورد كتاب قيصر على معاوية أهمّه وشاور فيه أصحابه، فقيل له: أما الأيد فادع

(1) تاريخ دمشق (52/ 286).
(2) المصدر السابق نفسه (52/ 293، 294).

لمناهضته إما محمد ابن الحنفية وإما عبد الله بن الزبير، فقال: فأحضر محمد بن علي والأيد الرومي حاضر، فأخبره بما دعاه له، فقال محمد للرومي: ما تشاء؟ فقال: يجلس كلّ واحد منا ويدفع يده على صاحبه، فمن قلع صاحبه من موضعه أو رفعه عن مكانه فقد فلح عليه، ومن عجز عن ذلك وقهره صاحبه قضي بالغلبة له، فقال محمد: هذا لك، فاختر أينا يبدأ بالجلوس، فقاله له: اجلس أنت، فجلس وأعطاه يديه، فجعل يمارسه ويجتهد في إزالته عن موضعه فلم يتحرك محمد، وظهر عجز الرومي لمن حضر، فقال له محمد: اجلس الآن، فجلس وأخذ بيده فما لبث أن اقتلعه ورفعه في الهواء ثم ألقاه على الأرض، فسرّ معاوية وحاضروه من المسلمين. وقال معاوية لقيس بن سعد والرومي الطوال: تطاولا، فقال قيس: أنا أخلع سراويلي ويلبسها هذا العلج، فإن ما بيننا يبين بذلك، ثم خلع سراويله، وألقاها إلى الرومي فلبسها، فبلغت ثدييه وانسحب بعضها في الأرض، فاستبشر الناس بذلك، وجاءت الأنصار إلى قيس فقالت له: تبذّلت بين يدي معاوية، ولو كنت مضيت إلى منزلك وبعثت بالسراويل إليه، فقال:

أردت لكيما يعلم الناس أنها ... سراويل قيس والوفود شهود
وأن لا يقولوا غاب قيس وهذه ... سراويل عاديّ نمته وثمود
وإني من القوم اليمانين سيّدٌ ... وما الناس إلا سيّد ومسود
وفضلني في الناس أصلي ووالدي ... وباع به أعلو الرجال مديد[1]

قال أبو عمر بن عبد البر حافظ الأندلس الشهير: خَبرُه في السراويل عند معاوية كذب وزور مختلق ليس لها إسناد، لا يشبه أخلاق قيس، ولا سيرته في نفسه ونزاهته، وهي حكاية مفتعلة وشعر مزور[2].

10) دهاة العرب حين ثارت الفتنة:

كان قيس بن سعد بن عبادة من ذوي الرأي من الناس، قال ابن شهاب: وكان يعدّون دهاة العرب حين ثارت الفتنة خمسة رهط، يقال لهم ذوو رأي العرب في مكيدتهم: معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص، وقيس بن سعد والمغيرة بن شعبة، ومن المهاجرين: عبد الله بن بُديل الخُزاعي، وكان قيس وابن بديل مع علي ﷺ، وكان المغيرة معتزلاً بالطائف وأرضها حتى حكم الحكمان واجتمعوا بأذرح[3]، وكان قيس يقول: لولا الإسلام لمكرت مكراً لا تطيقه العرب[4].

(1) تاريخ دمشق (52/ 294).
(2) الاستيعاب (3/ 1293).
(3) تاريخ دمشق (52/ 288).
(4) المصدر السابق نفسه (52/ 287).

11) لوددنا أن نشتري لقيس لحية بأموالنا[1]:

ذكر الزبير بن بكار: أن قيس بن سعد بن عبادة، وعبد الله بن الزبير، وشريحاً القاضي، لم يكن في وجوههم شعرة ولا شيء من لحية، وذكر غير الزبير أن الأنصار كانت تقول: لوددنا أن نشتري لقيس بن سعد لحية بأموالنا. وكان مع ذلك جميلاً ﷺ[2].

12) قول قيس: لم ترين قلّ عوّادي؟

باع قيس بن سعد مالاً من معاوية بتسعين ألفاً، فأمر منادياً في أهل المدينة، من أراد القرض فليأتِ منزل سعد، فأقرض أربعين أو خمسين وأجاز الباقي، وكتب على من أقرضه صكّاً، فمرض مرضاً قلَّ عواده، فقال لزوجته قريبة بنت أبي قحافة أخت أبي بكر: يا قريبة لم ترين قلّ عوادي؟ قالت: للذي لك عليهم من الدين، فأرسل إلى كلّ رجل بصكه[3]، وجاء في رواية: . . . فمرض واستبطأ عوّاده، فقيل له: إنهم يستحيون من أجل دينك، فأمر منادياً ينادي: من كان لقيس بن سعد عليه دين فهو له، فأتاه الناس حتى هدموا درجة كانوا يصعدون عليها إليه[4].

13) قيس بن سعد يطعم الناس في أسفاره:

كان قيس بن سعد يطعم الناس في أسفاره مع النبي ﷺ، وكانت له صحفة يدار بها حيث دار، وكان إذا أنفذ ما معه يستدين، قال: وكان ينادي في كل يوم: هلمُّوا إلى اللحم، والثريد[5].

14) خبر لا يصح بين قيس ومعاوية ﷺ:

قال معاوية لقيس بن سعد: إنما أنت حبر من أحبار يهود، إن ظهرنا عليك قتلناك، وإن ظهرت علينا نزعناك، فقال: إنما أنت وأبوك صنمان من أصنام الجاهلية، دخلتما في الإسلام كُرهاً وخرجتما منه طوعاً[6]، قال الذهبي: هذا منقطع، والمنقطع من أنواع الضعيف.

15) وفاة قيس بن سعد ﷺ:

مات في أواخر خلافة معاوية، وذهب إلى ذلك خليفة بن خياط[7]، والذهبي[8]، وقال ابن حبان: مات سنة 85هـ في خلافة عبد الملك[9]، ووافق ابن حجر خليفة والذهبي[10] وقال

---

(1) الاستيعاب (3/ 1292).
(2) المصدر السابق نفسه (3/ 1292).
(3) تاريخ دمشق (52/ 284).
(4) الاستيعاب (3/ 1293).
(5) تاريخ دمشق (52/ 283).
(6) سير أعلام النبلاء (3/ 111).
(7) الإصابة (5/ 361).
(8) سير أعلام النبلاء (3/ 112).
(9) الإصابة (5/ 361).
(10) الإصابة (5/ 361).

ابن عبد البر: . . لزم قيس المدينة، وأقبل على العبادة حتى مات بها سنة ستين هجرية، وقيل: سنة تسع وخمسين في آخر خلافة معاوية، وكان رجلاً طوالاً سُناطاً[1].

ثانياً: عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي: أبو محمد

هو عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي، ابن عم رسول الله ﷺ[2]، وأمه أم الفضل لبابة الكبرى بنت الحارث بن حزن بن بجير الهزَم بن رُوَيْبة بن عبد الله بن هلال بن عامر ابن صعصعة[3]، وأخو عبد الله، وكثير، والفضل، وقُثَم، ومعبد، وتمّام[4].

1) أولاده وزوجاته:

ولد لعبيد الله بن العباس: محمد وبه كان يكنى، وأمه الفرعة[5] بنت قطن بن الحارث ابن حزن بن بُجير بن الهُزم بن هلال بن عامر. والعباس[6]، والعالية، تزوجها علي بن عبد الله ابن العباس بن عبد المطلب فولدت له محمد بن علي، وفي ولده الخلافة من بني العباس، وميمونة، وأمهم عائشة بنت عبد الله من مذجح[7] ولبابة وأم محمد، وأمها عمرة بنت عَرْيب الحميري[8]، وعبد الرحمٰن وقثم وأمهما أم حكيم بنت قارظ بن خالد الكنانية[9]، وعبد الله وجعفراً وأمّ كلثوم وعمرة وأم العباس وأمهم أم ولد[10].

2) عمره ورؤيته لرسول الله ﷺ:

كان عبيد الله بن العباس أصغر سناً من عبد الله بن العباس بسنة[11]، فكان رسول الله ﷺ قبض وهو ابن اثنتي عشرة سنة، وقد رأى النبي ﷺ وسمع منه[12]، وقيل: له رؤية وله حديث عن النبي ﷺ في سنن النسائي: أن الغميصاء أو الرميصاء أتت النبي ﷺ تشتكي زوجها أنه لا يصل إليها فلم يلبث أن جاء زوجها، فقال: يا رسول الله هي كاذبة، وهو يصل إليها، ولكنها تريد أن ترجع إلى زوجها الأول، فقال رسول الله ﷺ: «ليس ذلك حتى تذوقي عسيلته»[13] وأورده أحمد من طريق هشيم لنفس الإسناد، ورجاله ثقات، إلا أنه ليس بصريح بأن عبيد الله

---

(1) السناط: بالكسر، وبالضم: لا لحية له أصلاً أو الخفيف العارض. أو لحيته في الذقن وما بالعارضين شيء.
(2) الطبقات تحقيق السُّلمي (1/ 214)، سير أعلام النبلاء (3/ 512).
(3) الطبقات تحقيق السُّلمي (1/ 212).
(4) سير أعلام النبلاء (3/ 513).
(5) الطبقات تحقيق السُّلمي (1/ 212).
(6) المصدر السابق نفسه (1/ 212).
(7) المصدر السابق نفسه (1/ 212).
(8) المصدر السابق نفسه (1/ 213).
(9) المصدر السابق نفسه (1/ 213).
(10) نسب قريش، ص 31، الطبقات (1/ 214).
(11) الاستيعاب (3/ 1009).
(12) الطبقات تحقيق السُّلمي (1/ 214).
(13) سنن النسائي (6/ 148) وقد تحرف في المطبوع من عبيد الله إلى عبد الله.

شهد القصة[1]، وأورده الهيثمي في المجمع[2] مختصراً عن عبيد الله والفضل بن العباس، وقال: رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح[3]، وقال الذهبي عن حديثه في سنن النسائي: حكمه بأنه مرسل[4] وحدّث عنه: ابنه عبد الله، عطاء، وابن سيرين، وسليمان بن يسار، وغيرهم، وكان أميراً، شريفاً جواداً، مُمدَّحاً[5].

أ - كان رسول الله يصف عبد الله وعبيد الله وكثيراً بني العباس:

عن عبد الله بن الحارث قال: كان رسول الله ﷺ يصُف عبد الله وعبيد الله، وكثيراً بني العباس، ثم يقول: «**من سبق إليَّ فله كذا**». فيستبقون إليه، فيقعون على ظهره وصدره فيقبّلهم ويلزمهم[6].

ب - كان عبيد الله أحب إلى العباس من قثم:

قال عبد الله بن جعفر: لو رأيتني وقُثماً وعبيد الله ابنا العباس ونحن صبيان نلعب، إذ مرَّ النبي ﷺ على دابة فقال: «**ارفعوا إليَّ هذا**،» فحملني أمامه. وقال لقُثَم: «**ارفعوا إليَّ هذا**»، فحمله وراءه، قال: وكان عبيد الله أحبَّ إلى العباس من قُثَم، فما استحيا من عمه أن حمل قثماً وترك عبيد الله[7].

3) استعمال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه عبيد الله على اليمن:

استعمل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عبيد الله بن العباس على اليمن، وأمَّره على الموسم، فحجّ بالناس سنة ست وثلاثين وسنة سبع وثلاثين، فلما كان سنة ثمان وثلاثين بعثه أيضاً على الموسم، وبعث معاوية في ذلك العام يزيد بن شجرة الرُّهاوي ليقيم الحج، فاجتمعا فسأل كل واحد منهما صاحبه أن يُسلم له، فأبى، واصطلحا على أن يصلّي بالناس شيبة بن عثمان، وفي هذا الخبر اختلاف بين أهل السير، منهم من جعله لقُثم بن العباس، وقال خليفة: في عام أربعين بعث معاوية بسُر بن أرطاة العامري إلى اليمن، وعليها عبيد الله بن العباس، فلم يزل عليها حتى قتل علي رضي الله عنه[8].

4) بسر بن أبي أرطاة وحقيقة قصة مقتل ولدي عبيد الله:

تذكر بعض كتب التاريخ بأن عبد الرحمٰن وقثم ابني عبيد الله بن العباس قتلهما بسر بن أبي

---

(1) مسند أحمد (1/ 214) رجاله ثقات، إلا أنه ليس بصريح بأن عبيد الله شهد القصة.
(2) المجمع (4/ 340) رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح.
(3) سير أعلام النبلاء (3/ 513).
(4) المصدر السابق نفسه (3/ 513).
(5) المصدر السابق نفسه (3/ 513).
(6) مسند أحمد (1/ 459) رقم: 1836.
(7) تاريخ دمشق (39/ 353)، الطبقات، تحقيق السُّلمي (2/ 14) إسناده حسن.
(8) الاستيعاب (3/ 1009).

أرطاة باليمن: وقتل أيضاً بعض أنصار علي ﷺ هناك ثم رجع إلى الشام، وكان أمير المؤمنين قد وجه جارية بن قدامة السعدي، قيل: ففعل مثلما فعل بسر، وقتل بعض محبي عثمان في اليمن[1] قال ابن كثير: وهذا الخبر مشهور عند أهل السير وفي صحته عندي نظر[2].

ولا شك أن قتل الأبرياء لم يحصل في تلك المرحلة حتى في أيام البصرة وصفين عندما قامت الحرب بين الطرفين، فكيف يقتل الأطفال والأبرياء في مرحلة الهدنة؟ لذلك لا يمكن قبول هذه الأعراف المناقضة لأعراف المسلمين وقيمهم ودينهم[3].

كما أن رواية قتل بسر بن أبي أرطاة للطفلين، ذكرها ابن سعد من طريق الواقدي وهو متروك، وذكره الطبري في تاريخه[4]، ذكر عن زياد البكائي عن عوانة قال: أرسل معاوية.. وهذا إسناد منقطع على ما في عوانة بن الحكم الأخباري من كلام[5]، وذكر ابن عبد البر في الاستيعاب[6] قصة قتله لابن عبيد الله بن عباس من طريق هشام الكلبي عن أبي مخنف وهما متروكان[7]، فأما هشام بن محمد بن السائب الكلبي، اتفقوا على غلوّه في التشيع، قال الإمام أحمد: من يحدث عنه؟ ما ظننت أحداً يحدث عنه، وقال الدارقطني: متروك[8] وقال ابن حبان: كان غالياً في التشيع[9]، وقال ابن عساكر: رافضي ليس بثقة[10]، وقال الذهبي: الرافضي النسابة[11]، وأما أبو مخنف، لوط بن يحيى، قال عنه ابن عدي: شيعي محترق، صاحب أخبارهم[12]، وعده ابن تيمية في الشيعة وقال عنه: متروك كذاب[13]، ولم يذكر قتل بسر لشيعة علي باليمن أو الحجاز المؤرخ الثقة خليفة بن خياط في تاريخه[14]، وطبقاته[15] وإنما ذكر خبر بعث معاوية له للاستيلاء على اليمن والحجاز، وكذلك البخاري في الكبير[16]، والحاكم في المستدرك[17].

ولا يصح أبداً قتل بسر بن أبي أرطاة العامري لابني عبيد الله باليمن، ويرى أهل الشام

(1) تاريخ الطبري (6/ 55).
(2) البداية والنهاية (7/ 334).
(3) الإنصاف، د. حامد، ص 575.
(4) تاريخ الطبري (5/ 139)، الطبقات، تحقيق السُّلمي (1/ 213).
(5) الطبقات، تحقيق السُّلمي (1/ 213).
(6) الاستيعاب (1/ 89).
(7) الطبقات، تحقيق السُّلمي (1/ 213).
(8) المجروحين لابن حبان (3/ 91)، تذكرة الحفاظ (1/ 343).
(9) المجروحين (3/ 91).
(10) سير أعلام النبلاء (10/ 102).
(11) تذكرة الحفاظ (1/ 343).
(12) الكامل في ضعفاء الرجال (6/ 2110).
(13) منهاج السنة (5/ 82).
(14) تاريخ خليفة، ص 198.
(15) طبقات ابن خياط، ص 27.
(16) التاريخ الكبير في البخاري (2/ 123).
(17) المستدرك (03/ 591).

بأن بسر بن أبي أرطاة سمع من النبي ﷺ، وهو أحد الذين بعثهم عمر بن الخطاب مدداً إلى عمرو بن العاص لفتح مصر، على اختلاف فيه، فيمن ذكره فيهم، قال: كانوا أربعة: الزبير، وعمير بن وهب، وخارجة بن حذافة، وبسر بن أرطاة، والأكثرون يقولون: الزبير، والمقداد، وعمير بن وهب، وخارجة بن حذفة وهو أولى بالصواب[1].

ولبسر بن أرطاة عن النبي ﷺ حديثان:

أحدهما: «لا تقطع الأيدي في المغازي»[2].

والثاني: في الدعاء: أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدُنيا وعذاب الآخرة»[3].

وأمام البحث النزيه لا يصح مقتل ولدي عبيد الله بن العباس على يدي بسر بن أبي أرطاة العامري، وما ترويه كتب التاريخ والأدب في الشعر المنسوب إلى عائشة بنت عبد الله والدة الطفلين من شعر ليس له أساس من الصحة، حيث زعموا أنها قالت:

ها من أحسن بابنيّ اللذين هما ... كالدُرتين تشظّى عنهما الصَدَف
ها من أحسن بابنيَّ اللذين هما ... سمعي وعقلي فقلبي اليوم مُختطف
حدّثتُ بسراً وما صدّقتُ ما زعموا ... من مَيْلهم ومن الإثم الذي اقترفوا
أنحى على ودجي ابني مرهفة ... مشحوذة وكذاك الإثم يُقتَرفُ

فزعموا أنها وسوست، فكانت تقف في الموسم تنشد هذا الشعر، وتهيم على وجهها[4]. وكذلك الشعر المنسوب لعبيد الله بن العباس - ليس له أساس من الصحة، فقد ذكر المؤرخون بأنه دخل على معاوية في خلافته، وبعد حديث أنشأ عبيد الله بن عباس يقول:

يابن صخر وابن حربٍ تبيّن ... من تقيسون بعبد المطلب
من إذا رأت قريش وجهه ... عظّموا المرء وخرّوا للركب
صاحب الفيل وساقي زمزم ... ثمّت الفدية رأس في العرب
وهدى آخرنا آخركم ... فيه الملك لكم أجرى الحقب
إن بُسراً قتل ابنيَّ وما ... بين بُسر وبني فهر نسب
فاقتل العبدَ بفرخي هاشم ... إنّ هذا من بواء العجب
أجعل الفضة فينا ذهباً ... ونضار القوم فينا كالغرب
لا يقرّ العين إلّا قتل من ... سبّب القتل وللقتل سبب

(1) الاستيعاب (1/ 88).
(2) مسند أحمد (4/ 181) الحديث الصحيح.
(3) مسند أحمد (4/ 181) سنده حسن.
(4) الاستيعاب (1/ 89).

ذاك مـــا ذاك ابـــن حـــرب إنـــه قُـطـب الـشّـر ولـلـشرّ قـطـب[1]

وزعموا أن معاوية ﷺ رد عليه في أبيات منهما:

إن بُـحـراً قـتـل ابـنـيـك عـلـى غـيـر جُرم قـاطـعـاً مـنـك الـنّـسـب
أنـــزل الله بـــبـــســـر بـــأســـه وعـلـى بُـسـر مـن الله الـغـضـب
أضـرب الـعـبـد عـلـى يـافـوخـه ضـربـة تـذهـب مـنـه مـا ذهـب
فـي مـقـيـل الـدهـر مـن ضـعـف بـه لـيـس هـذا مـن مـنـاف بـعـجـب[2]

5) قول عبيد الله: والله لهو أسخى منا وأجود، وإنما أعطيناه بعض ما نملك وجاد هو علينا وآثرنا على مهجة نفسه وولده[3]:

خرج عبيد الله بن العباس في سفر له، ومعه مولى له، حتى إذا كان في بعض الطريق رفع لهما بيت أعرابي، قال: فقال لمولاه: لو أنّا مضينا فنزلنا بهذا البيت وبتنا به؟ قال: فمضى، وكان عبيد الله رجلاً جميلاً جهيراً، فلما رآه الأعرابي أعظمه وقال لامرأته: لقد نزل بنا رجل شريف، وأنزله الأعرابي، ثم إن الأعرابي، أتى امرأته فقال: هل من عشاء لضيفنا هذا؟ فقالت: لا، إلا هذه السُّوَيمة[4] التي حياة ابنتك من لبنها. قال: لا بد من ذبحها: قالت: أفتقتل ابنتك؟ قال: وإن! قال: ثم إنه أخذ الشاة والشفرة وجعل يقول:

يـا جـارتـي لا تـوقـظـي الـبُـنـيَّـة إن تـوقـظـيـهـا تـنـتـحـب عَـلـيَّـه
وتـنـزع الـشَّـفـرة مـن يـديَّـه[5]

ثم ذبح الشاة، وهيّأ منها طعاماً، ثم أتى به عبيد الله ومولاه، فعشاهما وعبيد الله يسمع كلام الأعرابي لامرأته ومحاورتهما، فلما أصبح عبيد الله قال لمولاه: هل معك شيء؟ قال: نعم، خمسمائة دينار فضلت من نفقتنا. قال: ادفعها إلى الأعرابي. قال: سبحان الله! أتعطيه خمسمائة دينار وإنما ذبح لك شاة ثمنها خمسة دراهم؟ قال: ويحك! والله لهو أسخى منّا وأجود، إنما أعطيناه بعض ما نملك، وجاد هو علينا وآثرنا على مهجة نفسه وولده. قال: فبلغ ذلك معاوية، فقال: لله درُّ عبيد الله! من أي بيضة خرج؟ ومن أي عش درج[6]؟ وجاء في رواية: عبيد الله معلم الجود، وهو والله كما قال الحطيئة:

أولـئـك قـوم إن بـنـوا أحـســنـوا الـبـنـا وإن عـاهـدوا أوفـوا وإن عـقـدوا شـدوا

(1) تاريخ دمشق (39/ 354، 355).
(2) تاريخ دمشق (39/ 355).
(3) أسد الغابة (3/ 543).
(4) السويمة: تصغير سائمة.
(5) أسد الغابة (3/ 543).
(6) أسد الغابة (3/ 543).

وإن كانت النُّعمى عليهم جزوا بها وإن أنعموا لاكدّروها ولا كدُّوا[1]

6) بين عبد الله بن جعفر والحسن بن علي وعبيد الله بن العباس ﷺ :

قال أبو الزناد: قيل: أي هؤلاء الثلاثة أسخى: عبد الله بن جعفر، أو الحسن بن علي، أو عبيد الله بن العباس؟ فقال: ما رأينا أحداً أعطى الجزيل من الحسن، وما رأينا أحداً أعطى الجزيل وغير الجزيل من عبد الله بن جعفر، وما مررنا بأبيات عبيد الله بن العباس في ساعة قط إلا رأينا عنده قوتاً رطباً، قال: وكان ينحر كل يوم جزوراً في مجزرته وبه سميت مجزرة ابن عباس، قال: فقلّت الجزُر حتى بلغت خمسة عشر ديناراً وعشرين ديناراً، فعاتبه عبد الله بن جعفر على ذلك وقال: لا يقوم لهذا مال، فقال: والله لا أدع ذلك أبداً[2].

7) ضيوف جاؤوا لبيت عبيد الله بدون موعد:

أراد رجل بالمدينة أن يسوء عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، ويضارّ به، فجعل يأتي وجوه أهل المدينة فيقول: قال لكم عبيد الله بن العباس: تغدّوا عندي، فجاء الناس حتى ملأوا عليه الدار، وعبيد الله غافل، فقال: ما شأن الناس؟ قال: جاءهم رسولك أن يتغدّوا عندك، فعلم ما أريد به، فأمر بالباب فأغلق، وأرسل إلى السوق في أنواع الفاكهة، وذكر الأترجّ[3]، والعسل والموز فشغلهم، وأمر بالأطعمة فطبخت وشُويت فلم يفرغوا من الفاكهة حتى أتوا بالطعام حتى صدروا عنه. فقال عبيد الله: أموجود هذا كلّما شئت؟ فقالوا: نعم، قال: ما أبالي من أتاني[4].

8) امرأة أصيبت في بيتها:

قدمت امرأة إلى البصرة في سنة شهباء ومعها ابنان لها، فلم يأت عليها الحول حتى دفنتهما فقعدت بين قبريهما فقالت:

فللـه عيناي اللذان نراهما قريبين منّي والمزار بعيد
هما تركا عينيّ لا ماء فيهما وشكّا سواد القلب، فهو عميد
مقيمان بالبيداء لا يبرحانها ولا يسألان الرّكب: أين يريد؟

فقيل لها: لو أتيت عبيد الله بن العباس فقصصت عليه القصة فأتته، فقالت له: يا بن عم رسول الله ﷺ إني أصبحت لا عند قريب يحميني، ولا عند عشيرة تؤويني، وإني سألت عن

(1) تاريخ دمشق (29/ 360).
(2) تاريخ دمشق (39/ 357)، الطبقات (2/ 23) إسناده ضعيف.
(3) الأترج: شجر يعلو، ذكي الرائحة، حامض كالليمون الكبار.
(4) تاريخ دمشق (39/ 357).

المرجى سببه، المأمول نائله، المعطي سائله، فأُرشدت إليك، فاعمل بي واحدة من ثلاث: إما أن تقيم أودي، أو تحسن صلتي، أو تردّ بي إلى أهلي، فقال عبيد الله: كلّ يفعل بك[1].

9) الجمال والفقه والسخاء في دار العباس:

ذكر أبو العباس أحمد الطبري المكي في كتابه في تراجم آل بيت رسول الله ﷺ (ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى): . . . وكان يقال: من أراد الجمال والفقه والسخاء فليأت دار العباس: الجمال للفضل، والفقه لعبد الله، والسخاء لعبيد الله[2].

10) خيري الدنيا والآخرة في دار ابن عباس:

من أراد الدنيا والآخرة فعليه بدار العباس بن عبد المطلب:

دخل أعرابي دار العباس بن عبد المطلب وفي جانبها عبد الله بن عباس لا يرجع في شيء يُسأل عنه، وفي الجانب الآخر عبيد الله بن العباس يطعم كل من دخل، فقال الأعرابي: من أراد الدنيا والآخرة فعليه بدار العباس بن عبد المطلب، هذا يفتي ويفقّه الناس، وهذا يُطعم الطعام[3]، وعن مصعب بن عبد الله، قال: قال بعض أهل العلم: كان عبد الله يوسعهم علماً، وكان عبيد الله يوسعهم طعاماً[4]، وكان عبيد الله يتجر[5].

11) حكيم المعضلات وتيار الفرات:

كان عبد الله بن عباس يُسمّى حكيم المعضلات، وكان عبيد الله يسمى تيار الفرات، وكان يطعم كل يوم، فقال له أبوه: يابُنيّ ما لك تغدّي ولا تعشي؟ إذا غدّيت فعشّ، فقال عبيد الله لغلام له: يابُنيّ انحر غدوة وانحر عشية[6].

12) ما قيل في جوده من شعر:

كان معاوية يقول: إن عبيد الله بن عباس علّم قريشاً الجود، وكان عبيد الله أجود العرب وقد قال فيه شاعر من قريش:

وعلّمها عبيد الله ما لم ... تكن تأتيه من شيم الكرام
وورثها مكارم ثابتات ... نفى عنها بها لوم اللئام
وصية هاشم وبني أبيه ... قُصي والهمام بن الهمام[7]

(1) تاريخ دمشق (39/ 358).
(2) ذخائر العقبى، ص 394.
(3) تاريخ دمشق (39/ 356).
(4) المصدر السابق نفسه (39/ 356).
(5) الإصابة (4/ 331).
(6) تاريخ دمشق (39/ 356)، الإصابة (4/ 331).
(7) تاريخ دمشق (39/ 355).

13) صيامه يوم عرفة:

عن عبد الله بن عباس: أنه دعا أخاه عبيد الله يوم عرفة إلى طعام، فقال: إني صائم. فقال: إنكم أئمة يُقتدى بكم، قد رأيت رسول الله ﷺ دعا بحلاب في هذا اليوم فشرب[1].

14) طلبه للعلم:

قيل لعبيد الله بن العباس: لم تطلب العلم؟ قال: إذا نشطت فهو لذّتي، وإذا اغتممت فسلوتي[2].

15) إحسانه لعجوز وأولادها الثلاثة:

مرّ عبيد الله بن العباس بقرب عجوز لها أولاد، فأكرمتهم وأحسنت وفادتهم، فأراد عبيد الله أن يصلح من شأنهم ويحسن إليهم، فلما اجتمعوا عند عبيد الله أدناهم من مجلسه، وقال: إنّي لم أبعث إليكم ولا إلى أمكم لما تكرهون، قالوا: فما بعد هذا؟ قال: أحب أن أصلح من أمركم، وألمّ من شعثكم، قالوا: إنّ هذا قلّ ما يكون إلّا عن سؤال أو مكافأة لفعل قديم، قال: ما هو لشيء من ذلك، ولكن جاورتكم في هذه الليلة، وخطر ببالي أن أضع بعض مالي فيما يُحب الله عزّ وجلّ، قالوا: يا هذا، إن الذي يحب الله لا يحب لنا إن كنا في خفض من العيش، وكفاف من الرزق، فإن كنت هذا أردت فوجهه نحو من يستحقّه، وإن كنت أردت النوال مبتدئاً لم يتقدمه سؤال فمعروفك مشكور، وبرّك مقبول، فأمر لهم عبيد الله بعشرة آلاف درهم، وعشرين ناقة، وحوّل أثقاله إلى البغال والدوابّ، وقال: ما ظننت أن في العرب والعجم من يشبه هذه العجوز وهؤلاء الفتيان. فقالت العجوز لفتيانها: ليقل كل واحد منكم شيئاً من الشعر في هذا الشريف، ولعلّي أن أعينكم، فقال الكبير:

شهدتُ عليك بطيب الكلام وطيب الفعال وطيب الخبر

وقال الأوسط:

تبرّعت بالجود قبل السؤال فعال كريم عظيم الخطر

وقال الأصغر:

وحقّ لمن كان ذا فغلةُ بأن يسترق رقاب البشر

وقالت العجوز:

فعمّرك الله من ماجد وُوُقيت سُوء الرّدى والحدر[3]

---

(1) الإصابة (4/ 331) سنده صحيح.
(2) الإصابة (4/ 332)، تاريخ دمشق (39/ 364).
(3) المصدر السابق نفسه.

16) وفاته:

اختلف في تحديد سنة وفاته على عدة أقوال: قال البخاري[1] والفسوي[2]: مات زمن معاوية[3]، وقال خليفة[4] وغيره: سنة ثمان وخمسين[5]، وقال أبو عبيد، وأبو حسان الزيادي: مات سنة سبع وثمانين[6]، وقيل: توفي أيام يزيد وهو الأكثر، وكان موته بالمدينة وقيل: باليمن والأول أصح[7]، ولنا في وفاة إخوة عبيد الله عبرة وذكرى لأصحاب القلوب الحية، فعبد الله بن عباس دفن بالطائف، واستشهد معبد بأفريقية، واستشهد قثم بسمرقند[8] وعبيد الله بالمدينة، وكلهم أبناء أب واحد وأم واحدة، قال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: 34].

ثالثاً: عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي رضي الله عنهما:

هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، السيد العالم، أبو جعفر القرشي الهاشميُّ، الحبشي المولد، المدني الدار، الجواد بن الجواد ذي الجناحين[9]، وأمه أسماء بنت عميس الخثعمية أخت ميمونة بنت الحارث لأمها، ولدت عبد الله بن جعفر بالحبشة وهو أول من ولد لها من المسلمين[10]، وولدت هناك: محمداً وعوناً[11]، ثم ولد للنجاشي بعدما ولدت أسماء ابنها عبد الله بأيام ابنٌ، فأرسل إلى جعفر: ما سميت ابنك؟ قال: عبد الله. فسمّى النجاشي ابنه عبد الله، وأخذته أسماء بنت عميس، فأرضعته حتى فطمته بلبن عبد الله بن جعفر، ونزلت أسماء بذلك عندهم منزلة، فكان من أسلم من الحبشة يأتي أسماء بعد فيخبرها خبرهم[12]، وقد تزوجت أسماء بعد استشهاد جعفر، أبا بكر الصديق، فولدت محمداً، ثم تزوجها علي فولدت له يحيى[13]، فيكون عبد الله بن جعفر أخو محمد بن أبي بكر الصديق، ويحيى بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم لأمهم[14]، ويعتبر عبد الله بن جعفر آخر من رأى النبي ﷺ من بني هاشم قبل وفاته[15].

(1) البخاري في تاريخه الصغير، ص 73.
(2) المعرفة والتاريخ (3/ 322).
(3) تاريخ الإسلام، حوادث سنة 81 - 100هـ، ص 147.
(4) في تاريخه، ص 225.
(5) تاريخ الإسلام، حوادث سنة 81 - 100هـ، ص 147.
(6) المصدر السابق نفسه، ص 147.
(7) أسد الغابة (3/ 544).
(8) تاريخ دمشق (39/ 350).
(9) سير أعلام النبلاء (3/ 456).
(10) الإصابة (4/ 36).
(11) الطبقات، للسُّلمي (2/ 7).
(12) الطبقات، للسُّلمي (2/ 7).
(13) الإصابة (4/ 37).
(14) أسد الغابة (3/ 199).
(15) البداية والنهاية (12/ 300).

1) أولاده وأزواجه:

ولد لعبد الله بن جعفر: جعفر الأكبر وبه كان يكنى، وأمه الأُميّة وتكنى أم عمرو بنت خراش العبسية[1]، وعلي وعون الأكبر، ومحمد وعباس، وأم كلثوم وأمهم زينب بنت علي بن أبي طالب، وأمها فاطمة بنت رسول الله ﷺ [2]، وحسين دَرجَ، وعون وعون الأصغر قتل مع الحسين ابن علي لا بقية له[3]، وأمهما جمانة بنت المسيب بن نجبة بن ربيعة بن عوف من بني فزارة[4]، وأبو بكر وعبيد الله، ومحمد، وأمهم الخوصاء بنت خَصَفة بن ثقف بن عابدين بن عدي بن الحارث بن تيم الله بن ثعلبة بن بكر بن وائل[5] وصالح لا بقية له. ويحيى وهارون لا بقية لهما، وموسى لا بقية له وجعفر وأم أبيها وأم محمد، وأمهم ليلى بنت مسعود بن خالد، وحميد والحسن لأم ولد، وجعفر، وأبو سعيد، وأمهما أم الحسن بنت كعب بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة[6]، ومعاوية وإسحاق وقثم لا بقية له، وأم عون لأمهات أولاد شتى[7].

2) مجيء جعفر بن أبي طالب بأسرته من الحبشة إلى المدينة:

قدم جعفر بن أبي طالب وصحبه من مهاجري الحبشة على رسول الله ﷺ يوم فتح خيبر، ومعه زوجته أسماء وأولاده عبد الله، وعون ومحمد، وفرح لقدومه رسول الله فرحاً عظيماً، وكان رسول الله ﷺ قد أرسل في طلبهم من النجاشي: عمرو بن أمية الضمري، فحملهم في سفينتين ووافق قدومهم عليه يوم فتح خيبر، وقد رافق جعفر في قدومه أبو موسى الأشعري ومن بصحبته من الأشعريين، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: بلغنا مخرج النبي ﷺ ونحن باليمن فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لي أنا أصغرهم أحدهم أبو بردة، والآخر أبو رهم، إما قال: في بضع، وإما قال: في ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلاً من قومي، فركبنا السفينة، فألقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبي طالب، فأقمنا جميعاً، فوافقنا النبي ﷺ حين افتتح خيبر[8].

3) لكم أنتم أهل السفينة هجرتان:

فعن أبي موسى: . . . كان أناس يقولون لنا: سبقناكم بالهجرة، ودخلت أسماء بنت عميس على حفصة زوج النبي ﷺ زائرة - وكانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر - فدخل

(1) الطبقات الكبرى (2/ 6) تحقيق السُّلمي.
(2) المصدر السابق نفسه (2/ 6).
(3) المصدر السابق نفسه (2/ 6).
(4) المصدر السابق نفسه (2/ 6).
(5) المصدر السابق نفسه (2/ 6).
(6) المصدر السابق نفسه (2/ 6).
(7) المصدر السابق نفسه (2/ 6).
(8) البخاري، كتاب: المغازي، رقم: 4230، 4231، معين السيرة، ص 253.

عمر على حفصة وأسماء عندها، فقال حين رأى أسماء: من هذه؟ قالت أسماء: ابنة عميس. قال عمر: الحبشية هذه؟ البحرية هذه؟ قالت أسماء: نعم! قال عمر: سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله منكم، فغضبت وقالت: كلا والله، كنتم مع رسول الله يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم. وكنا في أرض البعداء البغضاء بالحبشة، وذلك في الله وفي رسول الله، وايم الله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أذكر ما قلت لرسول الله وأسأله، والله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه، فلما جاءت النبي ﷺ قالت: كذا وكذا. قال: «**ليس بأحق بي منكم وله ولأصحابه هجرة واحدة ولكم أنتم - أهل السفينة - هجرتان**»[1]، فأخذت أسماء والدة عبد الله بن جعفر هذا الوسام ووزعته على جميع أعضاء الوفد حيث كانوا[2]، كما قالت: يأتوني أرسالاً يسألونني عن هذا الحديث، ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم في نفوسهم مما قال لهم النبي ﷺ [3]، وقد أشركهم النبي ﷺ مغانم خيبر بعد أن استأذن من الصحابة ﷺ الذين شاركوا في فتحها[4].

4) استشهد جعفر بن أبي طالب في مؤتة:

عن يحيى بن أبي يعلى، قال: سمعت عبد الله بن جعفر يقول: أنا أحفظ حين دخل رسول الله ﷺ على أمي فنعى لها أبي، فأنظر إليه وهو يمسح على رأسي ورأس أخي، وعيناه تُهْرقان الدموع حتى تقطر لحيته، ثم قال: «**اللّهم إن جعفراً قد قدم إلى أحسن الثواب، فاخلُفْه في ذريته بأحسن ما خلفت أحداً من عبادك في ذريته**»، ثم قال: «**يا أسماء: ألا أبشرك؟**» قالت: بلى بأبي أنت وأمي، قال: «**إن الله جعل لجعفر جناحين يطير بهما في الجنة**». قالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فأعلم الناس بذلك، فقام رسول الله ﷺ وأخذ بيدي يمسح رأسي حتى رقا على المنبر، وأجلسني أمامه على الدرجة السفلى، والحزن يعرف عليه، فتكلم فقال: . . . «**ألا إن جعفراً قد استشهد، وقد جعل له جناحان يطير بهما في الجنة**». ثم نزل رسول الله ﷺ فدخل بيته وأدخلني معه، وأمر بطعام فصنع لأهلي، وأرسل إلى أخي فتغدينا عنده والله غداء طيباً مباركاً، عَمَدتْ سَلْمَى خادِمُه إلى شعير فطحنته ثم نسّفته[5]، ثم أنضجته. . فتغديت أنا وأخي معه[6].

5) لا تبكوا أخي بعد اليوم:

قال عبد الله بن جعفر: إن النبي ﷺ أتاهم بعدما أخبرهم بقتل جعفر بعد ثلاثة، فقال: «**لا**

(1) البخاري، كتاب: المغازي، رقم: 4231. (2) فقه السيرة، للغضبان، ص 535.
(3) مسلم رقم: 2502، 2503. (4) الصراع مع اليهود لأبي فارس (3/ 96).
(5) نسفته: نقّت الجيد من الرديء، لسان العرب (9/ 328).
(6) الطبقات، تحقيق السُّلمي (2/ 8) إسناده ضعيف جداً، وله شواهد.

تبكوا أخي بعد اليوم» ثم قال: «ائتوني ببني أخي»، فجيء بنا كأننا أفرخ، فقال: «ادعوا لي الحلاق» فأمره فحلق رؤوسنا، ثم قال: «أما محمد فشبه عمّنا أبي طالب، وأما عبد الله؛ فشبه خَلقي وخُلُقي»، ثم أخذ بيدي، فأشالها. ثم قال: «اللهم اخلف جعفراً في أهله، وبارك لعبد الله في صفقته» قال: فجاءت أُمُّنا، فذكرت يُتمنا. فقال: «العيلة تخافين عليهم وأنا وليهم في الدنيا والآخرة؟»[1]. معنى العيلة: الفقر.

6) حمل النبي ﷺ له على دابته:

عن عبد الله بن جعفر قال: كان النبي ﷺ إذا قدم من سفر تُلُقِّي بالصبيان من أهل بيته قال: وإنَّه قدم من سفر فسُبِقَ بي إليه قال: فحملني بين يديه. قال: ثم أُتي بأحد ابني فاطمة - إما حسن وإما حسين - فأردفه خلفه. قال: فدخلنا المدينة ثلاثة على الدابة[2].

7) دعاء النبي ﷺ له:

عن عمرو بن حريث: أن رسول الله ﷺ مرّ بعبد الله بن جعفر وهو يلعب مع الغلمان أو الصِّبيان فقال: «اللّهم بارك لعبد الله في بيعته أو في صفقته»[3]، وعن عبد الله بن جعفر: أن رسول الله ﷺ مسح على رأسه ثلاثاً كلّما مسح قال: «اللّهم اخلف جعفراً في ولده»[4].

8) ذكر بيعته للنبي ﷺ:

عن هشام بن عروة عن أبيه: عبد الله بن الزُّبير وعبد الله بن جعفر بايعا النبي ﷺ وهما ابنا سبع سنين، وأن رسول الله ﷺ لما رآهما تبسَّم وبسط يده فبايعهما[5]، والصحيح أن عبد الله ابن الزبير ولد عام الهجرة[6].

9) تفقد رسول الله ﷺ لأبناء جعفر:

قال جابر بن عبد الله: إن النبي ﷺ قال لأسماء بنت عميس: «ما شأن أجسام بني أخي ضارعة أتصيبهم حاجة؟» قالت: لا، ولكن تسرع إليهم العين[7]، أفأرقيهم؟ قال: «وبماذا؟» فَعَرَضَتْ عليه فقال: «ارقيهم»[8] ومعنى ضارعة: الضارع: النحيف الضاوي الجسم.

---

(1) مسند أحمد (1/ 24) من طريق وهب بن جرير، عن أبيه بهذا الإسناد وهو قوي.
(2) مسلم رقم: 2428.
(3) سير أعلام النبلاء (3/ 458) مجمع الزوائد (9/ 286) رجالهما ثقات.
(4) مسند أحمد (1/ 204) من طريق وهب بن جرير عن أبيه بهذا الإسناد وهو قوي.
(5) المستدرك (3/ 566 - 567) في سنده إسماعيل بن عياش ضعيف عن غير أهل بلده.
(6) الإصابة (4/ 38).
(7) ما يصيب المرء إذا نظر إليه عدو أو حسود، فأثرت فيه فمرض بسببها.
(8) الرقية: العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك.

10) علمتني أسماء شيئاً أمرها رسول الله أن تقول عند الكرب:

عن عبد الله بن جعفر، قال: علمتني أمي أسماء بنت عميس شيئاً أمرها رسول الله ﷺ أن تقول عند الكرب: «**الله الله ربي لا أشرك به شيئاً**»[1].

11) شكوى الجمل لرسول الله ﷺ:

عن عبد الله بن جعفر قال: أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه، فأسر إليَّ حديثاً لا أحدث به أحداً أبداً، وكان رسول الله ﷺ أحب ما استتر به في حاجته هدفاً[2]، أو حائش[3] نخل. - زاد يزيد بن هارون في هذا الحديث بهذا الإسناد -: فدخل يوماً حائطاً من حيطان الأنصار - يعني النبي ﷺ - فإذا جمل قد أناخ فجرجر[4] وذرفت عيناه، فمسح رسول الله ﷺ سَراتَه[5]، وذِفْرَاه[6]، فسكن، فقال رسول الله ﷺ: «**من صاحب هذا الجمل؟**»، فجاء فتى من الأنصار فقال: هو لي يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: «**أما تتقي الله في هذه البهيمة التي ملّكَكَها الله، إنه شكا إليَّ أنك تُجيعُهُ وتُدْئِبُه**»[7].

هذا وكان عمره عشر سنين عند موت النبي ﷺ [8] وقد ثبتت صحبته لرسول الله، وروى عن النبي ﷺ أحاديث، وروى عن أمه أسماء بنت عميس، وعمّه علي بن أبي طالب، وروى عنه بنوه، إسماعيل وإسحاق، ومعاوية، ومحمد بن علي بن الحسين، والقاسم بن محمد، وعروة ابن الزبير، وسعد بن إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن عوف، وعبد الله بن مُليكة، وعبد الله ابن شدّاد بن الهاد، والشعبي، وعباس بن سهل بن سعد، وموَرّق العجْلي، وخالد بن سارة، ومحمد بن عبد الرحمٰن بن أبي رافع الفِهْمي[9].

12) سلام ابن عمر على عبد الله بن جعفر:

قال الشعبي: كان ابن عمر إذا سلّم على عبد الله بن جعفر، قال: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين[10].

---

(1) الطبقات، تحقيق السلمي (2/ 11) إسناده ضعيف.
(2) الهدف: كل بناء مرتفع مشرف.
(3) الحائش: النخل الملتف المجتمع.
(4) الجرجرة: صوت البعير عند الفجر، النهاية في غريب الحديث (1/ 255).
(5) سراته: أي ظهره.
(6) وذِفرَاه: ذفر البعير: أصل أذنيه، النهاية في غريب الحديث (1/ 161).
(7) تدئبه: تكده وتتعبه، الطبقات، تحقيق السلمي (2/ 13 / 14) إسناده صحيح.
(8) الإصابة (4/ 37). (9) تاريخ دمشق (29/ 169).
(10) سير أعلام النبلاء (3/ 459)، أخرجه البخاري (7/ 62).

13) حرص أمير المؤمنين علي ﷺ على تعليم عبد الله بن جعفر:

عن عبد الله بن شداد، أن علياً قال لعبد الله بن جعفر ﷺ: ألا أعلمك كلمات لم أعلمهن حسناً ولا حسيناً، إذا سألت الله مسألة فأردت أن تنجح[1]، فقل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له العلي العظيم، لا إله إلا هو وحده لا شريك له الحليم الكريم[2]، وقد صاحب عبد الله بن جعفر عمّه علياً ﷺ، وكان أحد أمرائه يوم صفين[3].

رابعاً: من أخبار كرمه وجوده:

كان عبد الله بن جعفر جواداً، ظريفاً، حليماً، عفيفاً، سخياً يسمّى بحر الجود[4]، وكان يقال له قطب السخاء[5]، ويقال: إنه لم يكن في الإسلام أسخى منه - أي في عصره - ويقولون: إن أجود العرب في الإسلام عشرة، فأجود أهل الحجاز: عبد الله بن جعفر، وعبيد الله بن عباس بن عبد المطلب، وسعيد بن العاص، وأجود أهل الكوفة: عتاب بن ورقاء أحد بني رباح بن يربوع، وأسماء بن خارجة بن حصن الفزاري، وعكرمة بن ربعي الفياض أحد بني تيم الله بن ثعلبة، وأجود أهل البصرة: عمرو بن عبيد بن معمر، وطلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي ثم أحد بني مليح وهو طلحة الطلحات، وعبيد الله بن أبي بكرة، وأجود أهل الشام: خالد بن عبد الله بن خالد بن أسد بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، وليس في هؤلاء كلهم أجود من عبد الله بن جعفر، ولم يكن مسلم يبلغ مبلغه في الجود، وعوتب في ذلك فقال: إن الله عوّدني عادة، وعودت الناس عادة، فأنا أخاف إن قطعتها قطعت عني[6]، وعن علي بن حسين عن الحسين ﷺ قال: علمنا عبد الله بن جعفر السخاء[7]، وهذا من تواضع الحسين ﷺ وإلا فله ولأخيه الحسن القدح المعلى في الجود والكرم والإنفاق، وإليك بعض أخبار جود عبد الله بن جعفر في الكرم والجود:

1 - ما عندنا ما نصلك ولكن عليك بابن جعفر:

ذكر أن أعرابياً وقف في الموسم على مروان بالمدينة، فسأله فقال: ما عندنا ما نصِلُك، ولكن عليك بابن جعفر، فأتاه الأعرابي فإذا ثَقَلُه قد سار، وراحلة بالباب عليها متاعُه وسيف معلق فخرج عبد الله، فأنشأ الأعرابي يقول:

أبو جعفر من أهل بيت نبوة صلاتهم للمسلمين طهور

---

(1) تنجح: نجح فلان وأنجح: إذا أصاب طلبته وأنجحت حاجته.
(2) الطبقات (2/ 16) إسناده صحيح.
(3) الإصابة (4/ 37).
(4) الاستيعاب (3/ 881).
(5) الإصابة (4/ 37).
(6) الاستيعاب (3/ 882).
(7) تاريخ دمشق (29/ 187).

أبا جعفر ضنّ الأمير بما له وأنت على ما في يديك أمير
أبا جعفر يا بن الشهيد الذي له جناحان في أعلى الجنان يطير
أبا جعفر ما مثلك اليوم أرتجي فلا تتركني بالفلاة أدور[1]

فقال: يا أعرابي سار الثّقل، فعليك الراحلة بما عليها، وإياك أن تُخدع عن السيف، فإني أخذته بألف دينار[2].

2 - وهل أعطيناه إلا ما يبلى ويفنى وأعطانا مدحاً يُرْوى وثناء يبقى:

مدحه «نُصيب» أحد الشعراء، فأعطاه إبلاً وخيلاً وثياباً ودنانير ودراهم، فقيل له: تُعطي لهذا الأسود مثل هذا؟ فقال: إن كان أسود فشعره أبيض، ولقد استحق بما قال أكثر مما نال، وهل أعطيناه إلا ما يبلى ويفنى، وأعطانا مدحاً يروى وثناء يبقى، وقد قيل: إن هذا الخبر إنما جرى لعبد الله بن جعفر مع عبيد الله بن قيس الرقيات[3] ومن شعره في عبد الله بن جعفر رضي الله عنه:

وما كنت إلا كالأغر بن جعفر رأى المال لا يبقى فأبقى له ذكرا[4]

ومن شعره أيضاً في عبد الله بن جعفر:

نفدت بي الشهباء نحو ابن جعفر سواء عليها ليلُها ونهارُها
يزور امرأً قد يعلم الله أنه تجود له كفٌ قليل غرارُها
فوالله لولا أن تزور ابن جعفر لكان قليلاً في دمشق قرارها
أتيتك أثني بالذي أنت أهله عليك كما أثنى على الروض جارُها
ذكرتك إذا فاض الفرات بأرضنا وجلّل أعلا الرّقّتين بحارُها
فإن متّ لم يوصل صديق ولم تقم طريقٌ من المعروف أنت منارها[5]

وقال مصعب بن عبد الله: قال عبد الملك بن مروان: أي ويحك يا ابن قيس أما اتقيت حين تقول في ابن جعفر:

أنت رجلاً قد يعلم الله أنه يجود له كفٌ قليل غرارها

ألا قلت قد يعلم الناس، ولم تقل: قد يعلم الله، قال له ابن قيس: قد والله علمه الله وعلمته، وعلمه الناس[6].

---

(1) تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات (61 - 80) ص 31.
(2) سير أعلام (3/ 459).
(3) الاستيعاب (3/ 882) وقد ذكر أن اسمه عبد الله.
(4) الإصابة (4/ 38).
(5) المصدر السابق نفسه (4/ 38).
(6) تاريخ دمشق (29/ 185).

وقال الشماخ بن ضرار يمدح عبد الله بن جعفر:

إنك يا ابن جعفر نعم الفتى ونعم مأوى طارق إذا أتى
وَرُبَّ ضيف طرق الحيَّ سُرى صادف زاداً وحديثاً ما اشتهى[1]

وجاء أعرابيٌّ إلى عبد الله بن جعفر وهو محموم، فأنشأ يقول:

كم لوعةٍ للندى وكم قلق للجود والمكرماتِ من قلقِكْ
ألبسك الله منه عافيةً في نومك المعتري وفي أرقِكْ
أخرج من جسمك السُّقام كما أخرج ذمّ الفعال من عنقك

فأمر له بمائة ألف دينار[2].

وذات يوم كان عبد الله بن جعفر في سفر له فمرّ بفتيان يوقدون تحت قدر لهم فقام إليه أحدهم فقال:

أقول له حين ألفيته عليك السلام أبا جعفر

فوقف وقال: عليك السلام ورحمة الله، فقال:

وهذي ثيابي قد أخلقت وقد عقّني زمن منكر

قال: فهذي ثيابي مكانها - وعليه جبّة خزٍ - ونعينك على زمنك، فقال:

فأنت كريم بني هاشم وفي البيت منها الذي يذكر

قال: يا بن أخي، ذاك رسول الله ﷺ[3].

وكتب رجل إلى عبد الله بن جعفر رقعة فجعلها في ثني الوسادة التي يتكئ عليها، فقلب عبد الله الوسادة، فنظر بالرقعة، فقرأها فردها في موضعها، وجعل مكانها كيساً فيه خمسة آلاف دينار فجاء الرجل فدخل عليه، فقال: اقلب المرفقة فانظر ما تحتها فخذه، فأخذ الرجل الكيس وخرج وأنشأ يقول:

زاد معروفك عندي عظماً أنه عندك مستور حقير
تتناساه كأنه لم تأته وهو عند الله مشهور كبير[4]

3 - ديون الزبير بين عبد الله بن الزبير وعبد الله بن جعفر:

أسلف عبد الله بن جعفر الزبير ألف ألف درهم، فلما توفي قال ابن الزبير لعبد الله بن

(1) الإصابة (4/ 39).
(2) تاريخ دمشق (29/ 194).
(3) المصدر السابق نفسه (29/ 199).
(4) المصدر السابق نفسه (29/ 189).

جعفر: إني وجدت في كتب أبي أنّ له عليك ألف ألف دِرهم، قال: هو صادق، فاقبضها إذا شئت، ثم لقيه بعد فقال: إنما وهمت عليك، المال لك عليه، قال: فهو له، قال: لا أريد ذلك[1]. قال الذهبي: هذه الحكاية من أبلغ ما بلغنا في الجُود[2].

وجاء في رواية ابن عساكر عندما قال عبد الله بن الزبير لعبد الله بن جعفر: لا أريد ذاك، قال ابن جعفر: فاختر إن شئت فهو له، وإن كرهت ذلك فلك فيه نظرة ما شئت، فإن لم تُرد ذلك فبعني من ماله ما شئت، قال: أبيعك، ولكني أقوّم، فقوّم الأموال ثم أتاه فقال: أحب أن لا يحضرني وإيّاك أحد، فقال له ابن جعفر: يحضرنا الحسن والحسين فيشهدان لك، قال: ما أحب أن يحضرنا أحـ ـال: انطلق فمضى معه، فأعطاه خراباً وسباخاً لا عمّارة له، وقوّمه عليه حتى إذا فرغ قال عبد الله لغلامه: ألقِ لي في هذا الموضع مصلّى، فألقى له في أغلظ موضع من تلك المواضع مصلّى، فصلّى ركعتين وسجد، فأطال السجود يدعو، فلما قضى ما أراد من الدعاء قال لغلامه: احفر في موضع سجودي، فحفر، فإذا عين، فملأ نبطها فقال له ابن الزبير: أقلني، قال: أما دعائي وإجابة الله إياي فلا أقيلك، فصار ما أخذ منه أعمر مما في يدي ابن الزبير[3].

4 - لئن والله وُعِدنا نعيم الآخرة، فقد عجلتَ نعيم الدنيا[4]:

عن محمد بن عبيد الله بن أبي مليكة، عن أبيه، عن جده، قال: دخل ابن عمّار - وهو يومئذٍ فقيه أهل الحجاز - على نخاس يعترض منه جارية، فعرض عليه جارية بأكثر مما كان معه من الثمن، وكانت حسنة الوجه جداً، فعلِقَ بها، وأخذه أمر عظيم، ورآه النخّاس فتباعد عليه في الثمن، واستُهْتِر بذكرها فمشى إليه عطاء وطاوس ومجاهد يعذلونه، فكان جوابه أن قال:

يلومني فيكِ أقوام أجالِسُهم ... فما أبالي أطار اللوم أم وقعا

قال: فبلغ خبره عبد الله بن جعفر، فبعث إلى مولى الجارية، فاشتراها منه بأربعين ألف درهم، وأمر قيّمة جواريه أن تزينها وتحليها ففعلت، وقدم المدينة، فجاءه الناس يسلّمون عليه، وجاءه جلة أهل الحجاز فقال: ما لي لا أرى ابن أبي عمار زائراً؟ فأخبر الشيخ، فأتاه، فلما أراد أن ينهض استجلسه فقال له ابن جعفر: ما فعل حبُّك فلانة؟ قال: في اللحم والدم والمُخّ والعصب والعظم، فقال له: أتعرفها إن رأيتها؟ قال: جعلت فداك، هي مصورة في

(1) تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات (61/ 80)، ص 431.
(2) المصدر السابق نفسه.
(3) تاريخ دمشق (29/ 187).
(4) سير أعلام النبلاء (3/ 461).

نُصب عيني عند كل خطرة وفكرة، قال: والله ما نظرت إليها منذ ملكتها، يا جارية أخرجيها، فأخرجت ترفل في الحُلي والحلل فقال: هي هذه؟ فأنشأ يقول:

هي التي هام قلبي من تذكّرها والنفس مشغولة أيضاً بذكراها

قال: فشأنك بها، فخذها، فبارك الله لك فيها، قال: جعلت فداك، لقد تفضّلت بشيء ما كان يتفضل به إلا الله، - فلما ولّى بها قال: يا غلام احمل معها مائة ألف درهم، كي لا يهتمّ بها، ولا تغتم به، فبكى ابن عمّار - سروراً، ثم قال: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ والله جعلت فداك، لئن كان الله وعدنا نعيم الآخرة، لقد عَجَّلت نعيم الدنيا[1].

5 - ما غلبنا بالسخاء إلا الشيخ العُذري:

عن بُديح مولى عبد الله بن جعفر قال: خرجت مع عبد الله بن جعفر في بعض أسفاره، فنزلنا إلى جانب خباء من شَعْر قال: وإذا صاحب الخباء رجل من بني عذرة، قال: فبينا نحن كذلك، إذا نحن بأعرابي قد أقبل يسوق ناقة حتى وقفت علينا ثم قال: أي قوم ابغوني شفرة فناولناه الشفرة، فوجأ في لُبتها وقال: شأنكم بها، قال: وأقمنا اليوم الثاني، وإذا نحن بالشيخ العُذري، يسوق ناقة أخرى، فقال: أي قوم أبغوني شفرة، قال: فقلنا: إنّ عندنا من اللحم، قال: فقال أبحضرتي تأكلون الغاب؟[2]، ناولني الشفرة، فوجأ في لُبّتها، ثم قال: شأنكم بها، وبقينا اليوم الثالث، فإذا نحن بالعُذري يسوق أخرى حتى وقف علينا، فقال: أيْ قوم ابغوني شفرة، قال: فقلنا: إن معنا من اللحم ما ترى، قال: أبحضرتي تأكلون الغاب؟ إني لأحسبكم قوماً لئاماً، ناولوني الشفرة، فوجأ في لبّتها ثم قال: شأنكم بها، قال: وأخذنا في الرحيل، فقال ابن جعفر لمولى: ما معك؟ قال: رزمة ثياب وأربع مائة دينار، قال: اذهب بها إلى الشيخ العُذري، قال: فذهب بها، فإذا جارية في الخباء، فقال: يا هذه خذي هدية ابن جعفر، قالت: إنا قوم لا نقبل على قرى[3] أجراً، قال: فجاء إلى ابن جعفر، فأخبره، فقال: عُد إليها فإن هي قبلت وإلا فارم بها على باب الخيمة فعادوها فقالت: اذهب عنا بارك الله فيك، فإنا قوم لا نقبل على قرانا أجراً، فوالله لئن جاء شيخي فرآك هاهنا لتلقين منه أذى، قال: فرمى بالرزمة والصّرة على باب الخباء ثم ارتحلنا فما سِرنا إلا قليلاً حتى إذا نحن بشخص يرفعه السراب مرة ويضعه أخرى، فلما دنا منا إذا نحن بالشيخ العذري ومعه الصرة والرزمة، فرمى بذلك إلينا ثم ولّى مدبراً، فجعلنا ننظر في قفاه هل يلتفت فهيهات قال: فكان ابن جعفر يقول: ما غلبنا بالسّخاء إلا الشيخ العُذْري[4].

---

(1) تاريخ دمشق (29/ 195).

(2) أغب اللحم: أنتن كغبّ، وأغب القوم: جاءهم يوماً وترك يوماً كغب عنهم.

(3) قرى: ضيافة.

(4) تاريخ دمشق (29/ 190).

6 - ما سمعت بأعجب من هذا:

خرج عبد الله بن جعفر حاجاً، حتى إذا كان ببعض الطريق تقدم ثقله على راحلة له، فانتهى إلى أعرابية جالسة على باب الخيمة، فنزل عن راحلته ينتظر أصحابه، فلما رأته قد نزل، قامت إليه، فقالت: إليّ بوَّأك الله مساكن الأبرار، قال: فأُعجب بمنطقها، فتحول إلى باب الخيمة، فألقت إليه وسادة من أدم، فجلس عليها، ثم قامت على عُنَيزة لها في كسر الخيمة، فما شعر حتى قدمت منها عضواً فجعل ينهش، وأقبل أصحابه فلما رأوه نزلوا، فأتتهم بالذي بقي عندها من العنز، فطعموا وأخرجوا سُفَرهم فقال عبد الله: ما بنا إلى طعامكم حاجة سائر اليوم، فلما أراد أن يرتحل دعا مولاه الذي كان يلي نفقته فقال: هل معك من نفقتنا شيء؟ قال: نعم، قال: وكم هو؟ قال: ألف دينار، قال: أعطها خمس مائة واحتبس لنفقتك باقيها قال: فدفعه إليها، فأبت أن تقبل، فلم يزل عبد الله يكلّمها وهي تقول: أي والله أكره عذل بعلي[1]، فطلب إليها عبد الله حتى قبلت فودّعها وارتحل هو وأصحابه، فلم يلبث أن استقبله أعرابي يسوق إبلاً له، فقال عبد الله: ما أراه إلّا المحذور، فلو انطلق بعضكم فعلم لنا علمه ثم لحِقَنا، فانطلق بعض أصحابه راجعاً متنكراً حتى نزل قريباً منه، فلما أبصرت المرأة الأعرابي مقبلاً قامت إليه تَفَدّاه وتقول: بأبي أنت وأمي:

توسّمته لما رأيت مهابة ... عليه فقلت: المرء من آل هاشم
ولا فمن آل المرار فإنهم ... ملوكٌ ملوكٌ من ملوك أعاظم
فقمت إلى عَنْزٍ بقيت أعنز ... فأذبحها فعلَ امرئٍ غير نادم[2]
يعوّضني منها غناه ولم يكن ... يساوي لُحَيم العنز خمس دراهم

فأظهرت له الدنانير، وقَصّت عليه القصة، فقال: بئس لعمرو الله معقل الأضياف كنتِ، أبعتِ معروفك بما أرى من الأحجار؟ قالت: إني والله قد كرهت ذلك، وخفت العذل، قال: وهذه لم تخافي العار، وخفت العَذْل؟ كيف أخذ الركبُ؟ فأشارت إلى الطريق، قال: وهذا يعني: الرجل الذي أرسله عبد الله، فقال: أسرجي لي فرسي، قالت: تصنع ماذا؟ قال: ألحقُ القوم، فإن سلموا لي معروفي وإلا حاربتهم، قالت: أنشدكم الله أن تفعل فتسوءهم، فأقبل عليها ضرباً، وقال: ركنت إلى إمحاق المعروف؟ قال: وركب فرسه، وأخذ رمحه، فجعل الرجل صاحب عبد الله يسير معه ويقول له: ما أراك تدرك القوم، فقال: والله لآتينهم ولو بلغوا كذا وكذا، فلما رأى الرجل أنه غير منتهٍ قال: على رِسْلك، أُدرك لك القوم وأخبرهم خبرك، فتقدم الرجل، فأخبر ابن جعفر، وقصّ عليه القصة، فقال: عبد الله: قد كانت حذرة من

(1) البعل: الزوج.
(2) تاريخ دمشق (29/ 192).

المشؤوم، فقال: فرهِقَهم، فسلّم عليه ابن جعفر وأخبره بحسن صنيع المرأة، فقال: والله ما رأيت ذلك بتمامه، فلم يزل يكلّمه، وسأله، فأبى الأعرابي إلّا ردّها، فلما رأى عبد الله ذلك قال: لننظر ما عنده، ما نحبّ أن يرجع إلينا شيء قد أمضيناه، قال: فقام من بين يديه، فتنحى، فصلّى ركعتين ثم قام فركب فرسه، وأخرج قوسه ونبله، فقال له عبد الله: ما هاتان الركعتان؟ قال: استخرت فيها ربي ﷻ في محاربتكم، وقال: فعلى ما عزم لك من ذلك؟ قال: عزم لي عليه رشداً أو تُرْجعون أحجاركم وتسلمون لنا معروفنا، فقال له عبد الله: نفعل فأمر بالدنانير فقُبضت، فولّى الأعرابي منصرفاً، فقال له عبد الله: ألا نزودك طعاماً؟ قال: الحيّ قريب فهل من حاجة؟ قال: نعم قال: وما هي؟ قال: المرأة تخبرها بسوء فعلك، فاستضحك الأعرابي، وولّى منصرفاً، فقدم عبد الله بن جعفر بعد ذلك على يزيد بن معاوية، فحدَّثه حديث الأعرابي، فقال يزيد: ما سمعت بأعجب من هذا[1].

7 - إن الله لا يحب المسرفين:

جاءت امرأة إلى عبد الله بن جعفر بدجاجة مسموطة في مِكْتَلٍ فقالت: بأبي أنت، هذه الدجاجة كانت مثل بنيتي آكل من بيضها وتُونسني، فأكيت أن لا أدفنها إلا في أكرم موضع أقدر عليه، ولا والله ما في الأرض موضع أكرم من بطنك، قال: خذوها منها، واحملوا إليها من الحنطة كذا، ومن التمر كذا، وأعطوها من الدّراهم كذا، فعدّد شيئاً، فلما رأت ذاك قالت: بأبي، إن الله لا يحب المسرفين[2].

8 - كساد سلعة مجلوبة إلى سوق المدينة:

جلب رجل من أهل البصرة سكراً إلى المدينة، فكسد عليه، فذكر لعبد الله، فأمر قهرمانه[3] أن يشتريه فيدعو الناس فَيُنهبهُم[4] إياه[5]، وفي رواية قالوا للرجل: ائت عبد الله بن جعفر، فأتاه فاشتراه منه بده داورده، وقال: من شاء أخذ، فقال الرجل: آخذ معهم؟ قال: خذ[6].

9 - إنفاقه مالاً وصله من يزيد بن معاوية:

وجّه يزيد بن معاوية إلى عبد الله بن جعفر مالاً جليلاً هدية، ففرّقه في أهل المدينة، ولم يُدخل منزله منه شيئاً، وفي ذلك يقول عبيد بن قيس الرقيّات:

---

(1) تاريخ دمشق (29/ 193).
(2) تاريخ الإسلام (61/ 80)، ص 431 - 432.
(3) القهرمان: كلمة فارسية وهو كالخازن والحافظ لما تحت يده.
(4) ينهبهم إياه: أي يعطيه لهم نُهبىً بدون ثمن.
(5) الطبقات، للسُّلمي (2/ 19).
(6) تاريخ دمشق (29/ 193).

وما كنت إلا كالأغرّ بن جعفر رأى المال لا يبقى فأبقى له ذكرا[1]

وعندما وفد عبد الله بن جعفر على يزيد، أمر له بألفي ألف[2] وعلق الذهبي فقال: ما ذاك بكثير، جائزة ملك الدنيا لمن هو أولى بالخلافة منه[3].

10 - دعاء أعرابي لعبد الله بن جعفر ﷺ:

قال أعرابي لعبد الله بن جعفر: لا ابتلاك الله ببلاء يعجز عنه صبرك، وأنعم الله عليك نعمة يعجز عنها شكرك[4].

11 - ذاك مالي جدت به:

رُئي عبد الله بن جعفر (يماكس) في درهم، فقيل له: تماكس في درهم وأنت تجود من المال بكذا أو كذا؟ فقال: ذاك مالي جُدْتُ به، وهذا عقلي بخلت به[5].

12 - هذا رجل أراد أن يبخل الناس، أمطر المعروف مطراً:

ذكر بعض أهل العلم، أن عبد الله بن جعفر ﷺ أنشد:

إنّ الصنيعة لا تكون ضيعةً حتى يُصاب بها طريق المقنع

فقال محمد بن عبد الله المهراني: هذا رجل أراد أن يبخل الناس، أمطر المعروف مطراً، فإن صادفتَ موضعاً فذاك ما أردتَ، وإلّا رجع إليك[6].

13 - إنما الجوادُ الذي يبُدئ المعروف:

قال عبد الله بن جعفر ذي الجَناحين: ليس الجواد الذي يعطي بعد المسألة، لأن الذي يبذل السائل من وجهه وكلامه أفضل مما يبذل من ناثله، وإنما الجواد الذي يبدئ المعروف[7].

14 - إنا لا نأخذ على المعروف ثمناً:

يروى أن دُهْقاناً من أهل السَّواد كلَّم ابن جعفر في أن يكلم أمير المؤمنين علياً في حاجة، فكلّمه فيها، فقضاها له فبعث إليه الدُّهقان أربعين ألفاً، فقالوا: أرسل الدُّهقان الذي كلّمت له، فقال للرسول: قل له: إنّا أهل بيت لا نبيع المعروف[8]، وفي رواية: . . إنا لا نأخذ على المعروف ثمناً[9].

---

(1) الإصابة (4/ 38).
(2) سير أعلام النبلاء (3/ 457).
(3) المصدر السابق نفسه (3/ 457).
(4) تاريخ دمشق (29/ 201).
(5) تاريخ دمشق (29/ 201) والمماكسة: محاولة تنزيل السعر من البائع.
(6) المصدر السابق نفسه (29/ 201).
(7) المصدر السابق نفسه (29/ 200).
(8) تاريخ دمشق (29/ 186).
(9) المصدر السابق نفسه (29/ 187).

15 - هو والناس في ماله شركاء:

قيل لمعاوية بن عبد الله بن جعفر: ما بلغ من كرم عبد الله بن جعفر؟ قال: كان ليس له ما دون الناس، هو والناس في ماله شركاء، كان من سأله أعطاه، ومن استمنحه شيئاً منحه، لا يرى أنه يقتصر فيقتصر، ولا يرى أنه يحتاج فيدخر[1].

خامساً: من أخبار عبد الله بن جعفر مع معاوية:

كان عبد الله بن جعفر يفد على معاوية، وعلى عبد الملك، وكان كبير الشأن كريماً، جواداً، يصلح للإمامة[2]، وكانت علاقته بمعاوية متميزة وقوية، حتى أنه سمّى أحد أولاده بمعاوية.

وعن أبان بن تغلب، قال: ذكر لنا أن عبد الله بن جعفر قدم على معاوية وكانت له وفادة في كل سنة، يُعطيه ألف ألف درهم، ويقضي له منه حاجة[3]، وقد ذكرت كتب الأدب والتاريخ روايات بين معاوية وابن جعفر لا تثبت ولا تصح وهي كثيرة:

منها: ما قال يحيى بن سعيد بن دينار: بينما عبد الله بن جعفر ذات ليلة عند معاوية بالخضراء[4] بدمشق، إذ ورد على معاوية كتاب غَمّه من حسين بن علي، فضرب به الأرض، ثم قال: من يعذرني من ابن أبي تراب، والله لهممت أن أفعل به وأفعل. قال: فجعل عبد الله ابن جعفر يجيبه بنحو مما يشتهي ويداريه حتى قام، فانصرف، قال: وكانت بينهما خوخة، فلما صار على منزله دعا برواحله فقعد عليها وخرج من ساعته متوجهاً إلى المدينة قال: ودخل معاوية على امرأته[5] بنت قرظة مغتماً فقال: ماذا صنعت الليلة بابن جعفر، فحشت عليه وأسمعته في ابن عمه ما يكره، وحال ابن جعفر حاله وحبه لنا ومودته إيانا. فقالت: بئس والله ما صنعت ما أقبح ما أتيت إليه؛ فبات ليلته مغتماً يتذكر صنيعه به ولا يأخذه النوم حتى أسحر، فقام فتوضأ وقال: والله لا ينبّهه من فراشه غيري، فمشى إليه، فدخل فإذا ليس فيه أحد فسأل عنه فقيل له: رحل إلى المدينة ساعة من عندك، فبعث في إثره، وقال: أدركوه فردوه ولو دخل منزله، فلحقوه فردوه إليه، فجعل معاوية يعتذر إليه منه تلك الليلة، وقال: قد أقطعتك ووهبت لك كل شيء[6] مررت به في مسيرك، قال: وقد كان مرّ بإبل وغنم كثيرة لمعاوية فأمر بها فقبضها وذهب ما كان في نفسه[7]. هذا الخبر لا يصح لأن إسناده ضعيف منقطع، فيحيى بن

---

(1) تاريخ دمشق (29/ 198).
(2) سير أعلام النبلاء (3/ 458).
(3) المصدر السابق نفسه (3/ 459).
(4) قصر معاوية بدمشق.
(5) هي فاختة بنت قرظة بنت عمرو بن نوفل بن عبد مناف.
(6) المراد: كل شيء نملكه.
(7) الطبقات (2/ 19، 20) تحقيق السّلمي، إسناده ضعيف منقطع.

سعيد بن دينار السعدي، شيخ للواقدي، مجهول[1]، فهذا الأثر على سبيل المثال لا الحصر.

وتذكر كتب التاريخ والأدب مساجلات شعرية بين معاوية وعبد الله بن جعفر:

منها: عن يونس بن ميسرة بن حلبس يقول: بلغ معاوية أن عبد الله بن جعفر أصابه خفقٌ وجهد هذا أو نحوه، فكتب إليه ببيتين من شعر:

لمال المرء يصلحه فيغني ... مفاقره أعفّ من القنوع
يسد به نوائب تعتريه ... من الأيام كالنّهر الشروع

وكتب إليه يأمره بالقصد ويرغبه فيه وينهاه عن السَّفر ويعيبه عليه، قال: فأجابه عبد الله بن جعفر:

سلي الطارق المعتر يا أم خالد ... إذا ما أتاني بين ناري ومَجزري
أأبسط وجهي أنه أول القِرى ... وأبذل معروفي بهم دون مُنكَري
وقد أشتري عرضي بمالي وما عسى ... أخوك إذا ما ضَيّع العِرض يشتري
يؤدي إليّ الليل إتيان ما جدِ ... كريم ومالي سارح مال مقتر

فأعجب معاوية ما كتب إليه، وبعث بأربعين ألف دينار عوناً له على دينه[2].

سادساً: ابن جعفر وسماع الغناء:

نسبت كثير من كتب التاريخ والأدب إلى عبد الله بن جعفر سماعه للغناء، وانشغاله بالجواري وهذا لا يصح، ولا يثبت، وإنما جاءت روايات ضعيفة، فقد ذكر ابن عساكر رواية مطولة، عن جماعة من مشايخ قريش من أهل المدينة قالوا، وذكر فيها قصة المغنية عمّارة، وأنه كان يجد بها وجداً شديداً[3]، وذكر ابن كثير القصة بصيغة قيل[4]، وقال أبو عمر بن عبد البر: ويقال.... وكان لا يرى بسماع الغناء بأساً[5]، وأما الذهبي فلم يذكر في تقريره أي إسناد يعتمد عليه[6]، فهذه أقوال لا سنام لها ولا خطام، وبعضها مشكوك في أصله، وعليه لا يمكنني التسليم بأن عبد الله بن جعفر كان يستمع لغناء الجواري وكان له معهن قصص من الحب والغرام، كما تزعم الروايات.

(1) الطبقات (2/ 19).
(2) تاريخ دمشق (29/ 200).
(3) تاريخ دمشق (29/ 195).
(4) البداية والنهاية (12/ 301).
(5) الاستيعاب (3/ 881).
(6) سير أعلام النبلاء (3/ 462).

سابعاً: وفاته:

توفي عبد الله بن جعفر سنة ثمانين، وهو عام الجُحَاف[1] نسبة إلى السيل الجحاف بمكة، لأنّه جحف على كل شيء مرّ به، وحمل الحجّاج من بطن مكة والجمال بما عليها، والرجال والنساء لا يستطيع أحد أن ينقِذهم منه، وبلغ الماء إلى الحجون[2]، وغرق خلق كثير وقيل: إنَّه ارتفع حتى كاد أن يُغطي البيت[3]، وقيل: إنه توفي سنة أربع أو خمس وثمانين، وهو ابن ثمانين سنة، ورجح ابن عبد البر وفاته عام 80هـ، وصلّى عليه أبان بن عثمان وهو يومئذ أمير المدينة[4]، في عهد عبد الملك بن مروان، وقد وضع على قبره بيتين من الشعر جاء فيها:

مقيم إلى أن يبعث الله خلقه ... لقاؤك لا يُرجى وأنت قريب
تزيد بلىً في كل يوم وليلة ... وتُنسى كما تُبلى وأنت حبيب[5]

المبحث الرابع
صلح الحسن بن علي مع معاوية

بويع الحسن رضي الله عنه بيعة عامة، وبايعه الأمراء الذين كانوا مع والده، وكل الناس الذين بايعوا لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وباشر سلطته كخليفة، فرتب العمال وأمّر الأمراء وجند الجنود وفرق العطايا، وزاد المقاتلة في العطاء مائة مائة فاكتسب بذلك رضاءهم[6]، وكان في وسعه أن يخوض حرباً لا هوادة فيها ضد معاوية، وكانت شخصيته الفذة من الناحية السياسية والعسكرية والأخلاقية والدينية تساعد على ذلك مع وجود عوامل أخرى، كوجود قيس بن سعد بن عبادة، وحاتم بن عدي الطائي وغيرهم من قادة المسلمين الذي لهم من القدرات القيادية الشيء الكثير، إلا أن الحسن بن علي مال إلى السلم والصلح لحقن الدماء، وتوحيد الأمة، ورغبة فيما عند الله وزهده في الملك، وغير ذلك من الأسباب التي سيأتي بيانها وتفصيلها.

وقد قاد الحسن بن علي مشروع الإصلاح الذي توّج بوحدة الأمة، وظل زمام الموقف في جانبه وبيده ويد أنصاره، وكانت جبهته العسكرية قوية كما جاء في رواية البخاري، وقد

---

(1) نسبة إلى سيل الجحاف، الطبقات، تحقيق السُّلمي (2/ 25).
(2) الحجون: جبل بأعلى مكة، معجم البلدان (2/ 215).
(3) البداية والنهاية (12/ 296).
(4) الاستيعاب (3/ 881).
(5) تاريخ دمشق (29/ 195).
(6) تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي، ص 67، مقاتل الطالبيين، ص 55.

عبر عن ذلك عمرو بن العاص عندما قال: إني لأرى كتائب لا تولي حتى تقتل أقرانها[1]، وقال الحسن بن علي: كانت جماجم العرب بيدي تحارب من حاربت وتسالم من سالمت[2].

ولو لم يكن الحسن مرهوب الجانب لما احتاج معاوية ﷺ إلى أن يفاوضه ويوافق على ما طلب من الشروط والضمانات، ولكان عرف ضعف جانب الحسن وانحلال قوته عن طريق عيونه، ولدخل الكوفة من غير أن يكلف نفسه مفاوضة أحد أو ينزل على شروطه ومطالبه، وتفوُّق جانب معاوية على الحسن لا مراء فيه، فهل صالح الحسن معاوية لهذا السبب[3]؟

قال ابن تيمية في منهاج السنة:

فقد كان بمقدور الحسن أن يقاتل معاوية بمن كان معه وإن كان أقل ممن كان مع معاوية، صنيع الذين قاتلوا خصومهم على قلة من كان معهم من الأعوان والأنصار، ولكن الحسن كان ذا خلق يجنح إلى السلم وكراهة الفتنة ونبذ الفرقة، جعل الله به رأب الصدع، وجمع الكلمة[4].

وكان ﷺ يملك رؤية إصلاحية واضحة المعالم، خضعت لمراحل، وبواعث، وتغلب على العوائق وكتبت فيها شروط، وترتبت عليها نتائج، وأصبح هذا الصلح من مفاخر الحسن ابن علي ﷺ على مر العصور وتوالي الأزمان، حتى قال الدكتور خالد الغيث حفظه الله: كان الحسن رضوان الله عليه في صلحه مع معاوية ﷺ، وحقنه لدماء المسلمين، كعثمان في جمعه للقرآن، وكأبي بكر في الردة[5]، ولا أدل على ذلك في كون هذا الفعل من الحسن يعد علماً من أعلام النبوة، والحجة في ذلك ما أخرجه البخاري من طريق أبي بكرة ﷺ قال: رأيت ﷺ على المنبر - والحسن بن علي على جنبه، وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول: «**إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»[6]. إن صلح الحسن مع معاوية ﷺ من الأحداث العظام في تاريخ الأمة الإسلامية.

وقد أسهم في تبوّؤ هذا الحدث لهذه المنزلة عدة أسباب منها:

1 - كونه علماً من أعلام النبوة.

---

(1) البخاري، كتاب: الصلح 2704.
(2) المستدرك (3/ 170)، صحيح على شرط الشيخين.
(3) دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، بطاينة، ص 60، 61.
(4) منهاج السنة (4/ 536)، دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ص 61.
(5) مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، خالد الغيث، ص 134.
(6) البخاري رقم: 7109.

2 - إن من ثمار هذا الصلح حقن دماء المسلمين وجمع كلمتهم على إمام واحد بعد سنوات من الفرقة.

3 - كون الحسن ﷺ أول خليفة يتنازل عن منصبه ويخلع نفسه طواعية، وبدون أي ضغوط، ومن مركز قوة لا من مركز ضعف، من أجل إصلاح ذات بين المسلمين.

4 - كون الحسن ﷺ آخر خلفاء مرحلة النبوة.

من هذه الأسباب وغيرها امتلأت كتب العقيدة والسنة والتاريخ والأدب وغيرها من المصادر بأخبار صلح الحسن مع معاوية ﷺ، والقارئ لتلك المصادر - بما فيها تاريخ الطبري - يلاحظ كثرة روايات الصلح وتضاربها مع بعضها واختلاط ضعيفها بصحيحها وتشابه بعض أحداثها، يضاف إلى ذلك عدم مراعاة المصادر للترتيب الزمني لوقوع الحدث، مع أن التسلسل الزمني لمجريات الصلح يعد بالغ الأهمية لفهم الحدث[1].

ولقد قام الأخ الكريم الدكتور خالد الغيث بجهد كبير في دراسة تلك المصادر واستخراج الروايات الصحيحة منها، واعتمدها في ترتيب أحداث الصلح ترتيباً زمنياً، كما استفاد من بعض الروايات الضعيفة المتوافقة مع الروايات الصحيحة - وفقاً للمنهج الذي بينه في رسالته المعروفة بـ «مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري» من أجل استكمال تفاصيل الحدث[2]، ولقد استفدت من ذلك الجهد الرائع، والترتيب المبدع، والتسلسل الجميل لمجريات الصلح.

أولاً - أهم مراحل الصلح:

المرحلة الأولى:

دعوة الرسول ﷺ للحسن بأن يصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين، فتلك الدعوة المباركة التي دفعت الحسن ﷺ إلى الإقدام على الصلح بكل ثقة وتصميم[3]، فقد قال ﷺ: «**إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»[4]، فلم تكن نبوءة رسول الله ﷺ عن الحسن بن علي أنه سيصلح الله به بين فئتين من المسلمين مجرد إنباء يسمعه الحسن والمسلمون ويصدقونه كالنبوءات النبوية الأخرى، بل كانت الكلمة الموجهة الرائدة للحسن بن علي ﷺ في اتجاهاته وتصرفاته ومنهج حياته، لا بدّ أنها حلّت

(1) مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، ص 125.
(2) المصدر السابق نفسه، ص 125.
(3) المصدر السابق نفسه، ص 1625.
(4) البخاري رقم: 7109.

في قرارة نفسه، واستولت على مشاعره، وامتزجت بلحمه ودمه، واعتبرها كوصيّة من الرسول ﷺ - وهو نبيه وجدُّه - وهو يتكلم بهذه الكلمات رأى السرور في أسارير وجهه، والبريق في عينيه ﷺ، فتمسك بها كهدف من أهداف حياته، وكالمثل الأعلى له في مستقبله.

وقد ظهرت آثار هذه النبوءة في جميع حركاته وسكناته، حتى في الحديث مع والده الكبير الذي يحبه حبّ الأبناء البَرَرَة للآباء العِظام الذين خصهم الله بمواهب ومناقب، قلّما يشاركهم فيها أفراد الأمة، وكان من أعرف الناس بها بحُكم البنوّة والصحبة، ويجلّه إجلال العارفين والمعجبين، وقد أشار على أبيه عليّ بن أبي طالب بعد مقتل عثمان أن يعتزل الناس إلى حيث شاء من الأرض حتى تثوب إلى العرب عوازب أحلامها، وقال له: لو كنت في جُحر ضَبّ لاستخرجوك منها فبايعوك دون أن تعرض نفسك لهم، ولما عزم عليٌّ على قتال أهل الشام، وعزم على التجهّز، وخرج من المدينة وهو عازم على أن يقاتل بمن أطاعه من عصاة، جاء إليه الحسن بن علي وقال: يا أبت دع هذا، فإن فيه سفك دماء المسلمين ووقوع الاختلاف بينهم[1].

ولكنّ علياً لم يقبل ما أشار به الحسن ولم يكن ليترك الناس في فتنة دون أن يؤدي ما يدين الله به من أمر بمعروف ونهي عن منكر، وردِّ الأمر إلى نصابه، والحقّ إلى أصحابه ولكُلٍّ وجهة هو موليها[2] وكان علي ﷺ مصيباً في رأيه، وقد ظهرت المعجزة النبوية، وبلغت ذروتها بتربية الحسن بن علي التربية الإسلامية الربانية، من كون هذا الإمام الفذّ سيداً جليلاً.

وليست السيادة بالقهر وسفك الدماء، أو إهدار الأموال والحرمات، بل السيادة بصيانتها وإزالة البغضاء والشحناء، فصلحه وحقنه لدماء المسلمين بلغ فيه ذروة السيادة، التي لا يستطيعها من فكر بالقوة وهو يملك طرفاً منها، وقد صالح الحسن معاوية وحوله الألوف فيهم من هو طامع مدسوس، ولكن فيهم الكثير الكثير من المخلصين الأوفياء، فما أراد أن تراق بسببه قطرة دم، أو يخدش مسلم في هذا السبيل، وإن الرئاسة للأقوام إن لم تكن لصيانتها، وحياطتها وحفظها، وترقيتها فهي نوع من الطاغوت الأعمى والتهور الأحمق، والمغامرة والمقامرة التي تجلب معها الدمار والخراب، والإذلال والسباب وينتهي أصحابها إلى غضب الله، ولعنة التاريخ، وهل تَدافَع أمواج الدماء البشرية عبر العصور والقرون إلا من الحرص على الرئاسة والسلطان والتكالب على الدنيا[3]؟!!.

---

(1) البداية والنهاية (7/ 229 - 230) نقلاً عن المرتضى للندوي، ص 198.

(2) المرتضى للندوي، ص 198.

(3) الدوحة النبوية الشريفة، ص 94.

لقد كان الحسن زاهداً في الدنيا والملك والرئاسة، ولو أرادها لأدار الحرب الطحون سنين وسنين، ولكنه كان ينظر إلى الدار الآخرة، ويريد حفظ دماء أمة محمد ﷺ. قال الحسن البصري: فلما ولي الحسن ما أهريق في سببه محجمة دم[1]. وكان يعلنها صريحة ويفتخر بذلك ويعتز بتنفيذه للوصية النبوية، وسلوكه مسلك التربية الإيمانية[2]، فقد أصلح الله بالحسن بين أهل العراق والأمة كلها، فجعل النبي ﷺ الإصلاح من فضائل الحسن، مع أن الحسن نزل عن الأمر وسلم الأمر إلى معاوية، فلو كان القتال هو المأمور به دون ترك الخلافة ومصالحة معاوية لم يمدحه النبي ﷺ على ترك ما أمر به وفعل ما لم يؤمر به، ولا مدحه على ترك الأولى وفعل الأدنى، فعلم أن الذي فعله الحسن هو الذي كان يحبه الله ورسوله لا القتال[3].

المرحلة الثانية:

شرط البيعة الذي وضعه الحسن ﷺ أساساً لقبوله مبايعة أهل العراق له، ذلك الشرط الذي نص على أنهم يسالمون من يسالم ويحاربون من يحارب[4]، فعن ميمون بن مهران، قال: إن الحسن بن علي بن أبي طالب بايع أهل العراق بعد علي على بيعتين، بايعهم على الإمرة، وبايعهم على أن يدخلوا فيما دخل فيه ويرضوا بما رضي به[5]، وفي رواية أخرى، من طريق خالد بن مُصرِّب، قال: سمعت الحسن بن علي يقول: والله لا أبايعكم إلا على ما أقول لكم قالوا: ما هو؟ قال: تسالمون من سالمت وتحاربون من حاربت[6]، ويستفاد من الروايتين ابتداء الحسن ﷺ في تبييته لنية الصلح قبل استخلافه، وذلك تحقيقاً منه لنبوءة المصطفى[7]، وأدخل الحسن ﷺ بشرطه في عقلية العراقيين بأن خيار السلم قابل للنقاش والأخذ والعطاء، وليس فيه إرادة السّلم على الحرب، فهو يشتمل عليهما معاً، وإن كان يوحي بالسلم وهذا دليل على عبقريته وحسن قيادته، ومعرفته بالأمور، كما أنه ﷺ تقدم للخلافة لما كانت مصلحة الإسلام والمسلمين في ذلك.

المرحلة الثالثة:

وقوع المحاولة الأولى لاغتيال الحسن ﷺ بعد أن كشف عن نيته في الصلح مع

(1) دلائل النبوّة للبيهقي (6/ 443) الدوحة النبوية الشريفة، ص 95.
(2) الدوحة النبوية الشريفة، ص 95.
(3) الفتاوى (28/ 300).
(4) مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، ص 156.
(5) الطبقات، تحقيق السُّلمي (1/ 316، 317) إسناده حسن.
(6) المصدر السابق نفسه (1/ 386، 387) إسناده صحيح.
(7) مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، ص 111.

معاوية ﷺ وهذه المحاولة يبدو أنها قد جرت بعد استخلافه بقليل، وهو ما أشارت إليه الروايات التالية: ما أخرجه ابن سعد في طبقاته من طريق أبي جميلة[1]: أن الحسن بن علي لما استخلف حين قتل علي، فبينما هو يصلي إذ وثب عليه رجل فطعنه بخنجر - وزعم حصين ابن عبد الرحمٰن السلمي أنه بلغه أن الذي طعنه رجل من بني أسد - وحسن ساجد، قال حصين: وعمي أدرك ذلك، قال: فيزعمون أن الطعنة وقعت في وركه، فمرض منها أشهراً ثم برئ، فقعد على المنبر فقال: يا أهل العراق اتقوا الله فينا، فإنا أمراؤكم وضيفانكم، أهل البيت الذين قال الله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: 33]. قال: فما زال يقول ذلك حتى ما رؤي أحد من أهل المسجد إلا وهو يخن[2] بكاء[3].

وما أخرجه ابن سعد في طبقاته من طريق هلال بن يساف[4]، قال: سمعت الحسن بن علي وهو يخطب وهو يقول: يا أهل الكوفة، اتقوا الله فينا فإنا أمراؤكم وإنا أضيافكم، ونحن أهل الست الذين قال الله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ قال: فما رأيت يوماً قط أكثر باكياً من يومئذٍ[5].

المرحلة الرابعة:

خروج الحسن ﷺ بجيش العراق من الكوفة إلى المدائن، وإرساله للقوة الضاربة من الجيش وهي شرطة الخميس إلى مسكن بقيادة قيس بن سعد بن عبادة[6]، وقد أشار ابن سعد في طبقاته إلى ذلك في الرواية التي أخرجها من طريق الشعبي، قال: بايع أهل العراق بعد علي ابن أبي طالب الحسن بن علي، ثم قالوا له: سر إلى هؤلاء القوم الذين عصوا الله ورسوله ارتكبوا العظيم وابتزوا[7] الناس أمورهم، فإنا نرجو أن يمكن الله منهم، فسار الحسن إلى أهل الشام، وجعل على مقدمته قيس بن سعد بن عبادة في اثني عشر ألفاً، وكانوا يسمون: شرطة الخميس[8].

من خلال الرواية السابقة يتضح أن أهل العراق هم الذين دفعوا الحسن ﷺ إلى

---

(1) مسرة بن يعقوب، أبو جميلة الطهوي الكوفي، ذكره ابن حبان في ثقاته (5/ 427).
(2) الخنين: البكاء في الأنف، القاموس المحيط، ص 1541.
(3) الطبقات، تحقيق السُّلمي (1/ 323).
(4) هلال بن يساف الأشجعي، أخرج له البخاري حديثه معلقاً، ومسلم والأربعة، التقريب، ص 576.
(5) الطبقات، تحقيق السُّلمي (1/ 381) إسناده صحيح.
(6) الطبقات، تحقيق السُّلمي (1/ 321).
(7) الابتزاز: أخذ الشيء بجفاء وقهر.
(8) الطبقات، تحقيق السُّلمي (1/ 319 - 321) إسناده لا بأس به.

الخروج لقتال أهل الشام من غير رغبة منه، وهذا الأمر قد أشار إليه ابن كثير ﷺ بقوله: ولم يكن في نية الحسن أن يقاتل أحداً، ولكن غلبوه على رأيه، فاجتمعوا اجتماعاً عظيماً لم يُسمع بمثله، فأمّر الحسن بن علي قيس بن سعد بن عبادة، على المقدمة في اثني عشر ألفاً بين يديه، وسار هو بالجيوش في أثره قاصداً بلاد الشام، فلما اجتاز بالمدائن نزلها وقدّم المقدمة بين يديه[1]، وقد أظهر الحسن حنكة كبيرة دلت على سعة أفقه ودهائه وبصيرته، عندما لم يشأ أن يواجه أهل العراق من البداية بميله إلى مصالحة معاوية وتسليمه الأمر، لأنه يعرف خفتهم وتهورهم، فأراد أن يقيم من مسلكهم الدليل على صدق نظرته فيهم، وعلى سلامة ما اتجه إليه، فوافقهم على المسير لحرب معاوية وعبأ جيشه[2]، وكان خروج الحسن بن علي من الكوفة إلى المدائن - على ما رجحه الدكتور خالد الغيث - في شهر صفر من السنة التالية وهي سنة 41هـ[3].

المرحلة الخامسة:

خرج معاوية ﷺ من الشام وتوجه إلى العراق بعد أن وصل خبر خروج الحسن من الكوفة إلى المدائن بجيوشه، يقول ابن سعد في طبقاته: وأقبل معاوية في أهل الشام يريد الحسن حتى نزل جسر منيح[4]. ثم أضاف قائلاً: فأقبل من جسر منيح إلى مسكن في خمسة أيام وقد دخل يوم السادس[5]، وقد تأخر خروج معاوية وكان ذلك بعد سماعه لخروج الحسن بجيوشه، وكان معاوية قد أصيب إصابة بليغة من جراء محاولة الاغتيال التي تعرض لها من قبل الخارجي البرك بن عبد الله التميمي، حين خرج لصلاة الفجر، وهي المحاولة التي نفذت في نفس فجر اليوم الذي اغتيل فيه علي ﷺ، وهو فجر اليوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان سنة 40هـ على الصحيح المشهور من الأقوال[6].

وقد أشار الخلّال إلى شدة إصابة معاوية ﷺ في الرواية التي أخرجها من طريق جندب قال: كنا مع سعد بن أبي وقاص في ركب فنزل سعد ونزلت واغتنمت نزوله قال: فجعلت أمشي إلى جانبه، فحمدت الله وأثنيت عليه وقلت: إن معاوية طعن طعناً بيّناً لا أراها إلا قاتلته، وإن الناس[7] قاتلون بقية أصحاب الشورى، وبقية أصحاب رسول الله ﷺ، فأنشدك الله إن وليت شيئاً من أمرهم أن تشق عصاهم وأن تفرق جمعهم، أو تدعوهم إلى أمر مهلكة.

(1) البداية والنهاية (11/ 132).
(2) العالم الإسلامي في العصر الأموي، د. عبد الشافي محمد، ص 101.
(3) مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، ص 130.
(4) جسر منيح: قرية في الجزيرة الفراتية، الطبقات، السّلمي (1/ 321).
(5) الطبقات، تحقيق السُّلمي (1/ 323). (6) البداية والنهاية (11/ 131).
(7) يقصد الخوارج.

فحمد سعد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فوالله لا أشق عصاهم ولا أُفَرِّق جمعهم، ولا أدْعُهُم إلى أمر هلكة حتى يأتوني بسيف يقول: يا سعد هذا مؤمن فدعه، وهذا كافر فاقتله[1].

وبينما الحسن في المدائن، إذ نادى مناد من أهل العراق: إن قيساً قد قتل، فسرت الفوضى في الجيش، وعادت إلى أهل العراق طبيعتهم في عدم الثبات، فاعتدوا على سرادق الحسن ونهبوا متاعه حتى أنهم نازعوه بساطاً كان تحته، وطعنوه وجرحوه، وهنا حدثت حادثة لها دلالة كبيرة فقد كان والي المدائن من قبل علي: سعد بن مسعود الثقفي، فأتاه ابن أخيه المختار بن أبي عبيد بن مسعود، وكان شاباً، فقال له: هل لك في الغنى والشرف؟ قال: وما ذاك؟ قال: توثق الحسن، وتستأمن به إلى معاوية، فقال له عمه: عليك لعنة الله، أثب على ابن بنت رسول الله ﷺ، فأوثقه؟ بئس الرجل أنت[2]، فلما رأى الحسن صنع أصحابه أيقن أنه لا فائدة منهم، ولا نصر يرجى على أيديهم، وهذه كانت قناعته من البداية[3]، فدفعه ذلك إلى قطع خطوات أوسع والاقتراب أكثر من الصلح.

المرحلة السادسة:

تبادل الرسل بين الحسن ومعاوية، ووقوع الصلح بينهما رضوان الله عليهما، فقد سجل الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه تلك اللحظات الحرجة من تاريخ الأمة المسلمة حين التقى الجمعان، جمع أهل الشام وجمع أهل العراق، وذلك في الرواية التي أخرجها من طريق الحسن البصري، قال: استقبل - والله - الحسن بن علي معاويةَ بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو بن العاص: إني لأرى كتائب لا تولي حتى تقتل أقرانها، فقال له معاوية - وكان والله خير الرجلين -: أي عمرو، وإن قتل هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء، من لي بأمور الناس، مَنْ لي بنسائهم، من لي بضيعتهم[4]؟ فبعث إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس - عبد الرحمٰن بن سمرة، وعبد الله بن عامر بن كريز فقال: اذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه وقولا له واطلبا إليه. فأتياه، فدخلا عليه، فتكلما، وقالا له، وطلبا إليه.

فقال لهما الحسن بن علي: إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال[5]، وإن هذه

---

(1) السنة للخلال، تحقيق د. الزاهراني، ص 474، 475، إسناده صحيح.

(2) تاريخ الطبري (5/ 159) نقلاً عن: العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص 101.

(3) العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص 101.

(4) قال ابن حجر رحمه الله: يشير - يقصد معاوية - إلى أن رجال العسكرين معظم من في الإقليمين، فإذا قتلوا ضاع أمر الناس وفسد حالهم بعدهم وذراريهم، والمراد بقوله: ضيعتهم: الأطفال والضعفاء سمّوا بما يؤول إليه أمرهم، لأنهم إذا تركوا ضاعوا لعدم استغلالهم بأمر المعاش.

(5) أي: فرقنا منه في حياة علي وبعده ما رأينا في ذلك صلاحه، فنبه على ذلك خشية أن يرجع عليه بما تصرف فيه: الفتح (13/ 70، 69).

الأمة قد عاثت في دمائها، قالا: فإنه يعرض عليك كذا وكذا، ويطلب إليك ويسألك، قال: فمن لي بهذا[1]؟ قالا: نحن لك به[2]، فما سألهما شيئاً إلا قالا: نحن لك به، فصالحه فقال الحسن - أي البصري -: ولقد سمعت أبا بكرة يقول: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر - والحسن بن علي إلى جنبه - وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول: «**إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»[3]، وقد تحدث ابن حجر رحمه الله عن الفوائد المستنبطة من رواية الصلح فقال:

1) وفي هذه القصة من الفوائد علم من أعلام النبوة.

2) ومنقبة للحسن بن علي، فإنه ترك الملك لا لقلة، ولا لذلة، ولا لعلة، بل لرغبته فيما عند الله لما رآه من حقن دماء المسلمين، فراعى مصلحة الدين ومصلحة الأمة.

3) وفيها رد على الخوارج الذين كانوا يكفرون علياً ومن معه، ومعاوية ومن معه، بشهادة النبي ﷺ بالطائفتين بأنهم من المسلمين.

4) وفيها فضيلة الإصلاح بين الناس، ولا سيما في حقن دماء المسلمين.

5) ودلالة على رأفة معاوية بالرعية، وشفقته على المسلمين، وقوة نظره في تدبير الملك، ونظره في العواقب.

6) وفيه ولاية المفضول الخلافة مع وجود الأفضل؛ لأن الحسن ومعاوية ولي كل منهما الخلافة، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد في الحياة وهما بدريان.

7) وفيه جواز خلع الخليفة نفسه، إذا رأى في ذلك صلاحاً للمسلمين، والنزول عن الوظائف الدينية والدنيوية بالمال، وجواز أخذ المال على ذلك وإعطائه، بعد استيفاء شرائطه، بأن يكون المنزول له أولى من النازل، وأن يكون المبذول من مال الباذل، فإن كان في ولاية عامة وكان المبذول من بيت المال اشترط أن تكون المصلحة في ذلك عامة[4].

كما أخرج ابن سعد رحمه الله رواية لا تقل أهمية عن رواية البخاري في الصلح، وتعد مكملة لها، وهي من طريق عمرو بن دينار[5]: إن معاوية كان يعلم أن الحسن أكره الناس للفتنة؛ فلما

(1) أي: من يضمن لي الوفاء من معاوية، الفتح (13/ 70).
(2) أي: نحن نضمن، لأن معاوية كان فوض لهما ذلك، الفتح (13/ 70).
(3) البخاري رقم: 7109.
(4) فتح الباري (13/ 72، 71).
(5) عمرو بن دينار المكي الجمحي مولاهم، ثقة ثبت، من الطبقة الرابعة، مات 126هـ، أخرج له الستة، التقريب، ص 421.

توفي علي بعث إلى الحسن، فأصلح الذي بينه وبينه سراً، وأعطاه معاوية عهداً إن حدث به حدث والحسن حي ليُسَمِّيَنَّه[1]، وليجعلن هذا الأمر إليه، فلما توثق منه الحسن، قال ابن جعفر[2]: والله إني لجالس عند الحسن إذ أخذت لأقوم فجذب بثوبي وقال: اقعد ياهَناه[3]، واجلس، فجلست قال: إني قد رأيت رأياً وأحب أن تتابعني عليه قال: قلت: ما هو؟ قال: قد رأيت أن أعمد إلى المدينة فأنزلها وأخلي بين معاوية وبين هذا الحديث، فقد طالت الفتنة، وسقطت فيها الدماء، وقطعت فيها الأرحام، وقطعت السبل، وعُطِّلت الفروج - يعني الثغور - فقال ابن جعفر: جزاك الله عن أمة محمد، فأنا معك على هذا الحديث.

فقال الحسن: ادع لي الحسين، فبعث إلى الحسين فأتاه فقال: يا أخي قد رأيت رأياً وإني أحب أن تتابعني عليه، قال: ما هو؟ قال: فقص عليه الذي قال لابن جعفر قال الحسين: أعيذك بالله أن تكذب علياً في قبره، وتصدق معاوية. قال الحسن: والله ما أردت أمراً قط إلا خالفتني إلى غيره، والله لقد هممت أن أقذفك في بيت فأطينه عليك حتى أقضي أمري. قال: فلما رأى الحسين غضبه قال: أنت أكبر ولد علي، وأنت خليفته، وأمرنا لأمرك تبع، فافعل ما بدا لك[4]. ويلاحظ على روايتي البخاري وابن سعد اتفاقهما على أن معاوية ﷺ كان صاحب المبادرة في الاتصال بالحسن ﷺ وعرض الصلح عليه[5].

* مَنِ المُبادر إلى الصلح: الحسن أم معاوية؟

وهنا قد يسأل سائل: من المبادر إلى الصلح، أهو الحسن ﷺ - الذي ورد حديث الرسول في الصلح بحقه، والذي كاد أن يقتل في المحاولة الأولى لاغتياله بسبب شرط البيعة الذي اشترطه على أهل العراق، والذي يفهم منه عزمه على صلح معاوية - أم معاوية ﷺ؟

وجواب ذلك: أن الرغبة في الصلح كانت موجودة لدى الطرفين، فقد سعى الحسن ﷺ إلى الصلح، وخطط له منذ اللحظات الأولى لمبايعته، ثم جاء معاوية فأكمل ما بدأه الحسن، فكان عمل كل واحد منهما مكملاً للآخر رضوان الله عليهم أجمعين[6]، والقدح المعلَّى في السعي في نجاح الصلح للحسن ﷺ.

---

(1) أي يرشحه للخلافة من بعده، وعندما نتعرض لشروط الصلح، بإذن الله، سوف نبين أن الأمر الذي استقر هو أن يكون بعد وفاة معاوية شورى بين المسلمين.

(2) أي: عبد الله بن جعفر.

(3) ياهَناه: يا رجل.

(4) الطبقات، تحقيق السُّلمي (1/ 331،330).

(5) مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، ص 138.

(6) مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، ص 141.

المرحلة السابعة:

* محاولة أخرى لاغتيال الحسن رضي الله عنه:

بعد نجاح مفاوضات الصلح بين الحسن ومعاوية رضي الله عنهما، شرع الحسن رضي الله عنه في تهيئة نفوس أتباعه على تقبل الصلح الذي تم، فقام فيهم خطيباً ليبين لهم ما تم بينه وبين معاوية، وفيما هو يخطب هجم عليه بعض معسكره محاولين قتله، لكن الله سبحانه وتعالى أنجاه كما أنجاه من قبل، وقد أورد البلاذري خطبة الحسن التي ألقاها في أتباعه، ومحاولة قتله رضي الله عنه فقال:

إني أرجو الله أن أكون أنصح خلقه لخلقه، وما أنا محتمل على أحد ضغينة، ولا حقداً، ولا مريداً به غائلة، ولا سوءاً، ألا وإن ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة، ألا وإني ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم، فلا تخالفوا أمري، ولا تردوا علي، غفر الله لي ولكم.

فنظر بعض الناس إلى بعض وقالوا: عزم والله على صلح معاوية، وضعف وخار، وشدوا على فسطاطه، فدخلوا عليه، انتزعوا مصلاه من تحته، وانتهبوا ثيابه، ثم شد عليه عبد الرحمٰن بن عبد الله بن أبي جعال الأزدي، فنزع مطرفه[1]، عن عاتقه، فبقي متقلداً سيفه فَدُهِش ثم رجع ذِهْنُهُ، فركب فرسه، وأطاف به الناس، فبعضهم يعجزه ويضعفه، وبعضهم ينحي أولئك منه، ويمنعهم منه.

وانطلق رجل من بني أسد بن خزيمة من بني نضر بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان ابن أسد، يقال له: الجراح بن سنان[2] - وكان يرى رأي الخوارج - على مظلم ساباط[3]، فقعد له فيه ينتظره، فلما مر الحسن، ودنا من دابته فأخذ بلجامها، ثم أخرج معولاً[4]، وكان معه وقال: أشركت يا حسن كما أشرك أبوك من قبل، وطعنه بالمعول في أصل فخذه، فشق في فخذه شقاً كاد يصل إلى العظم، وضرب الحسن وجهه، ثم اعتنقا وخرا إلى الأرض، ووثب عبد الله بن الخضل الطائي[5]، فنزع المعول من يد الجراح، وأخذ ظبيان بن عمارة

(1) مطرفه: أي: رداءه، الفيروز أبادي القاموس المحيط 1075.

(2) الجراح بن سنان الأسدي له سابقة في الشر، حيث كان من الذين بهتوا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وسعوا في عزله في الكوفة أيام خلافة عمر، فدعا عليهم سعد، فكان له من سوء الخاتمة نصيب، الطبري (4/ 141).

(3) ساباط المدائن: موضع على الضفة الغربية لنهر دجلة، ومظلم موضع هناك، معجم البلدان (3/ 166) (5/ 152).

(4) معولاً: حديدة ينقر بها الصخر، القاموس المحيط، ص 1340.

(5) عبد الله بن الخضل الطائي، قائد التوابين الذين طالبوا بدم الحسين 65هـ.

التميمي[1] بأنفه فقطعه، وضرب بيده إلى قطعة آجرة فشدخ بها وجهه ورأسه حتى مات، وحُمل الحسن إلى المدائن. . . ثم إن سعد بن مسعود أتى الحسن بطبيب، وقام عليه حتى برِي وحوّله إلى أبيض المدائن[2] [3].

وقد يعترض بشأن خطبة الحسن ﷺ وأنها وردت عند البلاذري وأبي حنيفة الدينوري قبل صلح الحسن ومعاوية ﷺ.

وجواب ذلك: أن ما ورد في رواية البخاري من وصف لجيش الحسن، يفيد قوة جيش الحسن وتماسكه، مما يعني أن جيش العراق قد قابل جيش الشام وهو في أحسن حالاته المادية والمعنوية، وحيث إن جيش أهل العراق قد اضطرب حاله بعد خطبة الحسن، فإن هذا يعني انتفاء مقابلة جيش العراق لجيش الشام بعد الخطبة، لذا فإن الأقرب للواقع أن خطبة الحسن في معسكره كانت بعد التقاء الجيشين العراقي والشامي، وبعد وقوع الصلح بين الحسن ومعاوية ﷺ [4]، هذا بالإضافة إلى أن خطبة الحسن هذه كانت مدخلاً وتمهيداً منه ﷺ لإخبار أتباعه بالصلح الذي تم بينه وبين معاوية، وهذا ما تبينه الروايات التالية:

ما أخرجه ابن سعد من طريق رياح بن الحارث[5]: إن الحسن بن علي قام بعد وفاة علي ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن كل ما هو آت قريب، وإن أمر الله واقع، وإن كره الناس، وإني والله ما أحببت أن ألي من أمر أمة محمد ما يزن مثقال حبة من خردل يهراق فيه محجمة من دم، قد علمت ما يضرني مما ينفعني فالحقوا بطيتكم[6] [7]، وقد يقول قائل: إن هذه الرواية قد قيلت في الكوفة وليست في المدائن، والجواب على ذلك: أن أحمد بن حنبل أخرج الرواية نفسها من طريق رياح بن الحارث وبإسناد صحيح[8]، وفيها: أن الناس اجتمعوا إلى الحسن بن علي بالمدائن[9]. . ثم ذكر بقية رواية ابن سعد، وحيث إن هذه الخطبة قد قيلت في المدائن فإن الأرجح أنها قيلت بعد صلح الحسن مع معاوية ﷺ - حيث يرد بشأنها ما

(1) ظبيان بن عمارة، يروي عن علي، من تابعي أهل الكوفة.
(2) يسمى القصر الأبيض، يقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة، الروض المعطار، ص 9.
(3) أنساب الأشراف للبلاذري، مخطوطة، نقلاً عن مرويات خلافة معاوية، ص 142.
(4) مرويات خلافة معاوية ﷺ، ص 142.
(5) رياح بن الحارث: ثقة، التقريب، ص 211.
(6) بطيتكم: أي بوجهتكم، لسان العرب (15/ 2).
(7) الطبقات، تحقيق السلمي (1/ 317).
(8) فضائل الصحابة (2/ 773).
(9) فضائل الصحابة (2/ 773) إسناده، صحيح.

ورد بشأن خطبة الحسن التي عند البلاذري - بل لعلها كانت جزءاً من خطبة الحسن التي أوردها البلاذري، وأسفرت عن اضطراب معسكر الحسن.

وقد بقيت الإشارة إلى موقف الحسن ﷺ تجاه ما حصل له في معسكره وهو ما أخرجه ابن سعد من طريق هلال بن خباب[1]، قال: جمع الحسن بن علي رؤوس أصحابه في قصر المدائن، فقال: يا أهل العراق، لو لم تذهل نفسي[2] عنكم إلا لثلاث خصال لذهلت: مقتلكم أبي، ومطعنكم بغلتي، وانتهابكم ثقلي، أو قال: ردائي عن عاتقي، وإنكم قد بايعتموني أن تسالموا من سالمت وتحاربوا من حاربت، وإني قد بايعت معاوية فاسمعوا له وأطيعوا، قال: ثم نزل فدخل القصر[3].

1 - موقف شرطة الخميس من الصلح:

أما موقف شرطة الخميس - وهم مقدمة جيش العراق إلى مسكن - من الصلح، فقد أخرج الحاكم عن أبي الغَريف[4]، قال: كنا في مقدمة جيش الحسن بن علي اثني عشر ألفاً، تقطر أسيافنا من الحدة على قتال أهل الشام، وعلينا أبو العمَّرطة[5]، فلما أتانا صلح الحسن ابن علي ومعاوية كأنّما كسرت ظهورنا من الحَرَد[6] والغيظ، فلما قدم الحسن بن علي على الكوفة، قام إليه رجل منا يكنّى أبا عامر سفيان بن الليل[7]؟ فقال: السلام عليك يا مذل المؤمنين، فقال الحسن: لا تقل ذلك يا أبا عامر، لم أذل المؤمنين، ولكني كرهت أن أقتلهم في طلب الملك[8]. ويبدو أن أبا العمرطة كان أميراً على مجموعة من جيش الخميس في المقدمة، وكان فيهم أبو الغريف، لأنه من الثابت أن جيش الخميس كان عليه قيس بن سعد ﷺ، كما أن الروايات الصحيحة لا تذكر أي وجود لعبيد الله بن العباس على جيش الخميس، مما يثير الشك حول وجود عبيد الله بن العباس في العراق في هذه الفترة[9]، ولا

(1) هلال بن خباب العبدي، ، صدوق، التقريب؛ 575.
(2) تذهل نفسي: تسلو نفسي، لسان العرب (11/ 259).
(3) الطبقات، تحقيق السُّلمي (1/ 324).
(4) عبيد الله بن خليفة الهمداني المرادي، ، صدوق، رمي بالتشيع، التقريب: 370.
(5) اسمه عمير بن يزيد الكندي، شارك في حركة حجر بن عدي سنة 51هـ، تاريخ الطبري (5/ 259)، مرويات معاوية، ص 146.
(6) الحَرَد: الغضب. القاموس المحيط، ص 353.
(7) من الذين شاركوا المختار الثقفي في الطلب بدم الحسين 66هـ.
(8) المستدرك (3/ 175).
(9) مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، ص 114.

يلتفت إلى الروايات الساقطة والموضوعة التي تزعم أن عبيد الله خان الحسن مقابل رشاوي مالية من معاوية.

أما قيس بن سعد فقد تردد في الدخول في الصلح، واعتزل بما أطاعه ثم شرح الله صدره، ودخل في الصلح وبايع معاوية رضوان الله عليهم أجمعين، وفي الروايات التالية بيان موقف قيس حين جاءه خبر الصلح، أخرج ابن حجر من طريق حبيب بن أبي ثابت[1]، أنه قال: . . فبعث الحسن بالبيعة إلى معاوية، فكتب بذلك الحسن إلى قيس بن سعد، فقام قيس ابن سعد في أصحابه فقال: يا أيها الناس، أتاكم أمران، لابد لكم من أحدهما: دخول في الفتنة، أو قتل مع غير إمام، فقال الناس: ما هذا؟ فقال: الحسن بن علي، قد أعطى البيعة معاوية، فرجع الناس، فبايعوا معاوية[2].

تشير الرواية السابقة إلى دخول قسم كبير من شرطة الخميس في الصلح فور سماعهم نبأ وقوع الصلح بين الحسن ومعاوية ﷺ، ولكنها لا تذكر دخول قائدهم قيس بن سعد في الصلح، وقد أشار ابن كثير رحمه الله إلى ذلك بقوله: وبعث الحسن بن علي إلى أمير المقدمة قيس ابن سعد: أن يسمع ويطيع، فأبى قيس بن سعد قبول ذلك، وخرج من طاعتهما جميعاً، واعتزل بمن أطاعه، ثم راجع الأمر، فبايع معاوية[3]، كما تحدث ابن أبي شيبة عن موقف قيس بن سعد ﷺ - ومن تابعه من شرطة الخميس - من الصلح، فقال: عن هشام بن عروة عن أبيه، قال: كان قيس بن سعد بن عبادة مع الحسن بن علي ﷺ على مقدمته، ومعه خمسة آلاف قد حلقوا رؤوسهم بعدما مات علي بن أبي طالب ﷺ، وتبايعوا على الموت، فلما دخل الحسن في بيعة معاوية أبى قيس أن يدخل، وقال لأصحابه: ما شئتم، إن شئتم جالدت بكم حتى يموت الأعجل منا، وإن شئتم أخذت لكم أماناً، فقالوا: خذ لنا أماناً، فأخذ لهم كذا وكذا، وألا يعاقبوا بشيء، وأنه رجل منهم، ولم يأخذ لنفسه خاصة شيئاً، فلما ارتحل نحو المدينة ومضى بأصحابه جعل ينحر لهم كل يوم جزوراً حتى بلغ[4]، وفي الرواية السابقة - على ما فيها من تقديم وتأخير في تسلسل الأحداث - إشارة لعدد الذين تابعوا قيساً من المجموع الكلي لتعداد شرطة الخميس الذي هو اثنا عشر ألفاً[5].

(1) حبيب بن أبي ثابت بن دينار الأسدي، التقريب: 150.
(2) المطالب العلية (4/ 317 - 319) هذا الإسناد صحيح.
(3) البداية والنهاية (8/ 16).
(4) البداية والنهاية (8/ 16).
(5) مصنف ابن أبي شيبة (7/ 472).

2 - مواقف أمراء علي ﷺ من الصلح:

اتسمت مواقف أمراء علي ﷺ من الصلح بالتباين والتفاوت، حيث قبله بعضهم وكرهه بعضهم الآخر، وفيما يلي تبيان لتلك المواقف:

أ - موقف القبول والاستحسان، ويأتي في مقدمة هؤلاء: عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ﷺ.

ب - موقف الرفض ثم القبول، ويأتي في مقدمة هؤلاء قيس بن سعد بن عبادة ﷺ، وزياد بن أبيه.

ج - وهناك فريق ثالث دخل في الصلح وهو كاره له، هؤلاء ينقسمون إلى قسمين:

- قسم يرى أن الصلح ملزم له في ظل حياة الحسن ﷺ فقط، ويمثل هؤلاء حجر بن عدي ﷺ.
- قسم يرى أن الصلح ملزم له في ظل حياة الحسن ومعاوية ﷺ، أو الآخر موتاً منهما، ويمثل هؤلاء الحسين بن علي ﷺ.

المرحلة الثامنة:

تنازل الحسن بن علي عن الخلافة، وتسليمه الأمر إلى معاوية رضوان الله عليهم أجمعين، بعد أن أنجى الله ﷻ الحسن بن علي من الفتنة التي وقعت في معسكره، ترك المدائن وسار إلى الكوفة، وقد تحدث البلاذري عن مسير الحسن إلى الكوفة فقال: قالوا: ولما أراد الحسن المسير من المدائن إلى الكوفة، حين جاءه ابن عامر[1]، وابن سمرة[2]، بكتاب الصلح، وقد أعطاه فيه معاوية ما أراد، خطب فقال في خطبته: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 19] وسار إلى الكوفة[3]، بعد ذلك سار معاوية ﷺ من مسكن إلى النخيلة[4]، وفي ذلك يقول البلاذري: قالوا: وشخص معاوية من مسكن إلى الكوفة ونزل بين النخيلة، ودار الرزق[5]. ثم خرج الحسن ﷺ من الكوفة إلى النخيلة ليقابل معاوية ﷺ ويسلم الأمر له، فعن مجالد[6]، عن الشعبي[7]، قال: شهدت الحسن بن علي ﷺ بالنخيلة حين صالحه معاوية ﷺ، فقال معاوية: إذا كان ذا فقم فكلم وأخبر الناس

(1) هو عبد الله بن عامر ﷺ. (2) هو عبد الرحمن بن سمرة.
(3) أنساب الأشراف، مخطوط: 447، نقلاً عن مرويات خلافة معاوية، ص 150.
(4) النخيلة: موضع قرب الكوفة على سمت الشام، معجم البلدان (5/ 278).
(5) أنساب الأشراف، نقلاً عن: مرويات خلافة معاوية، ص 150.
(6) مجالد بن سعيد الهمذاني، فيه كلام.
(7) عامر الشعبي، ثقة.

أنك قد سلمت هذا الأمر لي، وربما قال معاوية: أخبر الناس بهذا الأمر الذي تركته لي، فقام فخطب على المنبر فحمد الله وأثنى عليه - قال الشعبي: وأنا أسمع - ثم قال: أما بعد، فإن أكيس الكيس[1] التُّقى، وإن أحمق الحمق الفجور، وإن هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية إما كان حقاً لي تركته لمعاوية إرادة صلاح هذه الأمة وحقن دمائهم، أو يكون حقاً كان لامرئ كان أحق به مني ففعلت ذلك ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾[2] [الأنبياء: 111].

كما أخرج هذه الرواية ابن سعد[3]، والحاكم[4]، وأبو نعيم الأصفهاني[5]، والبيهقي[6]، وابن عبد البر[7]، كلهم بنحو رواية الطبراني من طريق الشعبي، كذلك أخرج رواية البيعة أحمد ابن حنبل من طريق أنس بن سيرين، قال: قال الحسن بن علي يوم كلم معاوية: «ما بين جابلص وجابلق[8] رجل جده نبي غيري، وإني رأيت أن أصلح بين أمة محمد ﷺ، وكنت أحقهم بذاك، ألا إنا قد بايعنا معاوية ولا أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين»[9].

وجاء في رواية ابن سعد من طريق عمرو بن دينار، وفيها: . . فقال الحسن فقال: أيها الناس، إني كنت أكره الناس لأول هذا الحديث، وأنا أصلحت آخره لذي حق أديت إليه حقه أحق به مني، أو حق جدت به لصلاح أمة محمد، وإن الله قد ولاك يا معاوية هذا الحديث لخير يعلمه عندك أو لشر يعلمه فيك ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ [الأنبياء: 111] ثم نزل. وأما الرواية التي تشير أن عمرو بن العاص وأبو الأعور السُّلمي قالوا لمعاوية لما بايع الحسن بن علي معاوية قالوا له: لو أمرت الحسن فصعد المنبر فتكلم، عيي[10] عن المنطق فيزهد فيه الناس، فقال معاوية: لا تفعلوا، فوالله لقد رأيت رسول الله ﷺ يمصُّ لسانه وشفته، ولن يَعْيَ لسان مصه النبي ﷺ أو شفتين، فأبوا على معاوية، فصعد الحسن المنبر فحمد الله وأثنى عليه. . فهذه رواية باطلة من حيث الإسناد والمتن، فإسنادها ضعيف ومتنها منكر[11] وليس معاوية بمن يجهل القدرات البلاغية والخطابية للحسن.

---

(1) أكيس: أعقل، والكيس العقل، لسان العرب (16/ 201).
(2) المعجم الكبير (3/ 26) إسناده حسن.
(3) الطبقات، تحقيق السُّلمي (1/ 329).
(4) المستدرك (3/ 175).
(5) حلية الأولياء (2/ 37).
(6) دلائل النبوة (6/ 444).
(7) الاستيعاب (1/ 388 - 389).
(8) جابلص وجابلق: مدينتان، أحدهما بالمشرق والأخرى بالمغرب.
(9) فضائل الصحابة (2/ 769) إسناده صحيح.
(10) عيي: العِيُّ: خلاف البيان، وعيي في المنطق عيا: أي حصر في الكلام، فلم يستطع البيان، لسان العرب (5/ 112 - 113).
(11) الطبقات، تحقيق السلمي (1/ 325) إسناده ضعيف ومتنه منكر.

وجاء في رواية البلاذري أن الحسن دخل بقيس على معاوية ليبايعه، فعن جرير بن حازم، قال: سمعت محمد بن سيرين يقول: لما بايع الحسن معاوية، ركب الحسن إليه إلى عسكره، وأردف قيس بن سعد بن عبادة خلفه، فلما دخلا المعسكر، قال الناس: جاء قيس، جاء قيس، فلما دخلا على معاوية، بايعه الحسن، ثم قال لقيس: بايع. فقال قيس بيده: هكذا. وجعلها في حجره ولم يرفعها إلى معاوية، ومعاوية على السرير، فبرك معاوية على ركبتيه، ومدّ يده حتى مسح على يد قيس، وهي في حجره قال - جرير بن حازم -: وحكى لنا محمد ابن سيرين صنيعه، وجعل يضحك، وكان قيس رجلاً جسيماً[1].

وبتنازل الحسن بن علي عن الخلافة ومبايعته معاوية رضوان الله عليهم أجمعين تنتهي بذلك فترة خلافة النبوة وهي ثلاثون سنة، والحجة في ذلك قول الرسول ﷺ: «**خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله الملك، أو ملكه من يشاء**»[2]، وقال ﷺ: «**الخلافة في أمتي ثلاثون سنة، ثم ملك بعد ذلك**»[3]. وقد علق ابن كثير على هذا الحديث فقال: وإنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي، فإنه نزل عن الخلافة لمعاوية في ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين، وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله ﷺ، فإنه توفي في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وهذا من دلائل النبوة صلوات الله وسلامه عليه وسلّم تسليماً[4]، وبذلك يكون الحسن بن علي رضي الله عنه خامس الخلفاء الراشدين[5].

- أهم أسباب ودوافع الصلح:

كانت هناك عوامل وأسباب متعددة ساهمت في دفع أمير المؤمنين الحسن للصلح مع معاوية رضي الله عنه فمنها:

أولاً: الرغبة فيما عند الله وإرادة صلاح هذه الأمة:

قال الحسن بن علي رضي الله عنه رداً على نفير الحضرمي عندما قال له: إن الناس يزعمون أنك تريد الخلافة. فقال: كانت جماجم العرب بيدي، يسالمون من سالمت، ويحاربون من حاربت، فتركتها ابتغاء وجه الله[6]، وقال في خطبته التي تنازل فيها لمعاوية: ... إما كان

(1) أنساب الأشراف، نقلاً عن: مرويات خلافة معاوية، ص 154، إسناده صحيح.
(2) سنن أبي داود مع شرح عون المعبود (12/ 259)، صحيح سنن أبي داود الألباني (3/ 879).
(3) سنن الترمزي مع شرحها، تحفة الأحوذي (6/ 395 - 397) قال الترمذي: هذا حديث حسن، صحيح.
(4) البداية والنهاية (8/ 6).
(5) مآثر الإنافة للقلقشندي (1/ 105)، مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، ص 155.
(6) البداية والنهاية (11/ 206).

حقاً لي تركته لمعاوية إرادة صلاح هذه الأمة[1].

إن استحضار الحسن ﷺ إرادة وجه الله تعالى وتقديم ذلك، والحرص على إصلاح ذات البين من أسباب الصلح ودوافعه عند الحسن بن علي ﷺ، فمكانة الصلح في الإسلام عظيمة، وهو من أجلّ الأخلاق الاجتماعية، إذ به يرفع الخلاف وينهي المنازعة التي تنشأ بين المتعاملين مادياً أو اجتماعياً، ويعود بسببه الوُدُّ والإخاء بين المتنازعين، لكونه يرضي طرفي النزاع ويقطع دابر الخصام، ولذلك كان الصلح من أسمى المطالب الشرعية لتحقق به الأخوة التي ينشدها لهم ويصفهم بها، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: 10] وهي الأخوة التي يذهبها الخلاف والتنازع فيما بينهم[2]. ولذلك اعتنى القرآن الكريم بالصلح كثيراً، أمراً به، وترغيباً فيه، وتنويهاً به وبأهله، وإليك البيان:

1 - الأمر بالإصلاح:

ففي مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 1].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات: 9، 10].

فترى أن الله تعالى أمر عباده بأن يصلحوا ذات بينهم لما بينهم من الإخاء، كما صرح به في آية الحجرات حيث قال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ إذ بيَّنت هذه الآية علّة الأمر بالإصلاح بين المؤمنين بصيغة القصر، المفيدة لحصر حالهم في حال الأخوة، مبالغة في تقرير هذا الحكم بين المسلمين، لما بينهم من انتساب إلى أصل واحد وهو الإيمان الذي هو منشؤه البقاء الأبدي في الجنات، فأشارت جملة: «إنما المؤمنون إخوة» إلى وجوب الإصلاح بين المؤمنين، . . . ومن هذه الأوامر القرآنية يُعلم أن الإصلاح بين الناس ليس من نافلة القول، بل هو تكليف إلٰهي للقادرين عليه، حتى لا تفسد أواصر الأخوة الإيمانية بين المؤمنين، وهو مع ذلك من التعاون على البر والتقوى، ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذيْن أمر الله تعالى بهما في غير ما آية، ومعلوم أن هذين من الواجبات الشرعية التكليفية على المؤمنين في علاقتهم الاجتماعية، فكل هذه الأمور تحتم على المسلم القيام

(1) المعجم الكبير للطبراني (3/ 26) إسناده حسن.

(2) أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة (2/ 969).

بالإصلاح بين المسلمين بل وبين الناس عامّة، ولتستقر الحياة الاجتماعية عامرة بالود والإخاء[1]، كانت هذه الأوامر دافعة للحسن بن علي رضي الله عنهما للسعي في الإصلاح.

2 - الترغيب في القيام بالإصلاح:

ولقد رتب الله تعالى على القيام به فضلاً كبيراً وأجراً عظيماً، يناله القائم بذلك ابتغاء مرضات الله تعالى، كما قال الله جل شأنه: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 114]. ووعد القائمين به بمغفرته ورحمته، كما يفيده قول الله جل ذكره: ﴿وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: 129] فإن في هذه الآية إشارة إلى مغفرة الله ورحمته للمصلحين، كما أذن به ختم الآية بصفتي المغفرة والرحمة لله سبحانه وتعالى[2]، ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: 182]، فإن فيها من الإشارة إلى مغفرته ورحمته سبحانه للمصلح ما في سابقتها، بدلالة نفي الإثم، وتذييلها بصفتي المغفرة والرحمة، وهي إشارة جليَّة[3]، وقد وصف سبحانه نفسه بقوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: 170].

3 - التنويه بالصلح والقائمين عليه:

وتكرار هذا الوعد يدل على علو شأن الإصلاح بين الناس عند الله تعالى، ولذلك أجزل للقائم به تلك المثوبة الكريمة والأجر العظيم، وقد دل على ذلك أيضاً تنويه الله تعالى به بمثل قوله سبحانه: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: 128] فإن وصفه بالخيرية دليل على علو منزلته عند الله تعالى، وذلك لما له من عظيم الأثر في إصلاح ذات البين بين الناس، الذي طالما تشوف الشارع الحكيم إليه في المجتمعات الإنسانية، ولما له من دلالة على كريم أخلاق القائم به أو الراضي عنه، ولهذا كان من أبرز أخلاق الرسل عليهم الصلاة والسلام كما قال الله تعالى على لسان شعيب عليه السلام: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: 88] كما قال على لسان موسى وهو يخاطب أخاه هارون عليهما السلام: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 142] إلى غير ذلك من الآيات، والإصلاح في مثل هاتين الآيتين عام فيشمل الإصلاح في الدين والدنيا، ومنه

---

(1) أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة (2/ 971).

(2) المصدر السابق نفسه.

(3) المصدر السابق نفسه.

الإصلاح بين الناس عند حدوث المقتضى لذلك من نزاع ونحوه ممَّا لا يخلو منه مجتمع من المجتمعات البشرية[1].

فهذا المقصد القرآني الكريم كان دافعاً للحسن بن علي في الصلح، وقد تتبع خطوات جده ﷺ في الحرص على الصلح، فقد كان النبي ﷺ يجهد نفسه في الإصلاح ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، فقد حدث ذات يوم أن أهل قباء اقتتلوا[2]، حتى تراموا بالحجارة، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال: «**اذهبوا بنا نصلح بينهم**»[3]، فانظر كيف أن النبي ﷺ لم يتوان عن الذهاب للإصلاح بين المسلمين حينما بدر الشقاق بينهم ليَحسِم الخلاف، ويعيد الوئام قبل أن يستفحل الأمر ويتسع الخرق على الراقع[4].

ولأهمية الصلح بين الناس وفضله أجاز الإسلام الكذب فيه إذا كان القصد من ذلك الإصلاح بين المتخاصمين، فقد قال ﷺ: «**ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً**»[5]، وقال رسول الله ﷺ: «**لا يحل الكذب إلا في ثلاث: الرجل يحدث امرأته ليرضيها، والكذب في الحرب، والكذب ليصلح بين الناس**»[6]، وما ذلك إلا لعظم خطر الخلاف بين المسلمين وفساد ذات بينهم كما بيَّنه ﷺ: «**إياكم وسوء ذات البين فإنها الحالقة**»[7] أي: الخصلة التي من شأنها أن تحلق، أراد أنها خصلة سوء تذهب الدين كما تذهب الموسى الشعر[8].

ولقد بيَّن عليه الصلاة والسلام ما للصلح من أجر عظيم بقوله: «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟**» قالوا: بلى يا رسول الله! قال: «**إصلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة**»[9]، ولذلك كان من أمله الكبير ورجاته العظيم في نسله المبارك الحسن السِّبط ﷺ أن يصلح الله به فساد ذات البين الذي أعلمه الله بحدوثه في أمته بعد وفاته، فمن حديث أبي بكرة ﷺ قال: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول: «**إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به**

(1) أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة (2/ 971).
(2) أي: فعلوا فعلاً يودي بهم إلى القتل من مضاربة بالأيدي والعصي.
(3) البخاري، كتاب: الصلح رقم: 2690.
(4) أخلاق النبي ﷺ في ضوء القرآن والسنة (2/ 979).
(5) البخاري، كتاب: الأدب رقم: 4900.
(6) سنن أبي داود مع عون المعبود (13/ 263) رقم: 4900.
(7) سنن الترمذي رقم: 2508 قال عنه الترمذي: صحيح غريب من هذا الوجه.
(8) جامع الأصول لابن الأثير (6/ 668).
(9) سنن الترمذي رقم: 2509 وقال الترمذي: حديث صحيح.

بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[1]، فرغبة الحسن بن علي ﷺ في الأجر والمثوبة وإرادته للإصلاح دفعته لهذا الصلح المبارك.

ثانياً: إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين:

إن دعوة الرسول ﷺ بأن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين دفعت الحسن إلى التخطيط والاستعداد النفسي للصلح والتغلب على العوائق التي في الطريق، فقد كان هذا الحديث الكلمة الموجهة الرائدة للحسن في اتجاهاته وتصرفاته ومنهج حياته، فقد حلت في قرارة نفسه واستولت على مشاعره وأحاسيسه واختلطت بلحمه ودمه، ومن خلال هذا التوجيه واستيعابه وفهمه له بنى مشروعه الإصلاحي، وقسم مراحله وكان متيقناً من نتائجه، فالحديث النبوي كان دافعاً أساسياً وسبباً مركزياً في اندفاع الحسن للإصلاح.

ثالثاً: حقن دماء المسلمين:

قال الحسن ﷺ: ... خشيت أن يجيء يوم القيامة سبعون ألفاً، أو أكثر أو أقلُّ، كلهم تنضح أوداجهم دماً، كلهم يستعدي الله فيم هُرِيقَ دمه[2]؟ وقال ﷺ: ألا إن أمر الله واقع إذ ليس له دافع وإن كره الناس، إني ما أحببت أن لي من أمَّة محمد مثقال حبة من خردل يهراق فيه محجمة من دم، قد علمت ما ينفعني ممّا يضرني، الحقوا بطيّتكم[3] [4].

وقال في خطبته التي تنازل فيها لمعاوية عن الخلافة وتسليمه الأمر إليه: .. إما كان حقاً لي تركته لمعاوية إرادة صلاح هذه الأمة وحقن دمائهم[5].

تلحظ من كلام سيدنا الحسن ﷺ شدة خوفه من الله تعالى ذلك الخوف الذي دفعه إلى الصلح، وقد مدح الله أنبياءه عليهم السلام وأولياءه بمخافتهم الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: 90] وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: 21] فالخوف المحمود من الله يحث على العلم، ويكدر جميع الشهوات، ويزعج القلب عن الركون إلى الدنيا، ويدعوه إلى التجافي عن دار الغرور، دون الحديث النفسي الذي لا يؤثر في الكف عن المعاصي والحث على فعل الطاعات، ودون الوصول إلى اليأس الموجب للقنوط[6].

---

(1) البخاري رقم: 7109.
(2) البداية والنهاية (11/ 206).
(3) بطيتكم: جهتكم ونواحيكم.
(4) تاريخ دمشق (14/ 89).
(5) المعجم الكبير للطبراني (3/ 26) إسناده حسن.
(6) جامع العلوم والحكم، ص 363، الإيمان أولاً، ص 117.

فالحسن بن علي ﷺ أراد أن يحقن دماء المسلمين قربة إلى الله ﷻ، وخشي على نفسه من حساب الله يوم القيامة في أمر الدماء، ولو أدى به الأمر إلى ترك الخلافة فكان ذلك دافعاً له نحو الصلح، فالحسن بن علي ﷺ يعلم خطورة سفك الدماء بين المسلمين، لأن ذلك من أخطر الأمور التي تهز كيان البشرية، ولذلك ورد تحريمه والوعيد عليه، وتحديد عقوبته في كثير من نصوص الكتاب والسنة، والقتل أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة مما يدل على عظم شأن قتل النفس والاعتداء على حرمة الإنسان.

فقد روى البخاري عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال النبي ﷺ: **«أول ما يقضى بين الناس في الدماء»**[1]، فأمر الدماء عظيم يوم القيامة، والعمل على حفظها في الدنيا من مقاصد الشريعة، ولذلك حرص الحسن على الصلح حفظاً لدماء المسلمين.

لقد عنيت الشريعة الإسلامية التي فهمها واستوعبها الحسن ﷺ بالنفس عناية فائقة، فشرعت من الأحكام ما يجلب المصالح لها، ويدفع المفاسد عنها، وذلك مبالغة في حفظها وصيانتها، ودرء الاعتداء عليها لأنه بتعرض الأنفس للضياع والهلاك يُفقد المكلف الذي يتعبد الله سبحانه وتعالى وذلك بدوره يؤدي إلى ضياع الدين، والمقصود من الأنفس التي عنيت الشريعة بحفظها: هي الأنفس المعصومة بالإسلام؛ الجزية أو الأمان[2]، ولهذا لما قيل للحسن من بعض المعترضين على الصلح: يا عار المؤمنين، قال: للعار خير من النار[3]. وفي رواية ابن سعد: . . . إني اخترت العار على النار[4].

ونلحظ أن الحسن بن علي كان يناقش أتباعه ويبين لهم دوافعه ويرتقي بهم نحو قناعته، ولم يكن ممن تقوده الجماهير، وهمه ما يطلبه المستمعون، وإنما شق طريقه وفق تصوراته وفهمه لحقائق الأمور ونأى بنفسه أن يتأثر بضغط عوام الناس ما دامت الخطوات التي يسير بها فيها رضى الله، ومصلحة المسلمين، وهذا درس كبير لكثير من القيادات الإسلامية، في كون القائد هو الذي يقود عامة الناس ويرتقي بهم نحو أهدافهم، وفي مثل ظروف الحسن عادة يكون الزعماء بين أمور:

أ - ما تطلبه الجماهير.

ب - من لا يهتم ولا يرد على أحد.

ج - عمل الصواب والحق والارتقاء بالجماهير.

---

(1) البخاري، كتاب: الديات رقم: 6864.

(2) روضة الطالبين (9/ 148) مقاصد الشريعة، ص 211.

(3) تاريخ دمشق (14/ 88).

(4) الطبقات، تحقيق السُّلمي (1/ 329) إسناده ضعيف جداً.

ونرى الحسن بن علي اختار الطريق الثالث وهو عمل الصواب والحق والارتقاء بالجماهير نحو الأهداف السامية التي رسمها، ولذلك قام بتقديم رؤية واضحة وخطوات تنفيذية عبر مراحل وتمهيدات، ووضع شروط وتغلب على العوائق، واهتمّ بإقناع المخالفين لوجهة نظره، وهذا هو الصواب، والله أعلم.

رابعاً: حرصه على وحدة الأمة:

قام الحسن بن علي ﷺ خطيباً في إحدى مراحل الصلح فقال: أيها الناس، إني قد أصبحت غير محتمل على مسلم ضغينة[1]، وإني ناظر لكم كنظري لنفسي، وأرى رأياً فلا تردوا عليَّ رأيي، إن الذي تكرهون من الجماعة أفضل مما تحبون من الفُرقة[2]، وقد تحقق بفضل الله، ثم حرص الحسن على وحدة الأمة ذلك المقصد العظيم، فقد ارتأى ﷺ أن يتنازل عن الخلافة حقناً لدماء المسلمين، وتجنباً للمفاسد العظيمة التي ستلحق الأمة كلها في المآل إذا بقي مصراً على موقفه، من استمرار الفتنة وسفك الدماء وقطع الأرحام واضطراب السبل، وتعطيل الثغور وغيرها، وقد تحققت - بحمد الله - وحدة الأمة بتنازله عن عرض زائل من أعراض الدنيا، حتى سمّي ذلك العام عام الجماعة[3]، وهذا يدل على فقه الحسن في معرفته لاعتبار المآلات ومراعاته نتائج التصرفات، ولهذا الفقه مظاهره في كتاب الله وشواهده، فقد رتب المولى ﷻ الحكم على مقتضى النتائج والشواهد، ومثال ذلك:

1 - النهي عن سب المشركين:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: 108]. رغم أن سبَّ آلهة المشركين أمر جائز لما فيه من إهانة الباطل ونصرة الحق إلا أن الشارع الحكيم لم يقف نظره واعتباره عند هذه الغاية القريبة، بل نظر إلى نتيجة هذا العمل المشروع، وما سينجر عنه من آثار غير مشروعة، ثم قضى بعدم سبّ آلهة المشركين سدًّا لذريعة سبّهم لله تعالى انتقاماً لآلهتهم، وانتصاراً لباطلهم، إذ إنّ المصلحة التي ستحصل من إهانة آلهتهم أهون بكثير من مفسدة سبهم لربِّ العالمين؛ والمفسدة إذا أربت على المصلحة قُدِّم درءُ المفسدة على جلب المصلحة[4].

2 - النهي عن الجهر، والمخافتة في القراءة:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 110] حيث نهى

(1) الضغينة: الحقد. (2) الأخبار الطوال، ص 200.
(3) اعتبار المآلات ومراعاة نتائج التصرفات، ص 167.
(4) المصدر السابق نفسه، ص 124.

المولى ﷻ نبيه ﷺ عن الجهر بالقراءة في الصَّلاة؛ التفافاً إلى مآل ذلك إذا سمع المشركون قِراءته؛ فيحملهم ذلك على سبِّ الله تعالى وشتم دينه وكلامه[1]، يقول ابنُ عباس ﷺ في سبب نزول هذه الآية: إنّ الكفّار - يعني بمكّة حين كان ﷺ مختفياً - كانوا إذا سمعوا القرآن سبّوه ومن أنزله، ومن جاء به؛ فقال الله تعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبّوا القرآن ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ عن أصحابك فلا يسمعون ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾[2].

3 - خرق الخضر للسفينة:

قال تعالى: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: 79]. الاعتداء على ملك الغير بغير حقٍّ من الأمور المحظورة على وجه القطع في الشّرع، لكنّنا رأينا الخضر عليه السلام يهوي على السفينة بالخرق الذي هو في ظاهر الحال تعيبٌ، وإلحاق للخسارة بأهلها؛ ولمّا أنكر عليه موسى عليه السلام فِعْله، وقرّره بالجميل الذي أسداه إليهما أهل السَّفينة حين أركبوهما بغير أجرة: - بيّن له أن هذه المفسدة لم تُرتكب إلّا لما فيها من دفع مفسدة أعظم وهي غصب السفينة وذهابها جملة؛ حيث إنّ وراءهم مَلكاً يأخذ كل سفينة سالمة من العيوب غصباً، ولا شك أنّ ارتكاب ضرر يسير في الحال إذا كان فيه دفع لمفسدة أعظم في المآل؛ يعتبر أمراً محموداً؛ والشريعة جارية على ملاحظة النتائج ودفع المفاسد العظيمة المتوقعة في الآجل؛ حتى وإن كان ذلك بارتكاب مفاسد أقلّ منها في الحال، ثم إنّ مفسدة خرق السفينة وتعيبها يمكن تداركها بالإصلاح؛ بينما ذهاب ذات السفينة إذا تحقق؛ لم يتعلّق بعودتها أمل[3].

4 - ومن مظاهر اعتبار المآل في السنة النبوية وشواهده: دفع أعظم المفسدتين بأدناهما، كالامتناع عن قتل المنافقين:

فعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: كنا في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين؛ فَسَمعها رسول الله ﷺ، قال: «ما هذا؟» فقالوا: كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار؛ وقال المهاجري: يا للمهاجرين؛ فقال النبيُّ ﷺ: «**دعوها فإنها منتنة**»؛ قال جابر: وكانت الأنصار حين قدم النبي ﷺ أكثر، ثم كثر المهاجرون بعد؛ فقال عبد الله بن أبيّ: أو قد فعلوا؟ والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فقال

(1) اعتبار المآلات، ص 125.
(2) أسباب النزول، للواحدي، ص 223، 224.
(3) اعتبار المآلات، ص 126.

عمر بن الخطاب ﷺ : دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق؛ قال النبي ﷺ: «**دعه، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه**»[1]، إن قتل المنافقين واستئصالهم فيه مصلحة ظاهرة للمسلمين، وتطهير لصفهم من أن تندسّ إليه عناصر التخذيل والإفساد؛ لكن لمّا كان في ذلك هزُّ الثقة بالمسلمين وزرع لقالة السوء عنهم بحيث ينتشر في الناس: أن النبي ﷺ يعامل الذين يعتنقون دينه بالقتل والتّصفية الجسدية، فإن الأمر يتغيّر، وأصبح التّغاضي عن قتلهم مصلحة أعلى وأولى من المصالح الأخرى التي تتأتى من استئصالهم، ورغم أن بقاء المنافقين فيه من المفاسد المحققةِ ما لا ينكره عاقل؛ إلا أنّ في القضاء عليهم مفسدة أعظم من مفسدة بقائهم؛ لذا اقتضت حكمة المصطفى ﷺ أن تُدفع المفسدة العظمى بالمفسدة الصغرى[2].

ومن هدي النبي ﷺ في اعتبار المآلات ومراعاة نتائج التصرفات: ترك تجديد الكعبة على قواعد إبراهيم وهو ما ثبت من حديث أم المؤمنين عائشة ﷺ قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «**لولا حداثة عهد قومك بالكفر، لنقضت الكعبة ولجعلتها على أساس إبراهيم، فإن قريشاً حين بنت البيت استقصرت؛ ولجعلت لها خلْفاً**»[3] لمّا كانت الكعبة المشرفة تمثل مهوى أفئدة المؤمنين، ومجلى تاريخ النبوات الأولى، كان الأصل أن تبقى على ما تركها عليه الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم - لكنّ قريشاً حين أرادت تجديد بنائها في الجاهلية؛ لم يكن معها من المال الحلال ما يكفي لإعادة البناء إلى ما كان عليه، فانتهت لها الاستطاعة إلى تشييدها على النّحو الذي كانت عليه في عهد المصطفى، وقد كانت نفسُ النبي ﷺ تستشرف إلى تدارك ما قصرت عنه نفقة قريش غير أنه ترك المصلحة المحققة في إعادة بناء البيت على قواعده الأصليّة التي أسّسها إبراهيم عليه السلام، خشية اهتزاز حُرمة البيت من النفوس، وخوف نفور الناس من الإسلام لاعتقادهم أن ذلك جرأة على الكعبة واعتداء على حُرمتها[4].

إن الحسن بن علي ﷺ في فهمه العميق لفقه اعتبار المآلات ومراعاة نتائج التصرفات، كان نتيجة طبيعية لتربيته على القرآن الكريم وسنّة سيد المرسلين، فقد كان مستوعباً لمقاصد الشريعة قادراً على التطبيق بين هدي الشريعة والواقع الفعلي الذي عاشه، فكانت اجتهاداته فريدة في مجال السياسة الشرعية، فتحت للمسلمين آفاقاً رحبة في تحقيق وحدة الأمة وتلاحم

(1) البخاري، كتاب: التفسير رقم: 4905.
(2) اعتبار المآلات، ص 138، 139.
(3) البخاري، كتاب: الحج، رقم: 1585.
(4) اعتبار المآلات ومراعاة نتائج التصرفات، ص 148، 149.

صفها، وقوة شوكتها، وإعادة دورها الحضاري، وهذا الفقه الدقيق والفهم العميق نحن في أشد الحاجة لفهمه والعمل به في حياتنا المعاصرة.

فالحسن بن علي يعلمنا أصلاً عظيماً من أعظم أصول الإسلام: المحافظة على الجماعة؛ وهو الاعتصام بحبل الله جميعاً وأن لا يتفرقوا - وهو من أعظم أصول الإسلام، ومما عظمت وصية الله تعالى به في كتابه، ومما عظم ذمه لمن تركه من أهل الكتاب وغيرهم، ومما عظمت به وصية رسول الله ﷺ في مواطن عامة وخاصة[1]. فقد قام الحسن بن علي بمحاربة التفرق والاختلاف، وعمل بالتوجيهات القرآنية الهادفة لتوحيد الأمة، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: 103 - 106].

خامساً: مقتل أمير المؤمنين علي ﷺ:

ومن الأسباب التي دعت أمير المؤمنين الحسن بن علي إلى الصلح ما روّع به من مقتل أبيه، فقد ترك ذلك فراغاً كبيراً في جبهة العراق، وأثر اغتياله على نفسية الحسن ﷺ فترك فيها حزناً وأسى شديدين، فقد قتل هذا الإمام العظيم بدون وجه حق، ولم يرعَ الخوارج سابقته في الإسلام ولا فضائله العظيمة، ولا خدماته الجليلة التي قدمها للإسلام، فقد كانت حياته حافلة بالقيم والمثل والعمل على تكريس أحكام الشريعة على مستوى الدولة والشعب، لقد كان عليٌّ ﷺ معلَماً من معالم الهُدى، وفارقاً بين الحق والباطل، فكان من الطبيعي أن يتأثر المسلمون لفقده ويشعروا بالفراغ الكبير الذي تركه، فقد كان وقع مصيبة مقتله على المسلمين عظيماً، فجلّلهم الحزن، وفاضت مآقيهم بالدموع ولهجت ألسنتهم بالثّناء والترحم عليه ﷺ، وكان مقتله سبباً في تزهيد الحسن في أهل العراق، أولئك الذين غمرتهم مكارم أخلاق أمير المؤمنين وشرف صحبته فأضلتهم الفتن والأطماع، وانحرفوا عن الصراط المستقيم، ونستثني من أولئك الصادقين المخلصين لدينهم وخليفتهم الرّاحل العظيم ﷺ فقد كان مقتله ضربة قوية وجهت لعهد الخلافة الراشدة وكانت من أسباب زوالها فيما بعد.

سادساً: شخصية معاوية ﷺ:

إن تسليم الحسن بن علي الخلافة إلى معاوية - مع أن معه أكثر من أربعين ألفاً بايعوه على الموت، فلو لم يكن أهلاً لها لما سلمها السبط الطيب إليه، ولحاربه[2]، فمعاوية ﷺ لم

(1) رسالة الألفة بين المسلمين، لابن تيمية، ص 27.
(2) الناهية عن طعن أمير المؤمنين معاوية، ص 57.

يتزعَّم أهل الشام من فراغ، فقد ذكر المترجمون لهذا الصحابي الكريم فضائل جمَّة، وإليك شيئاً منها:

1 - من القرآن الكريم:

اشترك معاوية ﷺ في غزوة حنين، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: 26].

ومعاوية ﷺ من الذين شهدوا غزوة حنين، وكان من المؤمنين الذين أنزل الله سكينته عليهم مع النبي ﷺ [1].

2 - من السُّنة:

دعاء الرّسول ﷺ لمعاوية ﷺ، ومن ذلك قوله ﷺ: **«اللّهم اجعله هادياً[2] مهدياً[3]، واهد به»**[4]. وقوله ﷺ: **«اللّهم علّم معاوية الكتاب، والحساب، وقه العذاب»**[5] وقال رسول الله ﷺ: **«أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا»**[6]. قالت أمّ حرام: قلت: يا رسول الله أنا فيهم؟ قال: **«أنت فيهم»**. ثم قال النبّي ﷺ: **«أوّل جيش من أمّتي يغزون مدينة قيصر[7] مغفور لهم»**. فقلت - أي أم حرام -: أنا فيهم يا رسول الله؟ قال: **«لا»**[8]. قال المهلب[9]: في هذا الحديث منقبة لمعاوية؛ لأنّه أوّل من غزا البحر[10].

3 - نظرة أهل العلم لِمعاوية ﷺ:

أ - ثناء عبد الله بن عباس ﷺ:

قيل لابن عباس ﷺ: هل لك في أمير المؤمنين معاوية، فإنّه ما أوتر إلا بواحدة، قال: إنّه فقيه[11].

---

(1) مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، خالد الغيث، ص 23.
(2) هادياً للناس، أو دالاً على الخير.
(3) مهدياً: أي مهتدياً في نفسه.
(4) صحيح سنن الترمذي للألباني (3/ 236).
(5) موارد الظمآن (7/ 249) إسناده حسن.
(6) أوجبوا: أي: فعلوا فعلاً وجبت لهم به الجنة، فتح الباري (6/ 121).
(7) مدينة قيصر: يعني القسطنطينية.
(8) البخاري رقم: 2924.
(9) المهلب بن أحمد الأندلسي، مصنّف شرح صحيح البخاري، توفي 435 هـ.
(10) فتح الباري (6/ 120).
(11) فتح الباري (7/ 130).

ب - ثناء عبد الله بن المبارك على معاوية ﷺ :

قال عبد الله بن المبارك: معاوية عندنا محنة، فمن رأيناه ينظر إليه شزراً اتهمناه على القوم، يعني: الصحابة[1].

ج - ثناء أحمد بن حنبل:

سئل الإمام أحمد رحمه الله: ما تقول رحمك الله فيمن قال: لا أقول إن معاوية كاتب الوحي، ولا أقول إنَّه خال المؤمنين، فإنَّه أخذها بالسَّيف غصباً؟[2] قال أبو عبد الله: هذا قول سوءٍ رديءٍ، تجانبون هؤلاء القوم، ولا يجالسون، ونبين أمرهم للناس[3].

د - ثناء القاضي ابن العربيّ على معاوية ﷺ :

تحدَّث ابن العربيّ عن الخصال التي اجتمعت في معاوية ﷺ، فذكر منها: ... قيامه بحماية البيضة، وسدِّ الثغور، وإصلاح الجند، والظهور على العدو، وسياسة الخلق[4]، وقد علق محب الدِّين الخطيب على هذا النَّص بقوله: وقد بلغ من همَّته - يعني معاوية - وعظيم عنايته بذلك أنَّه أرسل يهدد ملك الرُّوم وهو في معمعة القتال مع عليٍّ في صفين، وقد بلغه: أنَّ ملك الرُّوم اقترب من الحدود في جنودٍ عظيمة[5]، وفي ذلك يقول ابن كثير: وطمع في معاوية ملك الرُّوم بعد أن كان قد أخشاه، وأذله، وقهر جنده، ودحاهم، فلمَّا رأى ملك الروم اشتغال معاوية بحرب عليٍّ تدانى إلى بعض البلاد في جنود عظيمة، وطمع فيه، فكتب معاوية إليه: والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك يا لعين، لأصطلحنَّ أنا وابن عمي عليك، ولأخرجنَّك من جميع بلادك، ولأضيِّقنَّ عليك الأرض بما رحبت؛ فعند ذلك خاف ملك الرُّوم، وبعث يطلب الهدنة[6].

هـ - ثناء ابن تيميَّة على معاوية ﷺ :

قال عنه ابن تيميّة: «فإن معاوية ثبت عنه بالتواتر: أنه أمّره النبي ﷺ، كما أمّر غيره، وجاهد معه، وكان أميناً له بالوحي، وما اتَّهمه النبي ﷺ في كتابة الوحي، وولاه عمر بن الخطاب الذي كان من أخبر الناس بالرجال، وقد ضرب الله الحقَّ على لسانه وقلبه، ولم يتَّهمه في ولايته»[7].

---

(1) مرويات خلافة معاوية، ص 28.
(2) المصدر السابق نفسه، ص 28.
(3) السُّنة للخلَّال، تحقيق عطية الزهراني (2/ 434).
(4) العواصم من القواصم، ص 210، 211.
(5) مرويات خلافة معاوية، ص 31.
(6) البداية والنهاية (8/ 119).
(7) الفتاوى (4/ 472)، سير أعلام النبلاء (3/ 129).

و - ثناء ابن كثير عليه:

قال عنه ابن كثير: وأجمعت الرّعايا على بيعته في سنة إحدى وأربعين... فلم يزل مستقلاً بالأمر في هذه المدّة إلى هذه السَّنة التي كانت فيها وفاته، والجهاد في بلاد العدو قائم، وكلمة الله عالية، والغنائم ترِد إليه من أطراف الأرض، والمسلمون معه في راحةٍ وعدلٍ، وصفح، وعفو، وقال أيضاً: كان حليماً[1]، وقوراً، رئيساً، سيِّداً في الناس، كريماً، عادلاً، شهماً[2]. وقال عنه أيضاً: كان جيِّد السيرة، حسن التَّجاوز، جميل العفو، كثير السّتر رحمه الله تعالى[3].

4 - روايته للحديث:

يعد معاوية ﷺ من الذين نالوا شرف الرِّواية عن رسول الله ﷺ، ومرد ذلك إلى ملازمته لرسول الله ﷺ بعد فتح مكة، لكونه صهره، وكاتبه ﷺ، هذا وقد روى معاوية ﷺ مائة وثلاثةً وستين حديثاً عن رسول الله، اتفق له البخاري ومسلم على أربعة أحاديث، وانفرد البخاري بأربعة ومسلم بخمسة[4].

وكانت سيرة معاوية ﷺ مع الرّعية في ولايته من خير سير الولاة ممّا جعل النّاس يحبونه، وقد ثبت في الصَّحيح عن النبيّ ﷺ قال: «**خيار أئمتكم - حكامكم - الذين تحبُّونهم، ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلُّون عليكم، وشر أئمتكم الذين تبغضونهم، ويبغضونكم، تلعنونهم ويلعنونكم**»[5].

5 - قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على إمارته:

عن سفيان بن الليل قال: قلت للحسن بن علي لما قدم الكوفة من المدينة: يا مذل المؤمنين، قال: لا تقل ذلك، فإني سمعت أبي يقول: لا تذهب الأيام والليالي حتى يملك معاوية، فعلمت أنّ أمر الله واقع، فكرهت أن تهراق بيني وبينه دماء المسلمين[6]، وفي رواية عن علي ﷺ قال: لا تكرهوا إمارة معاوية، فوالله لئن فقدتموه لترون رؤوساً تندر عن كواهلها كأنها الحنظل[7]، فهذه آثار تشير إلى قدرة معاوية على الإمارة. كما أن أسلوب

(1) أفرد ابن أبي الدنيا، وأبو بكر بن أبي عاصم تصنيفاً في حلم معاوية.
(2) البداية والنهاية (8/ 118).
(3) البداية والنهاية (8/ 126).
(4) مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، ص 23.
(5) مسلم، كتاب: الإمارة رقم: 65.
(6) تاريخ دمشق (12/ 105).
(7) تاريخ دمشق (12/ 105).

معاوية في التفاوض والتعامل مع الحسن أوجد قواسم مشتركة للوصول إلى الإصلاح، وإن كان المهندس الفعلي لمشروع الإصلاح هو الحسن بن علي، إلا أن شخصية معاوية وسعة أفقه ورحابة صدره، وما أبداه من المرونة ساعد على نجاح الصلح، وقد كان ﷺ يتأدّب إلى الحسن ويكرمه ويروي فضائل أهل البيت، فهذا يدل على إيثاره الحق مع المنازعة والمخاصمة التي سبقت بقدر الحق سبحانه[1]، وقد أخرج أحمد في مسنده عن معاوية قال: كان رسول الله ﷺ يمص لسان الحسن وشفتيه وإنه لن يعذب الله لساناً أو شفة مصها رسول الله ﷺ[2].

وكان ﷺ صريحاً مع نفسه معترفاً بذنوبه، طالباً مغفرة ربه، وطامعاً في رحمته وحلمه، فعن ابن شهاب، عن عروة: أن المسور أخبره أنه قدم على معاوية، فقال: يا مِسْوَر ما فعل طعنك على الأئمة؟ قال: دعنا من هذا، وأحسن فيما جئنا له. قال: لتكلّمني بذات نفسك مما تعيب عليّ؟ قال: فلم أترك شيئاً إلا بيّنته، فقال: لا أبرأ من الذنب فهل تعدُّ لنا مما نلي من الإصلاح في أمر العامة، أم تعدُّ الذنوب، وتترك الإحسان؟ قلت: نعم. قال: فإنا نعترف لله بكل ذنب، فهل لك من ذنوب في خاصّيّتك تخشاها؟ قال: نعم. قال: فما يجعلك الله برجاء المغفرة أحقَّ مني، فوالله ما ألي من الإصلاح أكثر مما تلي، ولا أخيَّر بين الله وبين غيره إلَّا اخترت الله على سواه، وإني لعلى دين يقبل فيه العمل، ويُجزى فيه بالحسنات، قال: فعرفت أنه قد خصمني، قال عروة: فلم أسمع المسور ذكر معاوية إلا صلَّى عليه[3] - أي دعا له -.

والحديث عن معاوية بالتفصيل سوف يأتي بإذن الله تعالى، إن أعطانا الله القوة ويسر الأسباب بمنه وكرمه وجوده في حديثنا عن الدولة الأموية، ومع هذه النيّة المبيتة للحديث عن معاوية ﷺ بالتفصيل، فلا يمنع من ذكر هذه القصة التي تبين خوفه وخشيته من الله تعالى، فعندما كان يروى في مجلسه حديث أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ في أن أول من تسعر بهم النار يوم القيامة، من أمة محمد القارئ المراثي، والمنفق المراثي، والمجاهد المراثي، وبيّن رسول الله ﷺ. ذلك وقال لأبي هريرة: «**يا أبا هريرة: أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة**»[4]، فكان معاوية يقول عندما يسمع هذا الحديث: فقد فعل هؤلاء هذا فكيف بمن بقي من الناس؟ فقال الراوي: ثم بكى معاوية بكاء شديداً، حتى ظننا أنه هالك، ثم أفاق ومسح عن وجهه، وقال: صدق الله ورسوله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ

(1) الناهية عن طعن أمير المؤمنين معاوية، ص 57.
(2) المسند رقم: 16848 إسناده صحيح.
(3) سير أعلام النبلاء (3/ 392).
(4) رواه الترمذي والحاكم عن أبي هريرة، وصححه الألباني رقم: 1713.

إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1] [هود: 15 - 16].

إن شخصية معاوية رضي الله عنه وتاريخه في خدمة الإسلام كان عاملاً مهماً في نجاح الصلح، ولا نزعم بأنه من طبقة الخلفاء الراشدين المهديين، ولكنه من الملوك العادلين، كما أن سيرته غنية بالفقه السياسي والإداري والعسكري، والاقتصادي والاجتماعي، وهذا يحتاج إلى دراسة متأنية لعصره، ونسأل الله أن يوفقنا إلى ذلك.

سابعاً: اضطراب جيش العراق وأهل الكوفة:

كان لخروج الخوارج أثر في إضعاف جيش أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، كما أن الحروب في الجمل وصفين والنهروان، تسببت في ملل أهل العراق للحرب ونفورهم منها، وخاصة أهل الشام في صفين، فإن حربهم ليست كحرب غيرهم، فمعركة صفين الطاحنة لم تفارق مخيلتهم، فكم يتمت من الأطفال ورمّلت من النساء، بدون أن يتحقق مقصودهم، ولولا الصلح أو التحكيم الذي رحب به أمير المؤمنين علي وكثير من أصحابه لكانت مصيبة على العالم الإسلامي لا يتخيل آثارها السيئة، فكان هذا التخاذل عن المسير مع علي رضي الله عنه إلى الشام مرة أخرى أحب إلى فريق منهم وتميل إليه نفوسهم وإن كانوا يعلمون أن علياً على حق[2].

ومن المعضلات التي أوهنت جانب أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: خروج فرقة تغالي في تعظيم أمير المؤمنين علي وترفعه إلى مقام الألوهية، حتى بدا للبعض أن هذا رد فعل للخوارج الذين يتبرؤون من علي ويكفرونه[3]، ولكن هؤلاء كان مقصدهم سيئاً، وهو إدخال معتقدات فاسدة على المسلمين لهدم الدين وإضعاف المسلمين عامة وليس جيش علي فقط[4]، ولقد تصدى لهم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه - كما بيّنا - بحزم وقوة، ولا شك أن مباينة الخوارج وقتلهم أضعف جانب علي كثيراً.

ثم تتابعت الفتوق على علي من بعد، فخرج الخريت بن راشد - وقيل اسمه الحارث بن راشد - في قومه من بني ناجية، وكان من ولاة علي على الأهواز، فدعا إلى خلع علي، فأجابه خلق كثير واحتوى على البلاد وجبى الأموال، فبعث إليه علي جيشاً بقيادة معقل بن قيس الرياحي فهزمه وقتله[5].

---

(1) النهاية في الفتن والملاحم (2/ 52).
(2) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي، ص 345.
(3) نظام الخلافة في الفكر الإسلامي، ص 15، 16، مصطفى حلمي.
(4) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص 350.
(5) تاريخ الطبري (6/ 27 - 47).

وطمع أهل الخراج في ناحية علي في كسر الخراج، وانتفض أهل الأهواز، ولا بد أن علياً واجه من أجل ذلك بعض الصعوبات المالية والعسكرية، وقد روي عن الشعبي في هذا الخصوص قوله: لما قتل علي أهل النهروان، خالفه قوم كثير، وانتفضت عليه أطرافه، وخالفه بنو ناجية، وقدم ابن الحضرمي البصرة، وانتفض أهل الأهواز، وطمع أهل الخراج في كسره، وأخرجوا سهل بن حنيف عامل علي بن أبي طالب من فارس[1] وقد استلم الحسن ﷺ الخلافة، وجيش العراق مضطرب وأهل الكوفة مترددون في أمرهم.

وقد جاء في المجتبى لابن دريد: قام الحسن بعد موت أبيه فقال: والله ما ثنانا عن أهل الشام شك ولا ندم، وإنما كنا نقاتلهم بالسلامة والصبر، فشِيبت السلامة بالعداوة، والصبر بالجزع، وكنتم في منتدبكم إلى صفين دينكم أمام دنياكم، فأصبحتم ودنياكم أمام دينكم، ألا وإنا لكم كما كنا، ولستم لنا كما كنتم، ألا وقد أصبحتم بين قتيلين؛ قتيل بصفين تبكون عليه، وقتيل بالنهروان تطلبون بثأره، فأما الباقي فخاذل، وأما الباكي فثائر، ألا وإن معاوية دعانا إلى أمر ليس فيه عز ولا نَصَفة، فإن أردتم الموت رددناه عليه، وإن أردتم الحياة قبلناه. قال: فناداه القوم من كل جانب: التقية التقية، فلما أفردوه، أمضى الصلح[2].

وإني وإن كنت أشك في صحة نسبة هذه الخطبة ولكنها تصور نفسية سيدنا الحسن وأتباعه، مما عجل بالصلح بينه وبين معاوية[3] ﷺ.

وقد تحدث الحسن عن ما فعله به بعض أهل العراق وما قدموا إليه من الإساءات والإهانات، وأظهر القول وجهر به فقال: أرى والله معاوية خيراً لي من هؤلاء، يزعمون أنهم لي شيعة، ابتغوا قتلي وأخذوا مالي، والله لأن آخذ من معاوية عهداً أحقن به دمي وآمن به في أهلي خير من أن يقتلوني فيضيع أهل بيتي وأهلي، والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوا بي إليه سلماً، والله لئن أسالمه وأنا عزيز خير من أن يقتلني وأنا أسير، أو يمن عليَّ فيكون منة على بني هاشم آخر الدهر، ولمعاوية لا يزال يمنّ بها وعقبه على الحي منا والميت[4].

وقال أيضاً: عرفت أهل الكوفة وبلوتهم، ولا يصلح لي من كان منهم فاسداً، إنهم لا وفاء لهم ولا ذمة في قول ولا فعل، إنهم مختلفون ويقولون لنا إن قلوبهم معنا، وإن سيوفهم لمشهورة علينا[5].

---

(1) تاريخ الطبري (6/ 53).
(2) سير أعلام النبلاء (3/ 269).
(3) الدوحة النبوية الشريفة، ص 93.
(4) الشيعة وأهل البيت، ص 379، نقلاً عن: الاحتجاج للطبرسي، ص 148.
(5) المصدر السابق نفسه، ص 376، نقلاً عن: الاحتجاج للطبرسي، ص 148.

فالحسن لم يعد يثق بأهل الكوفة بعدما فعلوه بأبيه، وبعد أن حاولوا قتله وأنهبوا متاعه، وقد عبر عن ذلك في خطبته عندما قال: يا أهل العراق، لو لم تذهل نفسي[1] عنكم إلا لثلاث خصال لذهلت: مقتلكم أبي، ومطعنكم بغلتي، وانتهابكم ثقلي، أو قال: ردائي عن عاتقي[2].

وقيل للحسن: ما حملك على ما فعلت؟ فقال: كرهتُ الدنيا ورأيت أهل الكوفة قوماً لا يَثِقُ بهم أحد أبداً إلا غُلب، ليس أحد منهم يوافق آخر في رأي ولا هوى، مختلفين لا نيّة لهم في خير ولا شر، لقد لقي أبي منهم أموراً عظاماً، فليت شعري لمن يصلحون بعدي[3].

وهذا ليس على إطلاقه، فجيش الحسن يمكن تقويته، كما أنه هناك فصائل منه على استعداد للقتال على رأسهم قيس بن سعد الخزرجي وغيره من القادة.

ثامناً: قوة جيش معاوية رضي الله عنه:

وفي الجانب الآخر كان معاوية رضي الله عنه يعمل بشتى الوسائل سراً وعلانية على إضعاف جانب أهل العراق منذ عهد علي رضي الله عنه فاستغلَّ ما أصاب جيشه من تفكك وخلاف، فأرسل جيشاً إلى مصر بقيادة عمرو بن العاص رضي الله عنه سيطر عليها وضمها إليه، وقد ساعده على ذلك عدة عوامل منها:

1 - انشغال أمير المؤمنين علي بالخوارج.

2 - عامل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على مصر محمد بن أبي بكر لم يكن على قدر من الدهاء كسلفه قيس بن سعد بن عبادة الساعدي الأنصاري، فدخل في حرب مع المطالبين بدم عثمان، ولم يسايسهم كما كان يصنع الوالي السابق فهزموه.

3 - اتفاق معاوية مع المطالبين بدم عثمان في مصر في الرأي فساعده في السيطرة عليها[4].

4 - بُعد مصر عن مركز أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وقربها من الشام.

5 - طبيعتها الجغرافية، فهي متصلة بأرض الشام عن طريق سيناء وتمثل امتداداً طبيعيًّا لها، وقد أضافت مصر قوة كبيرة لمعاوية رضي الله عنه - قوة بشرية واقتصادية كبيرة - وكذلك أرسل أمير المؤمنين علي من يصدها[5].

---

(1) تذهل نفسي: تسلو نفسي، لسان العرب (11/ 259).

(2) الطبقات، تحقيق السُّلمي (1/ 324) إسناده حسن.

(3) الكامل في التاريخ (2/ 448).

(4) الطبقات لابن سعد (3/ 839 خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص 351، سنده صحيح.

(5) تاريخ خليفة، ص 198، بدون سند.

وعمل معاوية ﷺ على استمالة كبار أعيان القبائل وعمال علي ﷺ - فقد حاول سحب قيس بن سعد ﷺ عامل علي على مصر إليه فلم يستطع، ولكنه استطاع أن يثير شك حاشية علي ومستشاريه فيه فعزله[1]، وكان عزل سعد بن قيس مكسباً كبيراً لمعاوية، كما حاول سحب زياد بن أبيه عامل علي ﷺ على فارس ففشل في ذلك[2]، وقد استطاع معاوية ﷺ أن يؤثر على بعض الأعيان والولاة بسبب ما يمنيهم ويعدهم، ولما يروه من علو أمره وتفرق أمر علي ﷺ، حتى إنه قال في إحدى خطبه: ألا إن بسراً قد اطلع من قبل معاوية، ولا أرى هؤلاء القوم إلا سيظهرون عليكم باجتماعهم على باطلهم، وتفرقكم عن حقكم وبطاعتهم أميرهم ومعصيتكم أميركم، وبأدائهم الأمانة وبخيانتكم، استعملت فلاناً فقتل وغدر وحمل المال إلى معاوية، واستعملت فلاناً فخان وغدر وحمل المال إلى معاوية، حتى لو ائتمنت أحدهم على قدح خشيت على علّاقته، اللهم إني أبغضتهم وأبغضوني، فأرحهم مني وأرحني منهم[3].

واستمر معاوية ﷺ في الاتصال بالأعيان والزعماء في العراق حتى بعد مقتل أمير المؤمنين علي ﷺ، فقد اجتمعت لمعاوية ﷺ عوامل ساعدت على قوة جبهته منها: طاعة الجيش له، اتفاق الكلمة عليه من أهل الشام، خبرته الإدارية في ولاية الشام، وثبات مصادره المالية، وعدم تحرجه في دفع الأموال من أجل تحقيق أهدافه التي يراها مصلحة للأمة.

- شروط الصلح:

تحدثت الكتب التاريخية والمصادر الحديثة وأشارت إلى حصول الصلح وفق شروط وضعها الطرفان، وقد تناثرت تلك الشروط بين كتّاب التاريخ، وحاول بعض العلماء جمعها وترتيبها، واستئناساً إلى ما وصلوا إليه نحاول ترتيبها على وفق ما وصل إليه اجتهادي مع التعليق على كل مادة من مواد الصلح بما يناسبها:

أولاً: العمل بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخلفاء:

ورواية البخاري ذكرت: أن الحسن ما سأل الوفد (عبد الرحمٰن بن سمرة وعبد الله بن عامر) شيئاً إلا قالا له: نحن لك به، والتذكير بالعمل بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخلفاء الراشدين يتناسب مع الحالة التي تمّ فيها الصلح، وهو نوع من التذكير والإلزام لمعاوية بالسير على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخلفاء الراشدين، ولا نوافق ما ذهب إليه بعض المؤرخين

(1) الاستيعاب (2/ 525 - 526).
(2) ولاة مصر، ص 45 - 46.
(3) التاريخ الصغير للبخاري (1/ 125) بسند منقطع وله شواهد.

ومنهم أستاذي وشيخي الدكتور محمد بطاينة في كون إيراد ذلك ضمن شروط الصلح تعريض من الرواية بمعاوية واتهامه بمجافاة ذلك، مما ينفي أن يكون هذا الشرط من شروط الصلح بين الجانبين[1].

وقد ذكر هذا الشرط مجموعة من العلماء منهم ابن حجر الهيثمي حيث ذكر صورة الصلح بين الحسن ومعاوية وجاء فيها: . . صالحه على أن يُسلم إليه ولاية المسلمين وأن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين[2]، وحتى بعض كتب الشيعة ذكرت هذا الشرط، وهذا دليل على توقير الحسن بن علي لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي إلى حد جعل من إحدى الشروط على معاوية بن أبي سفيان ﷺ: أنه يعمل ويحكم في الناس بكتاب الله وسنة رسوله، وسيرة الخلفاء الراشدين[3] - وفي النسخة الأخرى - الخلفاء الصالحين[4]، ففي هذا الشرط ضبط لدولة معاوية في مرجعيتها ومنهجها في الحياة، ونفهم من هذا الشرط أموراً منها:

1 - مصادر التشريع في عهد الخلافة الراشدة:

أ - القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: 105].

فهو المصدر الأول الذي يشتمل على جميع الأحكام الشرعية التي تتعلق بشؤون الحياة، كما يتضمن مبادئ أساسية وأحكاماً قاطعة لإصلاح كل شعبة من شعب الحياة، كما بيَّن القرآن الكريم للمسلمين كل ما يحتاجون إليه من أسس تقوم عليها.

ب - السنَّة المطهرة:

هي المصدر الثاني الذي يستمد منه الدستور الإسلامي أصوله ومن خلالها يمكن معرفة الصيغ التنفيذية لأحكام القرآن[5]، وقد أمر المولى ﷻ بطاعة الرسول ﷺ حيث قال: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: 32]. وقد بين المولى ﷻ خطورة من يخالف أمر الرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: 63].

---

(1) دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ص 68.
(2) الصواعق المحرقة (2/ 399).
(3) الشيعة وأهل البيت، ص 54.
(4) منتهى الآمال (ج2/ 212) نقلاً عن الشيعة وأهل البيت، ص 54.
(5) فقه التمكين في القرآن الكريم، للصلّابي، ص 432.

ونفي الخيار عن المؤمنين إذا صدر حكم عن رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: 36].

وقد أمر المولى ﷻ بالرد إلى الرسول عند النزاع، قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: 59]. وجعل الرد إلى الرسول ﷺ عند النزاع من موجبات الإيمان ولوازمه، قال تعالى: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء: 59].

فكان من الطبيعي أن تكون السنة المطهرة من مصادر التشريع في عهد الخلافة الراشدة.

إن دولة الخلافة الراشدة خضعت للشريعة وكانت سيادة الشريعة الإسلامية فيها فوق كل تشريع وفوق كل قانون، وأعطت صورة مضيئة مشرقة على أن الدولة الإسلامية دولة شريعة، خاضعة بكل أجهزتها لأحكام هذه الشريعة، والحاكم فيها مقيد بأحكام لا يتقدم ولا يتأخر عنها[1]. ففي عهد الخلافة الراشدة وفي مجتمع الصحابة، الشريعة فوق الجميع، يخضع لها الحاكم والمحكوم، ولهذا قيد الصديق طاعته التي طلبها من الأمة بطاعة الله ورسوله فقال: أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم[2].

2 - أهمية سنة الخلفاء الراشدين:

كان الحسن بن علي ﷺ - كما مرّ معنا - مستوعباً لعهد الخلافة الراشدة، وقد ذكرنا أهم الدروس والعبر والفوائد التي استفاد منها من عهد الصديق والفاروق وذي النورين، ووالده علي ﷺ أجمعين، فالعهد الراشدي تتجلى أهميته بصلته بالعهد النبوي وقربه منه، فكان العهد الراشدي امتداداً للعهد النبوي، مع المحافظة الكاملة والتامة على جميع ما ثبت في العهد النبوي، وتطبيقه بحذافيره وتنفيذه بنصه ومعناه، والسير في ركابه والاستمرار في الالتزام به، كما أن العهد الراشدي وضع التنظيمات الجديدة المتعلقة بمؤسسات الدولة لترسيخ دعائمها ومواجهة المستجدات المتنوعة، على أصول قواعد الشورى، وحدثت اجتهادات جديدة في مجالات متعددة استفادت الدولة والأمة الإسلامية منها، ويكفي للبرهان على أهمية عهد الخلافة الراشدة للحكام المسلمين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها قول رسول الله ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**»[3]، وقول رسول الله ﷺ: «**اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر وعمر**»[4].

---

(1) نظام الحكم في الإسلام، ص 227.
(2) البداية والنهاية (6/ 306).
(3) سنن أبي داود (4/ 201)، الترمذي (5/ 44) حسن صحيح.
(4) صحيح سنن الترمذي للألباني (3/ 200).

3 - من معالم الخلافة الراشدة:

أ - كان خلفاء الرسول عليه الصلاة والسلام ينطلقون من حكمهم وتصرفاتهم ورعايتهم لأمور الدولة ومعالجتها للأحداث من الإسلام وباسم الإسلام، وشورى من المسلمين.

ب - لم يتولَّ أحد منهم أمر المسلمين بفرض نفسه عليهم، أو بفرضه من قبل من سبقه في رئاسة الدولة، بدءاً من أبي بكر وانتهاءً بعلي، بل كان كل ذلك بشورى من المسلمين، ولكن هذه الشورى قد اتخذت صوراً متعددة، مما يدل على أن الإسلام لم يفرض كيفية معينة لاختيار الخليفة، بل إن ذلك متروك.

ج - بعد الاختيار المنْبثق من الشورى تتم مبايعة الخليفة علناً ولا يُلتفت لما قد يحصل من مخالفة البعض، فالعبرة بما تراه غالبية الأمة وسوادهم الأعظم، ثم إذا حصلت البيعة لا يجوز نقضها إلا حين يكون كفراً بواحاً.

د - الأمة مسؤولة عن محاسبة الخليفة في كل تصرفاته، بدءاً من الشؤون المالية وانتهاء بشؤون السياسة والحكم والولاية، ولكن ذلك ضمن أطر حددها الإسلام، ويتم ذلك عن طريق أهل الحل والعقد، ولا يجوز للأمة أن تثور بشكل غوغائي لأن ذلك يؤدي إلى الفتنة وانتشار الإشاعات كما حدث في فتنة عثمان رضي الله عنه [1]، ومبدأ محاسبة الحاكم وحق الأمة في مراقبته قرره الخلفاء الراشدون بأقوالهم وأفعالهم؛ فأبو بكر رضي الله عنه يقول: فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني[2]، وعمر يقول: أحب الناس إلي من رفع إليَّ عيوبي[3]، وقال: إني أخاف أن أخطئ فلا يردني أحد منكم تهيباً[4]، وما قاله عثمان: إن وجدتم في كتاب الله أن تضعوا رجلي في القيد فضعوا رجلي في القيد[5]، وقال علي رضي الله عنه: إن هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلا من أمرتم إلا أنه ليس لي أمر دونكم[6].

وقد جرى العمل في عهد الخلفاء الراشدين على التسليم للأمة بحق الرقابة على الحكام، ولم ينكره أحد فدل ذلك على الإجماع[7]، كما أن إجماع الصحابة - حكاماً ومحكومين في

(1) الخلفاء الراشدين أعمال وأحداث، د. أمين القضاة، ص 13.
(2) البداية والنهاية (6/ 305).
(3) الشيخان أبو بكر وعمر ومن رواية البلاذري، ص 231.
(4) الشيخان أبو بكر وعمر ومن رواية البلاذري، ص 231، نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين، ص 198.
(5) مسند أحمد الموسوعة الحديثية رقم: 524، ثبت إسناده إلى عثمان.
(6) تاريخ الطبري (5/ 449، 457).
(7) الدولة والسيادة في الفقه الإسلامي، فتحي عبد الكريم، ص 378.

عهد الخلافة الراشدة - له معنى واحد وهو الفهم الصحيح للكتاب، والطريق السليم للعمل بالسنة[1].

هـ - للخليفة أن يقوم بما يراه من إجراءات تنظيمية فيما لا نص فيه تحت شعار: المصالح المرسلة، وفي ظلال الشورى حسب ما يراه مناسباً لتحقيق المصلحة العامة.

كما فعل أبو بكر في جمع القرآن، وكما فعل عمر في أرض السواد وقضاياه التنظيمية، كديوان الجند والخراج، وعثمان في نسخه للمصحف وتوزيعه على الأمصار.

و - اختلاف علماء الأمة وعظمائها أمر طبيعي، ولكن في ظلال الأخوة والتناصح والبحث عن مصلحة الأمة، فتفاوت العقول يؤدي إلى تفاوت الآراء واختلاف وجهات النظر، كما حصل في سقيفة بني ساعدة، وحروب الردة، وجمع القرآن، ويجب أن لا يصل ذلك إلى تفرق الأمة وتنازعها، فذلك مؤد إلى الفشل، لا محالة، والحكم في ذلك كتاب الله وسنة نبيه ﷺ[2].

ز - يمكن اختزال ملامح الخلافة الراشدة في النظام السياسي إلى المرجعية العليا للكتاب والسنة. حكم الشريعة - دولة القانون - ولكنه السماوي، والتطبيق الشامل له، الحاكم منتخب، الحاكم أجير، بيت المال للأمة وليس للحاكم، نظام الشورى الشاملة، وله آلية تراضي بين أفراد المجتمع، الأمة فاعلة ومشاركة في الأحداث.

وأما في البناء الاجتماعي: تميز عهد الخلافة الراشدة في مجمله بالإعداد النفسي الإيماني، وقوة الوازع الداخلي، ومحاربة العنصرية؛ والإعداد الشامل للإنسان المسلم، وحماية حقوق الإنسان عموماً، وحماية الوحدة الداخلية، وحماية حدود الدولة، والمسؤولية الحضارية على الجميع حكاماً ومحكومين، فهذه هي المفاهيم الأساسية في الدولة الإسلامية والتي أصبحت نموذجاً ومقياساً لكل العصور، وعبر عنه المسلمون بلفظ الخلافة الراشدة تمييزاً له عن أي شكل آخر من أشكال الحكم الأخرى[3]، ولذلك اشترط الحسن بن علي في صلحه مع معاوية ﷺ العمل بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وسيرة الخلفاء الراشدين.

ثانياً: الأموال:

ذكر البخاري في صحيحه أن الحسن قال لوفد معاوية عبد الرحمٰن بن سمرة، وعبد الله ابن عامر بن كريز: إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال.. فمن لي بهذا؟ قالا: نحن

(1) علي بن أبي طالب، للصلّابي (1/ 345).
(2) المصدر السابق نفسه (1/ 345).
(3) الذاكرة التاريخية للأمة، د. قاسم محمد، ص 70.

لك به[1]، فالحسن يتحدث عن أموال سبق أن أصابها هو وغيره من بني عبد المطلب، يريد الحسن: أن لا يطالبهم معاوية، ولا ذكر لأموال يطلب من معاوية أن يدفعها إليه من قادم[2].

وذكر ابن أعثم أن الحسن قال: أما المال فليس لمعاوية أن يشترط لي في ء المسلمين[3]، وذكر أبو جعفر الطبري برواية عوانة بن الحكم: أن أهل البصرة حالوا بين الحسن وبين خراج دارابجرد، وقالوا: فيئنا[4]، والمعلوم أن جباية الخراج من مهام الدولة، ولا علاقة مباشرة بين الحسن وأهل البصرة في هذا الجانب، ولكن الرواية أشارت إلى أن خراج دارابجرد لم يكن في الأموال التي صيّرت إلى الحسن[5].

ورُوي أن الحسن قال لمعاوية: إن عليّ عِدَات ودُيوناً، فأطلق له من بيت المال نحو أربعمائة ألف أو أكثر[6]، وذكر ابن عساكر: يُسلّم له بيت المال فيقضي منه ديونه ومواعيده التي عليه، ويتحمل منه هو ومن معه عيال أهل أبيه وولده وأهل بيته[7]، وذهب بعض المؤرخين إلى أن إبقاءه ما في بيت المال معه (خمسة ملايين درهم)، استبقاه لأولئك المحاربين الذين كانوا معه، يوزّعه بينهم، ويبقى لمعيشته له ولأهل بيته ولأصحابه[8]، ولا شك أن توزيع الأموال على بعض الجنود يساعد في تخفيف شدة التوتر.

إن الذي جاء في رواية البخاري هو الذي أميل إليه، فالأمر لا يكون تجاوز طلب العفو عن الأموال التي أصابها الحسن وآله في الأيام الخالية[9].

وأما الروايات التي تشير بأن يجري معاوية للحسن كل عام مليون درهم، وأن يحمل إلى أخيه الحسين مليوني درهم في كل عام ويفضل بني هاشم في العطاء والصلات على بني عبد شمس[10]، وكأن الحسن باع الخلافة لمعاوية، فهذه الروايات وما قيل حولها من تحليل وتفسير لا تقبل ولا يعتمد عليها، لأنها تصور إحساس الحسن بمصالح الأمة يبدو ضعيفاً أمام مصالحه الخاصة[11].

(1) البخاري، كتاب: الصلح رقم: 2704.
(2) دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ص 64.
(3) الفتوح (3/ 293).
(4) تاريخ الطبري (5/ 165).
(5) دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ص 64.
(6) تاريخ الإسلام، عهد معاوية، ص 7.
(7) تاريخ دمشق (14/ 90).
(8) في التاريخ الإسلامي، شوقي أبو خليل، ص 268.
(9) دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ص 64.
(10) الأخبار الطوال، ص 218.
(11) دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ص 63.

وأما حقه من العطاء فليس الحسن فيه بواحد من دون المسلمين، ولا يمنع أن يكون حظه منه أكثر من غيره، ولكنه لا يصل إلى عشر معشار ما ذكرته الروايات[1].

ثالثاً: الدماء:

ويتضمّن اتفاق الصلح بين الجانبين أن الناس كلهم آمنون لا يؤخذ أحد منهم بهفوة أو أحنة، ومما جاء في رواية البخاري أن الحسن قال لوفد معاوية: . . وأن هذه الأمة عائث في دمائها، فكفل الوفد للحسن العفو للجميع فيما أصابوا من الدماء[2].

ولكن الرواية عن الزهري ذكرت أن عبيد الله بن عباس قائد جيش الحسن لما علم بما يريد الحسن من معاوية، بعث إلى معاوية يسأله الأمان، وشرط لنفسه على الأموال التي قد أصاب، ثم خرج إليهم ليلاً ولحق بهم، وأن قيس بن سعد الذي خلّفه على الجيش تعاهد والجيش على قتال معاوية حتى يشترط لشيعة علي ولمن كان اتبعه على أموالهم ودمائهم[3].

وقد حاول المستشرق فلهوزن أن يلصق هذه التهمة الباطلة بعبد الله بن عباس، وذكر أن قائد الجيش كان عبد الله بن عباس، واستند فلهوزن في ذلك إلى أن الاسم الذي ورد في بعض النسخ المخطوطة من تاريخ الطبري هو عبد الله بن عباس، وأن الاختلاف بين المخطوطات في عبد الله وعبيد الله ليس مرجعه إلى الناسخ وإنما إلى الرواة الذين لم يريدوا أن يُلحَق هذا العار بعبد الله بن عباس جد العباسيين، وأما أخوه عبيد الله فلم يروا بأساً من التخلي عن الدفاع عنه[4].

والحقيقة التاريخية تقول: أن قائد الجيش كان الحسن بن علي، وأن قائد مقدمته كان قيس بن سعد ولا ذكر لعبد الله بن عباس أو أخيه عبيد الله في هذا الجانب[5] إلا في الروايات الضعيفة، والتي لا يقوم عليها دليل، كما أنه مما ورد عند أبي حنيفة الدينوري في الأخبار الطوال[6]، وابن حجر في المطالب العالية[7]، وابن أعثم في الفتوح[8]، أن قطب الرحى في الجيش كانا الحسن بن علي وقيس بن سعد، ولا ذكر لعبد الله بن عباس وعبيد الله بن عباس[9].

وتأكيد فلهوزن على أن عبد الله بن عباس كان قائداً للجيش لا عبيد الله واحتجاجه على

---

(1) دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ص 63.
(2) البخاري، كتاب: الصلح (2/ 963).
(3) تاريخ الطبري (5/ 163 - 164).
(4) تاريخ الدولة العربية، ص 103 - 106.
(5) تاريخ الطبري (5/ 159 - 160).
(6) الأخبار الطوال، ص 217.
(7) المطالب العلية (4/ 318، 319).
(8) الفتوح (3/ 289).
(9) دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ص 66.

ذلك بما سبق الإشارة إليه، يخالفه ما نقله زياد بن عبد الله البكائي عن عوانة بن الحكم الذي لا يتهم بمحاباة العباسيين قال: إن عبيد الله بن عباس كان والياً لعلي على اليمن، ولما بلغه مسير بسر بن أرطاة إليه استخلف على اليمن عبيد الله بن عبد المدائن الحارثي وهرب إلى علي بالكوفة، وذلك عام أربعين للهجرة، وأرسل علي بن أبي طالب جيشاً إلى اليمن يتعقب جيش بسر، وقتل علي في نفس العام، ولم يرد ما يشير إلى أن عبيد الله بن عباس ترك الكوفة إلى اليمن[1].

وسواء كان قائد الجيش عبد الله بن عباس أو عبيد الله أو غيرهما فإن دواعي اتصال قائد جيش الحسن بمعاوية وطلب الأمان منه غير قائمة، فجيش الحسن قويّ وممتنع كما جاء عند البخاري، والاتصالات بين الحسن وقيادته موجودة نقلاً وعقلاً، والحسن ولي الأمر ورأسه، وقد جرت المفاوضات بينه وبين وفد معاوية وأخذ الأمان لأتباعه ومن كان في جانبه فضلاً عن بني العباس وغيرهم من بني المطلب بشأن الدماء والأموال، وأعلم الحسن قيادته بالصلح وتنازله عن الخلافة لمعاوية، وأمرهما بالدخول في الجماعة ومبايعة معاوية، ولما رأى قيس ومن معه أنهم لم يعودوا مع إمام مفترض الطاعة، تركوا القتال وبايعوا معاوية، ودخلوا في الجماعة[2]، ولكن في رواية الزهري ثناء على قيس دون الحسن وولدي العباس من غير ما ضرورة[3].

إن الحسن بن علي اشترط على معاوية: أن لا يطلب أحداً من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء[4]، والذي يلاحظه المؤرخ: أنه من ذلك الوقت ترك الطلب بدم عثمان[5]، وقد تمّ الاتفاق على عدم مطالبة أحد بشيء كان في أيام علي وهي قاعدة بالغة الأهمية تحول دون الالتفات إلى الماضي، وتركز على فتح صفحة جديدة تركز على الحاضر والمستقبل[6]، وقد تمّ التوافق المبني على الالتزام والشرعية، حيث تمّ الصلح على أساس العفو المطلق عن كل ما كان بين الفريقين، قبل إبرام الصلح، وبالفعل لم يعاقب معاوية أحداً بذنب سابق، وتأسس بذلك صلح الحسن على الإحسان والعفو، تأليفاً لقلوب الجماعة، خاصة وأنه كان بالخيار، وهذا هو العمل العظيم الذي قام به الحسن، حيث أعاد للأمة وحدتها ولحمتها من

(1) تاريخ الطبري (5/ 139 - 140) دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ص 66.
(2) دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ص 67.
(3) دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ص 67.
(4) التبيين في أنساب القُرشيين، ص 127.
(5) الخلفاء الراشدين، للنجار، ص 482.
(6) الدور السياسي للصفوة في صدر الإسلام، ص 341.

جديد، وقد تمّ بسط الأمن وحفظ الدماء في عهد معاوية إلى حد كبير، وقد اجتهد في قضايا سيأتي بيانها وتفصيلها في محله بإذن الله تعالى.

رابعاً: ولاية العهد، أم ترك الأمر شورى بين المسلمين:

قيل: ومما اتفق الجانبان عليه من الشروط أن يكون الأمر من بعد معاوية للحسن[1]، وإن معاوية وعد إن حدث به حدثٌ والحسن حي ليُسَمِّيَنَّه وليجعلنَّ الأمر إليه[2]، ولكن ابن أعثم روى في هذا الخصوص عن الحسن أنه قال: أما ولاية الأمر من بعده، فما أنا بالراغب في ذلك ولو أردت هذا الأمر لم أسالمه[3].

وجاء في نص الصلح الذي ذكره ابن حجر الهيثمي: . . . بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين[4]، وعند التدقيق في روايات طلب الحسن الخلافة بعد معاوية، نجد أنها تتنافى مع أنفة وقوة وكرم الحسن، فكيف يتنازل عن الخلافة حقناً لدماء المسلمين وابتغاء مرضاة الله ثم يوافق على أن يكون تابعاً يتطلب أسباب الدنيا، وتشرئب عنقه للخلافة مرة أخرى، والدليل على أن هذا غير صحيح ما ذكر جبير بن نضير قال: قلت للحسن بن علي: إن الناس يزعمون أنك تريد الخلافة، فقـ كانت جماجم العرب بيدي يسالمون من سالمت، ويحاربون من حاربت، فتركتها ابتغاء مرضاة الله[5].

ومن الملاحظ أن أحداً من أبناء الصحابة أو الصحابة لم يذكروا خلال بيعة يزيد شيئاً من ذلك، فلو كان الأمر كما تذكر الروايات عن ولاية عهد الحسن بعد معاوية، لاتخذها الحسين ابن علي ﷺ حجة، ولكن لم نسمع شيئاً من ذلك على الإطلاق مما يؤكد على أن مسألة خلافة الحسن لمعاوية لا أساس لها من الصحة، ولو كان الحسن ﷺ أسند إليه منصب ولاية العهد في الشروط لكان قريباً بعد معاوية من إدارة الدولة أو تولى إحدى الأقاليم الكبرى، لا أن يذهب إلى المدينة وينعزل عن إدارة شؤون الحكم، كما أن روح ذلك العصر يشير إلى أنّ مبدأ اختيار الأمة للحاكم عن طريق الشورى هو الأصل.

- سبُّ أمير المؤمنين علي بين معاوية والحسن:

تذكر كتب التاريخ أنّ الحسن ﷺ اشترط على معاوية ألا يُسبَّ عليٌّ وهو يسمع، وكأن الحسن عفا عن سب علي ﷺ وهو لا يسمع، ولذلك قال أستاذي وشيخي الدكتور محمد

(1) فتح الباري (13/ 70).
(2) سير أعلام النبلاء (3/ 264).
(3) الفتوح (3، 4 / 293).
(4) الصواعق المرسلة (2/ 299).
(5) البداية والنهاية (11/ 206).

بطاينة: فقد لا تكون هذه القضية بحثت بين الحسن ومعاوية[1]، وقد اتهم الشيعة معاوية ﷺ بحمل الناس على سب علي ولعنه فوق منابر المساجد، فهذه الدعوة لا أساس لها من الصحة، والذي يقصم الظهر أن الباحثين قد التقطوا هذه الفرية على هوانها دون إخضاعها للنقد والتحليل، حتى صارت عند المتأخرين من المُسلَّمات التي لا مجال لمناقشتها، ولم يثبت قط في رواية صحيحة، ولا يعول على ما جاء في كتب الدميري واليعقوبي وأبي الفرج الأصفهاني، علماً بأن التاريخ الصحيح يؤكد خلاف ما ذكره هؤلاء[2] من احترام وتقدير معاوية لأمير المؤمنين علي وأهل بيته الأطهار، فحكاية لعن علي على منابر بني أمية لا تتفق مع منطق الحوادث، ولا طبيعة المتخاصمين.

فإذا رجعنا إلى الكتب التاريخية المعاصرة لبني أمية، فإننا لا نجد فيها ذكراً لشيء من ذلك أبداً.. وإنما نجده في كتب المتأخرين الذين كتبوا تاريخهم في عصر بني العباس بقصد أن يسيئوا إلى سمعة بني أمية في نظر الجمهور الإسلامي، وقد كتب ذلك المسعودي في مروج الذهب وغيره من كتَّاب الشيعة الروافض، وقد تسربت تلك الأكذوبة إلى كتب تاريخ أهل السنة ولا يوجد فيها رواية صحيحة صريحة، فهذه دعوة مفتقرة إلى صحة النقل، وسلامة السند من الجرح، والمتن من الاعتراض، ومعلوم وزن مثل هذه الدعوى عند المحققين والباحثين، فكيف بها وقد صدرت من الروافض، ومعاوية ﷺ منزه عن مثل هذه التهم، بما ثبت من فضله في الدين، وكان محمود السيرة في الأمة، أثنى عليه بعض الصحابة ومدحه خيار التابعين، وشهدوا له بالدين والعلم، والعدل والحلم، وسائر خصال الخير[3]:

1 - فعن عمر بن الخطاب ﷺ قال لما ولّاه الشام: لا تذكروا معاوية إلا بخير[4].

2 - وعن علي ﷺ قال بعد رجوعه من صفين: أيها الناس لا تكرهوا إمارة معاوية، فإنكم لو فقدتموه رأيتم الرؤوس تندر عن كواهلها كأنها الحنظل[5].

3 - وعن ابن عمر أنه قال: ما رأيت بعد رسول الله ﷺ أسود[6] من معاوية، فقيل: ولا أبوك؟ قال: أبي عمر - ﷺ - خير من معاوية، وكان معاوية أسود منه[7].

---

(1) دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ص 68.
(2) الحسن والحسين، محمد رضا، ص 18، كلام المحقق د. أحمد أبو الشباب.
(3) الانتصار للصحب والآل، ص 367، للرحيلي.
(4) البداية والنهاية (8/ 25).
(5) المصدر السابق نفسه (8/ 134).
(6) من السيادة وسمي سيداً لأنه يسود سواد الناس، لسان العرب (3/ 229).
(7) السنة للخلال (1/ 443) سير أعلام النبلاء (2/ 152).

4 - وعن ابن عباس قال: ما رأيت رجلاً كان أخلق بالملك من معاوية[1]، وفي صحيح البخاري أنه قيل لابن عباس: هل لك في أمير المؤمنين معاوية فإنه ما أوتر إلا بواحدة، قال: إنه فقيه[2]، وذكر عند ابن عباس معاوية، فقال: لله درّ ابن هند ما أكرم حسبه، وأكرم مقدرته، والله ما شتمنا على منبر قط، ولا بالأرض ضنًّا منه بأحسابنا وحسبه[3].

5 - وعن عبد الله بن الزبير أنه قال: لله در ابن هند - يعني معاوية - إنا كنا لنفرقه[4]، وما الليث على براثنه بأجرأ منه، فيتفارق لنا، وإن كنا لنخدعه وما ابن ليلى من أهل الأرض بأدهى منه فيتخادع لنا، والله لوددت أنا متعنا به ما دام في هذا الجبل حجر، وأشار إلى أبي قبيس.

6 - وعن الزهري قال: عمل معاوية بسيرة عمر بن الخطاب سنين لا يخرم منها شيئاً. والآثار عن الصحابة والتابعين وأتباعهم كثيرة وإنما ذكرنا جزءاً منها.

كما أثنى على معاوية ﷺ العلماء المحققون في السير والتاريخ، ونقاد الرجال:

1 - يقول ابن تيمية رحمه الله: واتفق العلماء على أن معاوية أفضل ملوك هذه الأمة، فإن الأربعة قبله كانوا خلفاء نبوة، وهو أول الملوك، كان ملكه ملكاً ورحمة[5]. وقال: فلم يكن من ملوك المسلمين خير من معاوية، ولا كان الناس زمان ملك من الملوك خيراً منهم في زمان معاوية[6].

2 - وقال ابن كثير في ترجمة معاوية ﷺ: وأجمعت الرعايا على بيعته في سنة إحدى وأربعين.. فلم يزل مستقلاً بالأمر في هذه المدة إلى هذه السنة التي كانت فيها وفاته، والجهاد في بلاد العدو قائم، وكلمة الله عالية، والغنائم ترد إليه من أطراف الأرض، والمسلمون معه في راحة وعدل، وصفح وعفو[7].

3 - وقال ابن أبي العز الحنفي: وأول ملوك المسلمين معاوية، وهو خير ملوك المسلمين[8].

4 - وقال الذهبي في ترجمته: أمير المؤمنين ملك الإسلام[9]. وقال: معاوية من خيار الملوك الذين غلب عدلهم على ظلمهم[10].

وإذا ثبت هذا في حق معاوية ﷺ فإنه من أبعد المحال على من كانت هذه سيرته، أن

(1) البداية والنهاية (8/ 137).
(2) البخاري رقم: 3765.
(3) تاريخ دمشق (62/ 128، 129).
(4) الفَرَقَ: الخوف والفزع.
(5) مجموع الفتاوى (4/ 478).
(6) منهاج السنة (6/ 232).
(7) البداية والنهاية (8/ 122).
(8) شرح العقيدة الطحاوية، ص 722.
(9) سير أعلام النبلاء (3/ 120).
(10) المصدر السابق نفسه، (3/ 120).

يحمل الناس على لعن علي ﷺ على المنابر وهو من هو في الفضل، وهذا يعني أن أولئك السلف وأهل العلم من بعدهم الذين أثنوا عليه ذلك الثناء البالغ، قد مالؤوه على الظلم والبغي واتفقوا على الضلال[1]، وإنّ هذا من البهتان العظيم لأولئك العلماء من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم من العلماء الربانيين، ومن علم سيرة معاوية ﷺ في الملك، وما اشتهر به من الحلم والصفح، وحسن السياسة للرعية ظهر له أن ذلك من أكبر الكذب عليه، فقد بلغ معاوية ﷺ في الحلم مضرب الأمثال، وقدوة الأجيال[2]، وإليك بعض الأمثلة:

1 - قال عبد الملك بن مروان وقد ذكر عنده معاوية: ما رأيت مثله في حلمه واحتماله وكرمه[3].

2 - وقال قبيصة بن جابر: ما رأيت أحداً أعظم حلماً، ولا أكثر سؤدداً، ولا أبعد أناة، ولا ألين مخرجاً، ولا أرحب باعاً بالمعروف من معاوية[4].

3 - ونقل ابن كثير: أن رجلاً أسمع معاوية كلاماً سيئاً شديداً، فقيل له: لو سطوت عليه؟ فقال: إني لأستحي من الله أن يضيق حلمي عن ذنب أحد من رعيتي[5].

4 - وقال رجل لمعاوية: ما رأيت أنذل منك، فقال معاوية: بلى من واجه الرجال بمثل هذا[6]، فهل يعقل بعد هذا أن يسع حلم معاوية ﷺ سفهاء الناس وعامتهم المجاهرين له بالسب والشتائم، وهو أمير المؤمنين، ثم يأمر بعد ذلك بلعن الخليفة الراشد علي بن أبي طالب ﷺ على المنابر، ويأمر ولاته بذلك في سائر الأمصار والبلدان - ويبقى هذا السب إلى أن يأتي عمر بن عبد العزيز ﷺ فيلغي ذلك؟! والحكم في هذا لكل صاحب عقل وفهم[7].

وأما ما استدل به الإمامية على تلك الفرية من صحيح مسلم فليس فيه ما يدل على زعمهم، فعن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسب أبا تراب؟ فقال: أمّا ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله ﷺ فلن أسبه، لأن تكون لي واحدة منهن أحب إليّ من حمر النعم[8]. قال النووي: قول معاوية هذا ليس فيه تصريح بأنه أمر سعداً بسبه، وإنما سأله عن السبب المانع له من السب. كأنه يقول: هل امتنعت تورعاً أو خوفاً، أو غير ذلك، فإن كان تورعاً وإجلالاً له عن السب فأنت مصيب

(1) البداية والنهاية (8/ 138).
(2) المصدر السابق نفسه، ص 371.
(3) المصدر السابق نفسه (8/ 138).
(4) المصدر السابق نفسه (8/ 138).
(5) البداية والنهاية لابن كثير (8/ 138).
(6) البداية والنهاية لابن كثير (8/ 138).
(7) الانتصار للصحب والآل، ص 372.
(8) مسلم، كتاب: فضائل الصحابة (4/ 1871).

محسن، وإن كان غير ذلك فله جواب آخر، ولعل سعد قد كان في طائفة يسبون فلم يسب معهم، وعجز عن الإنكار أو أنكر عليهم، فسأله هذا السؤال.

قالوا: ويحتمل تأويلاً آخر أن معناه: ما منعك أن تخطئه في رأيه واجتهاده وتظهر للناس حسن رأينا واجتهادنا وأنه أخطأ[1]!

وقال أبو العباس القرطبي صاحب المفهم معلقاً على وصف ضرار الصُّدائي لعلي ﷺ وثنائه عليه بحضور معاوية، وبكاء معاوية من ذلك وتصديقه لضرار فيما قال: وهذا الحديث يدل على معرفة معاوية بفضل علي ﷺ ومنزلته، وعظيم حقه ومكانته، وعند ذلك يبعد عن معاوية أن يصرح بلعنه وسبّه، لما كان معاوية موصوفاً به من العقل والدين، والحلم وكرم الأخلاق، وما يروى عنه من ذلك فأكثره كذب لا يصح، وأصح ما فيها قوله لسعد بن أبي وقاص: ما يمنعك أن تسب أبا تراب؟ وهذا ليس بتصريح بالسب، وإنما هو سؤال عن سبب امتناعه ليستخرج ما عنده من ذلك، أو من نقيضه، كما قد ظهر من جوابه، ولما سمع ذلك معاوية، سكن وأذعن، وعرف الحق لمستحقه[2].

قال الدكتور إبراهيم الرحيلي صاحب الكتاب النفيس القيم (الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال): والذي يظهر لي في هذا والله أعلم: أن معاوية إنما قال ذلك على سبيل المداعبة لسعد، وأراد من ذلك استظهار بعض فضائل علي ﷺ فإن معاوية ﷺ كان رجلاً فطناً ذكياً، يحب مطارحة عقول الرجال واستخراج ما عندهم، فأراد أن يعرف ما عند سعد في علي ﷺ فألقى سؤاله بهذا الأسلوب المثير. وهذا مثل قوله ﷺ لابن عباس: أنت على ملة علي؟ فقال له ابن عباس: ولا على ملة عثمان، أنا على ملة رسول الله ﷺ[3]. فظاهر أن قول معاوية هنا لابن عباس جاء على سبيل المداعبة، فكذلك قوله لسعد هو من هذا الباب، وأما ما ادَّعى الإمامية من الأمر بالسب، فحاشا معاوية ﷺ أن يصدر منه مثل ذلك[4]، والمانع من هذا عدة أمور:

1 - أن معاوية نفسه ما كان يسب علياً ﷺ كما تقدم حتى يأمر غيره بسبه، بل كان معظِّماً له، معترفاً له بالفضل والسبق إلى الإسلام، كما دلت على ذلك أقواله الثابتة عنه.

أ - قال ابن كثير: وقد ورد من غير وجه: أن أبا مسلم الخولاني وجماعة معه دخلوا على

(1) شرح صحيح مسلم (15/ 175).
(2) المفهم للقرطبي (6/ 278).
(3) الإبانة (1/ 355)، شرح أصول اعتقاد الألكائي (1/ 94).
(4) الانتصار للصحب والآل، ص 374.

معاوية فقالوا له: هل تنازع علياً أم أنت مثله؟ فقال: والله إني لأعلم أنه خير مني وأفضل، وأحق بالأمر مني[1].

ب - ونقل ابن كثير أيضاً عن جرير بن عبد الحميد عن المغيرة قال: لما جاء خبر قتل علي إلى معاوية جعل يبكي، فقالت له امرأته: أتبكيه وقد قاتلته؟ فقال: ويحك إنك لا تدرين ما فقد الناس من الفضل والفقه والعلم[2]، فهل يسوغ في عقل ودين أن يسب معاوية عليًّا بل ويحمل الناس على سبه وهو يعتقد فيه هذا[3]!!

2 - أنه لا يعرف بنقل صحيح أن معاوية ﷺ - تعرض لعلي ﷺ - بسب أو شتم أثناء حربه له في حياته، فهل من المعقول أن يسبه بعد انتهاء حربه معه ووفاته، فهذا من أبعد ما يكون عند أهل العقول، وأبعد منه أن يحمل الناس على سبه وشتمه.

3 - أن معاوية ﷺ كان رجلاً ذكياً مشهوراً بالعقل والدهاء، فلو أراد حمل الناس على سب علي - حاشاه ذلك - أفكان يطلب ذلك من مثل سعد بن أبي وقاص ﷺ، وهو من هو في الشجاعة والفضل والورع، مع عدم دخوله في الفتنة أصلاً؛ فهذا لا يفعله أقل الناس عقلاً وتدبيراً، فكيف بمعاوية.

4 - أن معاوية ﷺ انفرد بالخلافة بعد تنازل الحسن بن علي ﷺ له، واجتمعت عليه الكلمة ودانت له الأمصار بالملك، فأي نفع له في سب علي؟ بل الحكمة وحسن السياسة تقتضي عدم ذلك، لما فيه من تهدئة النفوس، وتسكين الأمور، ومثل هذا لا يخفى على معاوية ﷺ الذي شهدت له الأمة بحسن السياسة والتدبير.

5 - أنه كان بين معاوية ﷺ بعد استقلاله بالخلافة وأبناء علي من الألفة والتقارب، ما هو مشهور في كتب السير والتاريخ[4]، ومن ذلك: أن الحسن والحسين وفدا على معاوية فأجازهما بمائتي ألف. وقال لهما: ما أجاز بهما أحد قبلي، فقال له الحسين: ولم تعط أحد أفضل منا[5]، ودخل مرة الحسن على معاوية فقال له: مرحباً وأهلاً بابن بنت رسول الله ﷺ، وأمر له بثلاثمائة ألف[6]. وهذا مما يقطع الكذب ما يدَّعى في حق معاوية من حمله الناس على سب علي، إذ كيف يحصل هذا مع ما بينه وبين أولاده من هذه الألفة والمودة والاحتفاء والتكريم؟ وبهذا يظهر الحق في هذه المسألة، وتتجلى الحقيقة[7].

---

(1) الانتصار للصحب والآل (8/ 133).
(2) المصدر السابق نفسه (8/ 133).
(3) المصدر السابق نفسه، ص 375.
(4) المصدر السابق نفسه، ص 376.
(5) البداية والنهاية (8/ 139).
(6) البداية والنهاية (8/ 140).
(7) الانتصار للصحب والآل، ص 377.

كما أن ذلك المجتمع في عمومه مقيد بأحكام الشرع حريص على تنفيذها، ولذلك كانوا أبعد الناس عن الطعن واللعن والقول الفاحش والبذيء، فعن ابن مسعود ﷺ - مرفوعاً -: «**ليس المؤمن بالطعان ولا باللعان ولا بالفاحش ولا البذيء**»[1] وقد نهى رسول الله ﷺ عن سب الأموات المشركين فكيف بمن يسب أولياء الله المصلحين؟ فعن عائشة ﷺ - مرفوعاً: «**لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا**»[2].

وبعد أن تمّ الصلح تنازل الحسن عن الخلافة - وتمّ بيان ذلك في حديثنا عن المراحل، وبذلك طويت صفحة من الخلاف والفرقة، واجتمعت الكلمة، وصار معاوية خليفة مجمعاً عليه، قيل: عام أربعين للهجرة[3]، ولكن ابن إسحاق[4] والواقدي[5]، وخليفة ابن خياط[6]، يجعلون ذلك عام واحد وأربعين للهجرة، ويختلفون في الشهر الذي وقع فيه الصلح من ذلك العام: أهو ربيع الأول أو ربيع الآخر، أو جمادى الأولى، أو جمادى الآخرة؟[7]، ومضى معاوية يقود مسيرة الأمة من غير أن يجعل للفتنة وأحداثها سبيلاً[8].

- موقف معاوية من قتلة عثمان:

وقد يسأل سائل عما فعل معاوية بقتلة عثمان بعد صيرورة الخلافة إليه؟ ويجيب ابن قتيبة في عيون الأخبار قائلاً: إن معاوية بن أبي سفيان لما قدم بعد عام الجماعة، دخل دار عثمان ابن عفان، فصاحت عائشة بنت عفان بن عثمان وبكت ونادت أباها، فقال معاوية: يا ابنة أخي، إن الناس أعطونا طاعة، وأعطيناهم أماناً، وأظهرنا لهم حلماً تحته غضب، وأظهروا لنا ذلاً تحته حقد، ومع كل إنسان سيفه ويرى موضع أصحابه، فإن نكثناهم نكثوا بنا، ولا ندري أعلينا تكون أم لنا، لأن تكوني ابنة عم أمير المؤمنين خير من أن تكوني امرأة من عرض الناس[9].

والذي يعتد به من كلام ابن قتيبة ما جاء عن العهود والمواثيق التي أبرمت بين معاوية

(1) صحيح ابن حبان رقم: 47، صححه الألباني في الصحيحة رقم: 320.
(2) البخاري رقم: 6516.
(3) المعجم الكبير للطبراني (3/ 26)، دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ص 69.
(4) تهذيب التهذيب (2/ 299) ترجمة الحسن بن علي.
(5) دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ص 69.
(6) تاريخ خليفة، ص 203.
(7) دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ص 69.
(8) المصدر السابق نفسه، ص 69.
(9) المصدر السابق نفسه، ص 70.

والحسن وقضت بالصلح بين الناس، ووضع الحرب، وحقن الدماء، وعدم تهييج النفوس، وإضافة إلى ذلك فإن السنوات الخمس التي احتضنت المعارك في الجمل وصفين والنهروان ومصر وغيرها ذهبت بأولئك الذين ترددت أسماؤهم بتهمة قتل عثمان، ومع ذلك فإن مسألة قتل عثمان ظلت حاضرة في ذهن الخلفاء من بني أمية ونوابهم في الأغلب.

وأما انتصار بني أمية لعثمان كان حقيقة لا شبهة فيها[1]، كما أن الصحابة الذين بايعوا معاوية ﷺ جميعاً يستحال أن يرضوا بسب علي على منابر الدولة الأموية ولا يتكلم منهم أحد أو يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر وإليك أسماؤهم، فقد روي عن الأوزاعي أنه قال: أكدت خلافة معاوية عدة من أصحاب رسول الله ﷺ منهم: سعد، وأسامة وجابر، وابن عمر، وزيد بن ثابت، ومسلمة بن مخلد، وأبو سعيد الخدري، ورافع بن خديج، وأبو أمامة، وأنس بن مالك، ورجال أكثر مما سميت أضعافاً مضاعفة، كانوا مصابيح الهدى، وأوعية العلم، حضروا من الكتاب تنزيله، وأخذوا عن رسول الله تأويله، ومن التابعين لهم بإحسان إن شاء الله، منهم: عبد الرحمٰن بن الأسود بن عبد يغوث، وسعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وعبد الله بن محيريز في أشباه له، لم ينزعوا يده عن مجامعة في أمة محمد ﷺ[2].

من نتائج الصلح:

أولاً: توحد الأمة تحت قيادة واحدة:

سجل في ذاكرة الأمة عام الجماعة وأصبح هذا الحدث من مفاخرها التي تزهو به على مر العصور، وتوالي الدهور، فقد التقت الأمة على زعامة معاوية، ورضيت به أميراً عليها، وابتهج خيار المسلمين بهذه الوحدة الجامعة، بعد الفرقة المشتتة، وكان الفضل في ذلك لله ثم للسيد الكبير مهندس المشروع الإصلاحي العظيم الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ، ويعد عام الجماعة من علامة نبوة المصطفى ﷺ وفضيلة باهرة من فضائل الحسن.

ولا يلتفت إلى ما قاله العقاد في عام الجماعة في هجومه الخاطئ على المؤرخين الذين سمّوا سنة إحدى وأربعين هجرية بعام الجماعة، فقد قال: فليس أضل ضلالاً، ولا أجهل جهلاً من المؤرخين الذين سموا سنة إحدى وأربعين هجرية بعام الجماعة لأنها السنة التي استأثر فيها معاوية بالخلافة فلم يشاركه أحد فيها، لأن صدر الإسلام لم يعرف سنة تفرقت فيها

(1) دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ص 70.

(2) البداية والنهاية (8/ 33) نقلاً عن أثر العلماء في الحياة السياسية في الدولة الأموية، عبد الله الخرعان، ص 83.

الأمة كما تفرقت في تلك السنة، ووقع فيها الشتات بين كل فئة من فئاتها كما وقع فيها[1].

والعقاد رحمه الله لم يأتِ بجديد في حكمه الخاطئ بل سبقه إليه كثير من مؤرخي الشيعة الإمامية، ويكفي معاوية فخراً أن كل الصحابة الأحياء في عهده بايعوه، فقد بايع معاوية جمٌّ غفير من صحابة رسول الله ﷺ[2]، وفي ذلك يقول ابن حزم: فبويع الحسن ثمّ سُلِّم الأمر إلى معاوية، وفي بقايا الصحابة من هو أفضل منهما بلا خلاف ممن أنفق قبل الفتح وقاتل، وكلهم أولهم عن آخرهم بايع معاوية، ورأى إمامته[3].

ونتعلم من فقه الحسن وموقف الصحابة من بيعة معاوية فهمهم العميق لآيات النهي عن الاختلاف، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 153] فالصِّراط المستقيم هو: القرآن، والإسلام، والفطرة التي فطر الله النَّاس عليها، والسُّبل هي: الأهواء، والفرق، والبدع، والمحدثات، قال مجاهد: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ يعني: البدع، والشُّبهات، والضلالات[4].

ونهى الله سبحانه وتعالى هذه الأمة عمّا وقعت فيه الأمم السابقة من الاختلاف والتفرق من بعد ما جاءتهم البيِّنات، وأنزل الله إليهم الكتب، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: 105]. ونهى الأمّة أن تكون من المشركين، الذين فرّقوا دينهم، وكانوا شيعاً، فقال عز من قائل: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: 30 - 32].

وأخبر سبحانه وتعالى: أن الرسول ﷺ بريء من الذين يفرّقون دينهم ويكونون شيعاً وأحزاباً[5]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: 159]، وقد أمر الله تعالى بالاعتصام بحبله، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا...﴾.

لقد تحقق بفضل الله تعالى ثم بنجاح الحسن بن علي في صلحه مع معاوية مقصد عظيم

(1) معاوية بن أبي سفيان، ص 125، للعقاد.
(2) مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، ص 167.
(3) الفصل (5/ 6).
(4) تفسير مجاهد، ص 227.
(5) دراسات في الأهواء والفرق والبدع، ناصر العقل، ص 49.

من مقاصد الشريعة من وحدة المسلمين واجتماعهم، وهذا المقصد من أهم أسباب التمكين لدين الله تعالى، ونحن مأمورون بالتواصي بالحقِّ والتواصي بالصبر، فلا بد من تضافر الجهود بين الدُّعاة، وقادة الحركات الإسلاميّة، وبين علماء المسلمين، وطلبة العلم لإصلاح ذات البين إصلاحاً حقيقياً لا تلفيقياً، لأن أنصاف الحلول تفسد أكثر ممَّا تصلح، وقد تحدث الشيخ عبد الرحمٰن السعدي على الجهاد المتعلِّق بالمسلمين بقيام الألفة، واتفاق الكلمة، وبعد أن ذكر الآيات والأحاديث الدّالة على وجوب تعاون المسلمين ووحدتهم قال: فإن من أعظم الجهاد السَّعي في تأليف قلوب المسلمين، واجتماعهم على دينهم، ومصالحهم الدينيَّة والدنيوية[1]، إن الأخذ بالأسباب نحو تأليف قلوب المسلمين، وتوحيد صفهم من أعظم الجهاد، لأن هذه الخطوة مهمة جداً في إعزاز المسلمين، وإقامة دولتهم، وتحكيم شرع ربهم، وهذا من فقه الخلفاء الراشدين، ويتجلَّى في أبهى صورة في تنازل الحسن بن علي ﷺ لمعاوية ﷺ من أجل وحدة الأمة، وحفظ دمائها، والأجر والمثوبة عند الله.

ثانياً: عودة الفتوحات إلى ما كانت عليه:

إن دعوة الناس للدخول في دين الله تعالى من مقاصد الإسلام الكبرى ومن الوسائل التي استخدمت في عهد الراشدين: حركة الفتوحات المباركة، وتعد الفتنة التي أدت إلى استشهاد عثمان ﷺ أكبر معوق أصاب الدعوة الإسلامية بعد حركة الردة أيام أبي بكر ﷺ، حيث أدى استشهاد عثمان إلى توقف الجهاد، واتجاه سيوف المسلمين إلى بعضهم في فتنة كادت تعصف بالأمة الإسلامية لولا أن تداركتها رحمة الله - سبحانه وتعالى - بصلح الحسن بن علي ﷺ مع معاوية ﷺ، وقد امتلأت المصادر بالنصوص التي تبين أثر الفتنة في انحسار حركة الجهاد[2] وفيما يلي بعضها:

1 - عن الحسن بن علي ﷺ أنه قال: قد رأيت أن أعمد إلى المدينة فأنزلها وأخلي بين معاوية وبين هذا الحديث، فقد طالت الفتنة، وسفكت فيها الدماء، وقطعت فيها الأرحام، وقطعت السبل، وعُطِّلت الفروج - يعني الثغور[3].

2 - ما أخرجه أبو زرعة الدمشقي بإسناده، قال: لما قتل عثمان، واختلف الناس، لم تكن للناس غازية، ولا صائفة، حتى اجتمعت الأمة على معاوية[4].

---

(1) وجوب التعاون بين المسلمين، ص 5.
(2) مرويات خلافة معاوية، ص 309.
(3) الطبقات، تحقيق السُّلمي (1/ 331).
(4) مرويات خلافة معاوية، ص 310.

3 - قول أبي بكر المالكي: فوقعت الفتنة.. واستشهد عثمان ﷺ، وولي بعده علي ﷺ، وبقيت إفريقية على حالها إلى ولاية معاوية ﷺ [1].

فمن نتائج الصلح: عودة حركة الفتوحات إلى ما كانت عليه وأصبحت في عهد معاوية ثلاث جبهات رئيسة هي:

1 - جبهة الروم:

وتعتبر هذه الجبهة من أهم الجبهات، وأخطرها، نظراً لقوة الروم، ومجاورتهم لبلاد المسلمين، هذا فضلاً عن امتلاكهم لجيوش برية وأساطيل بحرية على درجة كبيرة من التنظيم والخبرة، مما دفع المسلمين لقتال الروم في البر والبحر معاً.

2 - جبهة المغرب:

وهذه الجبهة ترتبط بجبهة الروم برباط وثيق، وذلك لوجود مستعمرات رومية على بلاد المغرب كان لها أثر كبير في عرقلة حركة الفتوحات الإسلامية في المنطقة.

3 - جبهة سجستان وخراسان وما وراء النهر[2]:

تعتبر سجستان وخراسان من أوائل البلاد التي انتقضت على المسلمين بعد استشهاد عثمان[3] ﷺ. وقد ترك معاوية ﷺ معالم واضحة في سياسته الجهادية أوردها خليفة بن خياط في تاريخه حيث قال: كان آخر ما أوصاهم به معاوية أن شُدّوا خِناق الروم، فإنكم تضبطون بذلك غيرهم من الأمم[4]، وقد سلك معاوية خطوات لتحقيق هذه السياسة في أثناء خلافته:

أ - التركيز على عمليات الصوائف والشواتي، من أجل تحقيق عدة أهداف منها:

* استنزاف قوى الروم.
* انتزاع زمام المبادرة من الروم وجعلهم في حالة دفاع مستمر.
* إرغام الروم على توزيع قواتهم بحيث لا يستطيعون القيام بهجمات حاسمة وقوية ضد الدولة الإسلامية.

ب - مهاجمة الروم في عقر دارهم ومحاصرة عاصمتهم، وما يترتب على ذلك من إضعاف معنوياتهم، وقذف الرعب في قلوبهم.

---

(1) رياض النفوس (1/ 27).
(2) يقصد بمصطلح ما وراء النهر تلك البلاد الواقعة وراء نهر جيحون.
(3) مرويات خلافة معاوية، ص 314.
(4) تاريخ خليفة، ص 230.

ج - تقليص النفوذ البحري للروم عن طريق فتح الجزر الواقعة في بحر الشام، وما يترتب على ذلك من حرمان سفن الروم من قواعدها البحرية.

وأما سياسة معاوية ﷺ في جبهة المغرب فكانت كالتالي:

1 - أولى معاوية ﷺ جبهة المغرب اهتماماً خاصاً تمثل بارتباط هذه الجبهة به شخصياً، حيث كان معاوية ﷺ المرجع المباشر لقادة هذه الجبهة إلى سنة 47 هـ، وهي السنة التي ضُمت فيها جبهة المغرب إلى والي مصر.

2 - عمل معاوية ﷺ على إقامة قاعدة جهادية متقدمة في قلب بلاد المغرب تكون عزًّا للإسلام والمسلمين وذلك ببناء مدينة القيروان[1].

وأما سياسة معاوية ﷺ في جبهة سجستان وخراسان وما وراء النهر فكانت:

1 - استعانة معاوية ﷺ بفاتح سجستان وخراسان أيام عثمان ﷺ، وهو عبد الله بن عامر ﷺ، وتكليفه بإعادة فتحها مرة أخرى.

2 - العمل على تثبيت الحكم الإسلامي، ونشر دعوة الإسلام في هذه المنطقة عن طريق إسكان خمسين ألفاً من العرب بعيالاتهم في خراسان[2]. فلولا الله سبحانه وتعالى ثم تنازل الحسن بن علي لمعاوية ما عادت حركة الجهاد والفتوحات إلى ما كانت عليه، فمن نتائج الصلح تحقيق هذا المقصد الشرعي العظيم، فالوحدة بين المسلمين على كتاب الله وسنة رسوله لها ثمار طيبة في دنيا المسلمين، فلو استوعبت الأمة عموماً وقيادتها خصوصاً هذا المقصد العظيم وطبقتها في حياتها لكان حالها في صعود وارتقاء.

ثالثاً: تفرغ الدولة للخوارج:

من نتائج الصلح تفرغ الدولة الإسلامية للخوارج، فقد استطاع معاوية أن يضعف من شوكتهم وقوتهم، وتصدى لحركة فروة بن نوفل الأشجعي، وحركة المستورد بن عُلف التيمي، وحركة حيان بن ظبيان السلمي، وهذه الحركات ظهرت في الكوفة[3]، وأما حركة يزيد الباهلي وسهم الهجيمي، وحركة قريب الأزدي وزحاف الطائي، وغيرهم فكانت بالبصرة[4].

ولسنا في محل تفصيل هذا الصراع بين الدولة الإسلامية والخوارج، ولكننا في محل

(1) مرويات خلافة معاوية، ص 363.
(2) مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، ص 364، 365.
(3) المصدر السابق نفسه، ص 179، 196.
(4) المصدر السابق نفسه، ص 197 إلى 208.

تقرير نتيجة طبيعية من نتائج الصلح، وهي التضييق والتصدي للخوارج، ولذلك اتسمت حركة الخوارج في عهد معاوية ﷺ بالعشوائية والارتجال وقلة التنظيم، وكانت أشبه ما يكون بعمليات انتحار جماعي، لأنهم: يخرجون بفئات قليلة لا تلبث أن تستأصل، افتقارهم إلى قيادة واعية ومحنكة تستطيع استثمار شجاعتهم وفروسيتهم لتحقيق أهدافهم، تكرارهم لأخطاء بعضهم وعدم استفادة كل حركة من تجربة سابقتها، استبعادهم لأسلوب الحوار والمناظرة في دعوتهم، ومحاولة فرض فكرهم على المجتمع المسلم بالقوة، اختلاط الدوافع الدينية التي دعتهم للخروج - بزعمهم - مع دوافع العصبية الجاهلية في حركاتهم، والمتمثلة بخروج بعضهم ثأراً لمن قتل من أصحابهم، شعورهم بالغربة داخل المجتمع المسلم، ونفورهم منه، واقتناعهم أن قتال أهل القبلة أولى من جهاد الكفار، عدم بحثهم عن أرض جديدة لنشر دعوتهم، واقتصارهم على بعض مدن العراق، وخاصة الكوفة والبصرة[1]، فمن نتائج الصلح الملموسة: التضييق على حركة الخوارج.

- انتهاء عهد الخلافة الراشدة:

انتهى عهد الخلافة الراشدة على منهاج النبوة بتنازل الحسن بن علي لمعاوية ﷺ، فقد قال رسول الله ﷺ: «**تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء أن تكون، يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضاً فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة**» ثم سكت[2]. وقد بين رسول الله ﷺ فقال: «**خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله الملك، أو ملكه من يشاء**»[3]، وقوله ﷺ: «**الخلافة في أمتي ثلاثون سنة، ثم ملك بعد ذلك**»[4]، وإنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن، فإنه نزل عن الخلافة لمعاوية في ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين، وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله ﷺ، فإنه توفي في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وهذا من دلائل نبوته صلوات الله وسلامه عليه وسلم تسليماً[5]. وبذلك تكون مرحلة خلافة النبوة قد انتهت بتنازل الحسن ﷺ عن الخلافة

(1) مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، ص 209، 210.
(2) مسند أحمد (4/ 371 - 272)، سلسلة الأحاديث الصحيحة.
(3) سنن أبي داود شرح عون المعبود (12/ 259)، صحيح سنن الألباني (3/ 879).
(4) سنن الترمذي شرح تحفة الأحوذي (6/ 395 - 397) حديث حسن.
(5) البداية والنهاية (8/ 16).

لمعاوية في شهر ربيع الأول من سنة 41هـ[1] فالحديث النبوي الكريم أشار إلى مراحل تاريخية وهي:

1 - عهد النبوة.
2 - عهد الخلافة الراشدة.
3 - عهد الملك العضوض[2].
4 - عهد الملك الجبري.
5 - ثم تكون خلافة على منهاج النبوة.

وقد بين رسول الله ﷺ بأنه ستكون خلافة نبوة ورحمة ثم يكون ملك ورحمة[3]. ويجوز تسمية من أتوا بعد الخلفاء الراشدين خلفاء وإن كانوا ملوكاً، ولم يكونوا خلفاء الأنبياء بدليل ما رواه البخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**كانت بنو إسرائيل يسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لا نبي بعدي، وستكون خلفاء فتكثر**». قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «**وفوا ببيعة الأول فالأول، ثم أعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم**»[4]، فقوله: «**فتكثر**» دليل على من سوى الراشدين فإنهم لم يكونوا كثيراً، وأيضاً قوله: «**وفوا بيعة الأول فالأول**» دل على أنهم يختلفون؛ والراشدون لم يختلفوا، وقوله: «**فأعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم**»، دليل على مذهب أهل السنة في إعطاء الأمراء حقهم من المال والمغنم[5]، فمعاوية رضي الله عنه أفضل ملوك هذه الأمة، والذين كانوا قبله خلفاء نبوة، وأما هو فكانت خلافته ملكاً، وكان ملكه ملكاً ورحمة، وكان في ملكه من الرحمة والحلم ونفع المسلمين، ما يعلم أنه كان خيراً من ملك غيره[6]، ومعاوية رضي الله عنه وإن كان عالماً ورعاً عدلاً، دون الخلفاء الأربعة في العلم والورع والعدل، كما ترى من التفاوت بين الأولياء؛ بل الملائكة والأنبياء، فإمارته وإن كانت صحيحة بإجماع الصحابة وتسليم الحسن رضي الله عنه إلا أنها ليست على منهاج خلافة من قبله، فإنه توسع في المباحات، وتحرز عنها الخلفاء الأربعة، وأما رجحان الخلفاء الأربعة في العبادات والمعاملات فظاهر مما لا سترة فيه[7].

---

(1) مرويات خلافة معاوية، ص 165.
(2) العضوض: الشديد فيه عسف وعنف وظلم.
(3) سنن الدارمي (2/ 114) الأشربة، الفتاوى (035/ 14).
(4) البخاري رقم: 3455.
(5) الفتاوى (35/ 15).
(6) الفتاوى (4/ 292).
(7) الناهية عن طعن أمير المؤمنين معاوية، ص 78.

وقد حدد ابن خلدون مدى التغير الذي حدث، فقرر أن الخلافة وإن كانت تحولت إلى ملك، فإن معاني الخلافة قد بقيت - بعضها - وإنما كان التغير في الوازع، فبعد أن كان ديناً انقلب عصبية وسيفاً: يقصد بذلك أنه بعد أن كان الناس يتصرفون بوازع الدين، والخلافة شورى، صار الحكم مستنداً إلى العصبية والقوة، ولكن معاني الخلافة أي مقاصدها وأهدافها بقيت، أي أن غايات هذا الملك كانت لا تزال تحقيق مقاصد الدين والحكم وفق الشريعة الإسلامية بالعدل وتنفيذ الواجبات التي يأمر بها الإسلام: أي أن الحكم أو الملك استمر إسلامياً وشرعياً[1].

ولخص الأدوار التي مرت بها الخلافة فقال: فقد تبين أن الخلافة قد وجدت بدون الملك أولاً، ثم التبست معانيها واختلطت بالملك، ثم انفرد الملك حيث افترقت عصبية الخلافة والله مقدر الليل والنهار[2]، فالدور الأول الذي يشير إليه هو عصر الخلفاء الراشدين وهو عصر الخلافة الخالصة أو الكاملة، والدور الثاني هو عصر الخلفاء الأمويين والعباسيين - ولا يمنع كذلك العثمانيين - وهذا عصر الخلافة المختلطة بالملك أو الملك المختلط بالخلافة: أي الذي يحقق في نفس الوقت مقاصد الخلافة، أما الدور الثالث فهو عصر الملك المحض الذي صار يقصد لذات الملك والأغراض الدنيوية، وانفصل عن حقيقة الخلافة أو معانيها الدينية[3]، فهذا وصف أو تفسير ابن خلدون المؤرخ الفقيه للتطور الذي حدث والأدوار التي مرت بها الخلافة.

إن الخلافة الحقيقية أو الكاملة أو خلافة النبوة استمرت ثلاثين عاماً وهو عصر الخلفاء الراشدين، ثم تحولت إلى ملك، ولكن لكي نعبر عن الحقيقة يجب أن يراعى هذا التحديد، وهو أن الخلافة لم تنته أو تذهب كلية، وإنما بقيت معانيها أو مقاصدها، وأن التغير حصل في الأساس الذي قامت عليه، أما حقيقتها فقد بقيت، فالتغير إذن لم يكن كلياً ولكن جزئياً: أي أن الخلافة في العصر الأول كانت هي الخلافة الكاملة المثالية، ثم نقصت عن المثال من وجه أو بعض الوجوه، لكن معظم عناصره بقيت، فهي خلافة أقل في الرتبة أو خلافة مختلطة بالملك[4]، والرأي العام في الإسلام يتمسك بالمثال، أو خلافة النبوة، أو الخلافة الكاملة، وهي تلك التي تقوم على الشورى والاختيار التام من الأمة، وأنه إذا كانت الظروف الواقعية والعوامل الاجتماعية قد حتمت أو أدت إلى هذا التطور، فإن تحمل ذلك أو قبوله لا يكون إلا

(1) النظريات السياسية للريس، ص 194، نقلاً عن المقدمة.
(2) مقدمة ابن خلدون، النظريات السياسية، ص 195.
(3) المصدر السابق نفسه، ص 195.
(4) المصدر السابق نفسه، ص 196.

مؤقتاً أو من باب الضرورة، ولكن يلزم أن يكون المثل الكامل حاضراً دائماً في فكر الرأي العام، وبمجرد أن تزول تلك العوامل والظروف تجب العودة إلى تحقيق المثل الكامل، ولذا فإن الكتابات الإسلامية الأصيلة ظلت ملتزمة ومتشبثة بالمثال الكامل ولا تستخلص مبادئها إلا منه، وتفرق بين الخلافة وهي الخلافة الحقيقية الشرعية، والخلافة الواقعية التي بعدت قليلاً أو كثيراً عن الحقيقة[1].

وقد ذكر ابن تيمية: أن مصير الأمر - أي الخلافة - إلى الملوك ونوابهم من الولاة والقضاة والأمراء ليس لنقص فيهم فقط، بل لنقص في الراعي والرعية جميعاً، فإنه كما تكونوا يولّ عليكم، وقد قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا﴾[2] [الأنعام: 129] لقد ذهبت دولة الخلفاء الراشدين، وصار ملكاً وظهر النقص في الأمراء، وكذلك في أهل العلم والدين وجمهور الصحابة انقرضوا بانقراض خلافة الخلفاء الأربعة، حتى إنه لم يبقَ من أهل بدر إلا نفر قليل، وجمهور التابعين بإحسان انقرضوا في أواخر عصر أصاغر الصحابة في إمارة الزبير وعبد الملك، وجمهور تابعي التابعين انقرضوا في أواخر الدولة الأموية، وأوائل الدولة العباسية[3].

- هل معاوية رضي الله عنه يعتبر أحد الخلفاء الاثني عشر؟

عن جابر بن سمرة رضي الله عنه: دخلت مع أبي على النبي ﷺ، فسمعته يقول: «**إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة**»، قال: ثم تكلم بكلام خفي عليَّ، قال: فقلت لأبي: ما قال؟ قال: «**كلهم من قريش**»[4]، وفي رواية أخرى عن جابر: «**لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة.. كلهم من قريش**»[5] وفي رواية أخرى عنه: «**لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة... كلهم من قريش**»[6]، زاد أبو داود في سننه، بإسناده عن جابر رضي الله عنه قال: فلما رجع إلى منزله أتته قريش فقالوا: ثم يكون ماذا؟ قال: «**ثم يكون الهرج**»[7] [8].

---

(1) مقدمة ابن خلدون، النظريات السياسية، ص 197.
(2) الفتاوى (35/ 15).
(3) الفتاوى (10/ 207).
(4) صحيح مسلم على شرح النووي (12/ 502).
(5) صحيح مسلم على شرح النووي (12/ 503).
(6) صحيح مسلم على شرح النووي (12/ 203).
(7) هرج الناس: وقعوا في فتنة واختلاط وقتل، القاموس المحيط، ص 268.
(8) سنن أبي داود مع شرحها عون المعبود (11/ 249)،، صحيح سنن الألباني (3/ 807).

وقد شرح ابن كثير هذا الحديث فقال: ومعنى هذا الحديث البشارة بوجود اثني عشر خليفة صالحاً يقيم الحق ويعدل فيهم، ولا يلزم من هذا تواليهم وتتابع أيامهم، بل قد وجد منهم أربعة على نسق وهم: الخلفاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ، ومنهم عمر بن عبد العزيز بلا شك عند الأئمة وبعض بني العباس، ولا تقوم الساعة حتى تكون ولايتهم لا محالة، والظاهر أن منهم المهدي المُبشَّر به في الأحاديث الواردة بذكره... وإضافة لمن ذكرهم ابن كثير نضيف خامس الخلفاء الراشدين أمير المؤمنين الحسن ﷺ، وقد ناقشت معتقد أهل السنة والشيعة الإمامية في المهدي المنتظر في كتابي: (أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب شخصيته وعصره)، فمن أراد التفصيل فليرجع إليه مشكوراً، وبالنسبة لمرحلة الخلفاء الاثني عشر فإنه استناداً إلى الوجه الذي ذكره ابن كثير، فإن هذه المرحلة تمتاز بأن مداها الزمني يتخلَّل المراحل الأخرى كلها، وخلفاء هذه المرحلة يكون ظهورهم في الأمة متتابعاً ومتفرقاً - وهذا من رحمة الله سبحانه وتعالى بهذه الأمة - ويبدأ ظهورهم من وفاة الرسول ﷺ - أي بخلافة أبي بكر ﷺ وتكتمل هذه المرحلة بظهور آخرهم في آخر الزمان حيث يعقب خلافته الهَرْج[1].

وقد ذكر ابن كثير أن من خلفاء هذه المرحلة عمر بن عبد العزيز ﷺ، ولما كان معاوية ﷺ أفضل من عمر بن عبد العزيز، فهذا يعني دخول معاوية ﷺ في خلفاء هذه المرحلة، هذا والله تعالى أعلم. وقد تقدم بيان شيء من فضائل معاوية ﷺ.

هل الحسن بن علي ﷺ تنازل لمعاوية من موقف قوة أو موقف ضعف؟

تنازل الحسن بن علي ﷺ لمعاوية من موقف قوة وهناك دلائل تُشير إلى ذلك منها:

1 - الشرعية التي كان يملكها الحسن:

فقد كانت بيعته في شهر رمضان من سنة 40 هـ، وذلك بعد استشهاد أمير المؤمنين علي ﷺ، وقد اختير الحسن بعده اختياراً شورياً وأصبح الخليفة الشرعي على الحجاز واليمن والعراق وكل الأماكن التي كانت خاضعة لوالده، وقد استمر في خلافته ستة أشهر وتلك المدة تدخل ضمن الخلافة الراشدة التي أخبر عنها رسول الله ﷺ بأن مدتها ثلاثون سنة ثم تصير ملكاً، فقد روى الترمذي بإسناده إلى رسول الله ﷺ حيث قال: «**الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك**»[2].

(1) مرويات خلافة معاوية، ص 165.

(2) سنن الترمذي مع شرحها تحفة الأحوذي (6/ 395 - 397) حديث حسن.

وقد علق ابن كثير على هذا الحديث فقال: إنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي، فإنه نزل عن الخلافة لمعاوية في ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين، وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله ﷺ فإنه توفي في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وهذا من دلائل النبوة صلوات الله وسلامه عليه وسلم تسليماً[1]، وبذلك يكون الحسن ابن علي خامس الخلفاء الراشدين[2].

وقد تحدث عن شرعية الحسن بالخلافة كثير من علماء أهل السنة منهم: أبو بكر بن العربي[3]، والقاضي عياض[4]، وابن كثير[5]، وشارح الطحاوية[6]، والمناوي[7] وابن حجر الهيثمي[8]، ولو أراد الحسن أن يتعب معاوية بحكم أن الشرعية معه لأمكن ذلك، ولرتب حملة إعلامية منظمة في أوساط أهل الشام لكسب ثقتهم أو على الأقل زعزعة موقف معاوية بينهم، فقد كان يملك قوة معنوية ونفوذ روحي لا يستهان به بحكم الشرعية التي يستند إليها، ولكونه حفيد الرسول ﷺ.

2 - تقييم الحسن بن علي للموقف وقدراته القيادية:

فعندما قال له نفير بن الحضرمي: إن الناس يزعمون أنك تريد الخلافة، فقال: كانت جماجم العرب بيدي، يسالمون من سالمت ويحاربون من حاربت، فتركتها ابتغاء وجه الله[9]. فهذه شهادة من الحسن رضي الله عنه، بأنه كان في وضع قوي، وبأن أتباعه على استعداد لمحاربة من يريد أو مسالمتهم، كما كان رضي الله عنه يملك من الملكات الخطابية والفصاحة البيانية، وصدق العاطفة وقوة التأثير، والقرابة من رسول الله ﷺ ما يجعله أكثر قوة وتماسكاً، ودليلنا على ذلك ما قام به من استنفار أهل الكوفة للخروج مع والده، وكان أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قد ثبط الناس ونهاهم عن الخروج والقتال والفتنة، وأسمعهم ما سمعه من رسول الله ﷺ من التحذير من الاشتراك في الفتنة[10]، فقد أرسل علي رضي الله عنه قبل الحسن محمد بن أبي بكر، ومحمد بن جعفر، ولكنهما لم ينجحا في مهمتهما، وأرسل علي بعد ذلك

(1) البداية والنهاية (11/ 134).
(2) مآثر الإنافة (1/ 105) مرويات خلافة معاوية، ص 155.
(3) أحكام القرآن لابن العربي (4/ 1720).
(4) شرح النووي على صحيح مسلم (12/ 201).
(5) البداية والنهاية (11/ 134).
(6) شرح الطحاوي، ص 545.
(7) فيض القدير (2/ 4099).
(8) الصواعق المحرقة (2/ 397).
(9) البداية والنهاية (11/ 206).
(10) تاريخ الطبري (5/ 514) مصنف ابن أبي شيبة (15/ 12) إسناده حسن.

هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، ففشل في مهمته لتأثير أبي موسى عليهم[1] وأتبعه علي بعبد الله ابن عباس، فأبطؤوا عليه، فأتبعه بعمار بن ياسر والحسن[2]، وكان للحسن أثر واضح، فقد قام في الناس خطيباً وقال: أيها الناس، أجيبوا دعوة أميركم، وسيروا إلى إخوانكم، فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفر إليه، والله لأن يليه أولو النهى[3]، أمثل في العاجلة وخير في العاقبة، فأجيبوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به[4] وابتليتم. ولبى كثير من أهل الكوفة وخرجوا مع عمار والحسن إلى علي ما بين الستة إلى سبعة آلاف رجل[5]، ولا ننسى أن أبا موسى الأشعري كان والياً على الكوفة، ومن قيادات العراق المحبوبين من عهد عمر، وهو من هو في علمه وزهده ومكانته عند الناس، ومع ذلك فقد استطاع الحسن أن يكسب أهل الكوفة لصفه وخرجوا معه.

3 - أن صف الحسن بن علي كان يملك من القيادات الكبيرة:

كأخيه الحسين، وابن عمه عبد الله بن جعفر، وقيس بن سعد بن عبادة - وهو من دهاة العرب - وعدي بن حاتم وغيرهم، فلو أراد الخلافة لأعطى المجال لقياداته للتحرك نحو تعبئة الناس والدخول في الحرب مع معاوية، وعلى الأقل يكون خليفةً على دولته إلى حين.

4 - كانت له قدرات خاصة في التعامل مع أهل العراق ومعرفة نفوسهم:

ولذلك زاد لهم في العطاء منذ بداية خلافته، كما أن مهمته التي قادها في نجاح مشروعه الإصلاحي كانت أصعب من حربه لمعاوية، ومع ذلك تغلب على الكثير من العوائق التي واجهته، فقد حاولوا قتله، ورفض بعض الناس الصلح وغير ذلك من العوائق، إلا أنه تغلب عليها كلها وحقق الأهداف التي رسمها من حقن الدماء، ووحدة الأمة، وأمن السبيل، وعودة حركة الفتوح.. إلخ، مما يدل على قدراته القيادية الفذّة.

5 - تقييم عمرو بن العاص ومعاوية لقوات الحسن ﷺ:

فقد جاء في البخاري: استقبل الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو ابن العاص: إني أرى كتائب لا تُولي حتى تقتل أقرانها. فقال معاوية - وكان خير الرجلين -: أي عمرو، إن قتل هؤلاء هؤلاء من لي بأمور الناس؟ من لي بنسائهم؟ من لي بضيعتهم؟ فبعث

(1) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص 144، سير أعلام النبلاء (3/ 486).
(2) فتح الباري (13/ 53)، علي بن أبي طالب للصلّابي (2/ 60).
(3) تاريخ الطبري (5/ 516) أولو النهى: أصحاب العقول.
(4) تاريخ الطبري (5/ 516).
(5) مصنف عبد الرزاق (5/ 456 - 457) بسند صحيح إلى الزهري.

إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس - عبد الرحمٰن بن سمرة وعبد الله بن عامر بن كريز - فقال: اذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه وقولا له، واطلبا إليه[1].

أ - فعمرو بن العاص ﷺ القائد العسكري الشهير والسياسي المحنك والذي عركته الحروب يقول: إني أرى كتائب لا تولي حتى تقتل أقرانها.

ب - وأما معاوية ﷺ، فتقييمه للموقف العسكري: بأنه لا يستطيع أحد أن ينتصر ويحقق حسماً عسكريًا إلا بعد خسائر فادحة للطرفين، ولا يستطيع معاوية حتى لو كان هو المنتصر أن يتحمل تركة الحرب من أرامل وأيتام وقتل خير المسلمين، وما يترتب على ذلك من مفاسد كبرى اجتماعية وسياسية واقتصادية، وأخلاقية للأمة الإسلامية وغيرها.

ج - ولذلك اختار معاوية ﷺ شخصيتين كبيرتين من أصحاب رسول الله ﷺ ومن أصحاب النفوذ في المجتمع الإسلامي ولهم حضور واحترام عند الحسن ﷺ وهما من قريش:

* عبد الرحمٰن بن سمرة بن حبيب بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو سعيد القرشي العبشمي الأمير، أسلم عبد الرحمٰن يوم الفتح وكان أحد الأشراف، نزل البصرة، وغزا سجستان[2]، وهو الذي قال له رسول الله ﷺ: «**يا عبد الرحمن، لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها، وإن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها**»[3]. وله في مسند بقي بن مخلد أربعة عشر حديثاً، وحدث عنه: ابن عباس، وسعيد بن المسيب، وعبد الرحمٰن ابن أبي ليلى، وحيّان بن عمير، وابن سيرين، والحسن، وأخوه سعيد بن أبي الحسن، وحميد ابن هلال، وقيل: كان اسمه عبد كلال، فغيره رسول الله[4] إلى عبد الرحمٰن، مات بالبصرة سنة خمسين، وقيل: توفي سنة إحدى وخمسين[5]، فعبد الرحمٰن بن سمرة صحابي جليل مجاهد له مكانته في ذلك العهد، وشارك في الفتوحات وتولى إمارة جيوش الفتح في عهد عثمان، وفتح سجستان صلحاً ثم افتتح فيما بعد «بُست» وما يليها، ومضى إلى كابل وزابلستان فافتتحهما جميعاً، وبعث بالغنائم إلى ابن عامر ﷺ[6].

* عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ القرشي العبشمي[7]. ولد في عهد رسول الله ﷺ وذلك في السنة الرابعة من الهجرة[8]، وعندما اعتمر الرسول الكريم ﷺ في السَّنة السابعة للهجرة عمرة القضاء، ودخل مكة، حمل إليه عبد الله بن

(1) البخاري، كتاب: الصلح رقم: 2704.
(2) سير أعلام النبلاء (2/ 571).
(3) مسلم، كتاب: الإيمان رقم، 1652.
(4) سير أعلام النبلاء (2/ 572).
(5) سير أعلام النبلاء (2/ 572).
(6) تاريخ دمشق (26/ 289، 290).
(7) البداية والنهاية (08/ 91).
(8) تهذيب التهذيب (5/ 272).

عامر، قال ابن حجر: . . . فتلمَّظ وتثاءب، فتفل رسول الله في فيه، وقال: «هذا ابن السُّلمية؟» قالوا: نعم، فقال: «هذا أشبهنا»، وجعل يتفل في فيه، ويعوِّذه فجعل يبتلع ريق النبي ﷺ، فقال: «إنَّه لمسقيٌّ»، فكان لا يعالج أرضاً إلا ظهر له الماء[1]. وقد ترجمت له في كتابي عن عثمان بن عفان ﷺ عند حديثي عن مؤسسة الولاة في عهد ذي النورين[2]، وهو الرجل الذي له من الحسنات والمحبة في قلوب الناس مالا يُنكر كما يقول ابن تيمية[3]، وقال فيه الذهبي: وكان من كبار أمراء العرب، وشجعانهم، وأجوادهم، وكان فيه رفق وحلم[4]، وهو ممن اعتزل القتال في الجمل وصفين.

فالشخصيتان اللتان أرسلهما معاوية ﷺ تدل على حرصه على نجاح الصلح مع الحسن بأي ثمن ممكن، وقد ظل زمام الموقف بيد الحسن بن علي ﷺ ويد أنصاره، وكانت جبهته العسكرية قوية كما مرّ معنا في رواية البخاري والروايات الأخرى، وأما ما تعرض له الحسن ﷺ من محاولة القتل والاعتداء فإنه يعود إلى أسباب تتصل بظروف القتال والصلح مع معاوية، حقيقة أو إشاعة كما مر معنا، وقد هزم المرجفون وقتل الرجل الذي قام بالاعتداء عليه، وتقدم هو من بعد ذلك واجتمع بمعاوية، ولو لم يكن الحسن مرهوب الجانب لما احتاج معاوية إلى أن يفاوضه ويوافق على ما طلب من الشروط والضمانات، ولكان عرف ضعف جانب الحسن وانحلال قوته عن طريق عيونه، ولدخل الكوفة من غير أن يكلف نفسه مفاوضة أحد أو ينزل على شروطه ومطالبه[5]، وقد كان بمقدور الحسن أن يقاتل معاوية بمن كان معه من الأنصار والأعوان، ولكن الحسن كان ذا خلق يجنح للسلم ويكره الفتنة وينبذ الفرقة، وقد رأب الله به الصدع، وجمع الكلمة، وقد كان رسول الله ﷺ أشار[6] إلى ذلك فقال: «إن ابني هذا سيد، ولعل الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[7].

- الحسن والزهد في الملك:

فالحسن بن علي ﷺ قدوة للمسلمين في الترفع عن حطام الدنيا وطلب ما عند الله تعالى واحتساب الأجر والمثوبة، فالزهد في المناصب والكراسي من الأمور الثقيلة على

(1) الطبقات (5/ 31)، تهذيب التهذيب (5/ 272).
(2) عثمان بن عفان للصلّابي، ص 302.
(3) منهاج السنة (3/ 189، 190).
(4) سير أعلام النبلاء (3/ 21).
(5) دراسة في تاريخ خلفاء الدولة الأموية، ص 61.
(6) المصدر السابق نفسه.
(7) البخاري رقم: 7109.

النفس البشرية، فالإخوان والأصحاب والأقارب يتقاتلون على الكراسي والمناصب، فانظر إلى التاريخ القديم والحديث ترى العجب العجاب، فالزهد في الرئاسة أقل ما يكون في دنيا الناس، وكم من أناس زهدوا في المال والنساء وغيرها من الأمور، ولكنهم أمام الزعامة والرئاسة والمناصب ينهزمون، فالزهد في الرياسة أقل ما يكون في دنيا الناس، وقيل بأنه آخر ما ينزع من صدور الصالحين، وتأمل مقولة سفيان الثوري، فقد قال: ما رأيت الزهد في شيء أقل منه في الرياسة، ترى الرجل يزهد في المطعم والمشرب والمال والثياب، فإن نوزع حامى عليها وعادى[1]. إياك وحب الرياسة، فإن الرجل تكون الرياسة أحب إليه من الذهب والفضة وهو باب غامض لا يبصره إلا البصير من العلماء السماسرة، فتفقد نفسك واعمل بنية، واعلم أنه قد دنا من الناس أمر يشتهي الرجل أن يموت[2]، فالحسن بن علي يعلِّمنا كيف نترك المناصب والكراسي إذا كان في تركها رضاءً لله، ومصلحة للأمة، وحقناً لدمائها وعملاً على توحيدها، ومن الأمور التي تساعدنا على الزهد في الدنيا: قصر الأمل، وذكر الموت وزيارة القبور، وكان الحسن بن علي مكتوب على خاتمه:

قدّم لنفسك ما استطعت من التُّقى ... إن المنية نازل بك يا فتى
أصبحت ذا فرح كأنك لا ترى ... أحباب قلبك في المقابر والبلى[3]

لقد كان الحسن بن علي من زهاد عصره، ونال في مقام الزهد القدح المعلى، فقد ترك الدنيا وحطامها واشتغل برضا الله تعالى، وكان له في ذلك شغل عن طلب المنزلة عند الخلق، ومع هذا، فقد أعطاه الله المنزلة في قلوب الخلق والشرف عندهم، وإن كان لا يريد ذلك ولا يقف معه، بل يهرب منه أشد الهرب خشية أن يقطعه الخلق عن الحق جل جلاله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾[مريم: 96]. أي: في قلوب عباده.

وفي الحديث: «**إن الله إذا أحب عبداً نادى: يا جبريل إني أحب فلاناً فيحبه جبريل، ثم يحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض**»[4]، وبكل حال فطلب شرف الآخرة يحصل معه شرف في الدنيا، وإن لم يرده صاحبه ولم يطلبه، وطلب شرف الدنيا لا يجامع شرف الآخرة، ولا يجتمع معه، والسعيد من آثر الباقي على الفاني، قال أبو الفتح البُستيُّ:

أمران مفترقان لست تراهما ... يتشوقان لخلطة وتلاقي
طلب المعاد مع الرياسة والعُلى ... فدع الذي يفنى لما هو باقي[5]

(1) سير أعلام النبلاء (7/ 262).
(2) حلية الأولياء، (6/ 376)، فقه الفتن، عبد الله شعبان، ص 142.
(3) تاريخ دمشق (14/ 86).
(4) مسلم رقم: 2637.
(5) أمراض النفس، د. أنس كرزون، ص 77.

إن الحسن بن علي ﷺ يعلمنا كيف نزهد في الجاه والسلطان والملك والشهرة ابتغاء مرضاة الله تعالى، فالحسن ﷺ ازداد رفعة وسيادة بتنازله في الدنيا وأصبح رمزاً لنكران الذات ومعلماً للإيثار ومدرسة وفخراً للأمة عبر الأجيال في تقديمه مصلحة الأمة في وحدتها وحفظ دمائها على أي مصلحة أخرى، ولقد بلغت شهوة حب الجاه في قلوب الكثيرين مداها وأصبحوا يتنافسون على بلوغها، ويبذلون من أجلها الأموال والطاقات، ويتحايلون على الوصول إليها بالحيل والخداع، ويقدمونها على شهوة حب المال وذلك للأسباب التالية:

1 - لأن التوصل بالجاه إلى المال أيسر من التوصل بالمال إلى الجاه، فالعالم أو العابد الذي تقرر له جاه في القلوب لو أراد اكتساب المال لبذل له الناس من أموالهم وأعمالهم ما يحقق له ذلك.

2 - أن المال معرض للتلف أو الزوال ويتطرق إليه الخطر، أما الجاه فإنه إذا دخل القلوب ملكها واستقر فيها فلا تمتد إليه الأخطار إلا إذا حصل ما يغير نظرة الناس إلى صاحب الجاه.

3 - أن ملك القلوب يسري ويتزايد من غير حاجة إلى تعب ومقاساة، فالناس إذا أعجبوا بشخص أكثروا مدحه والحديث عنه، وانتشر صيته بينهم[1].

وهناك تداخل كبير بين شهوتي حب النفس وحب الجاه، وينتج عن هذا التداخل المعقد أمراض نفسية منها: الرياء، والكبر والتعالي على الناس والإعجاب بالنفس وحب المدح بين الناس، الأنانية والشح والحسد، وكثرة الغضب، والذل، والمداهنة، وهي في الحقيقة محرمات قلبية تحتاج لمجاهدة وتربية سلوكية على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

كما أن من يحرص على بلوغ الجاه عند أهل الدنيا، ويجعل من ذلك شغله الشاغل، فإنه سيبذل لهم من دينه وكرامته لكي ينال ما يطمح إليه، ويذل لهم ليكسب رضاهم[2]، وفي ذلك يقول ابن تيمية رحمه الله: وكذلك طالب الرياسة والعلو في الأرض قلبه رقيق لمن يعينه عليها، ولو كان في الظاهر مقدمهم والمطاع فيهم، فهو في الحقيقة يرجوهم ويخافهم، فهو في الظاهر رئيس مطاع، وفي الحقيقة عبد مطيع لهم[3].

وهذا كلام خطير، على القيادات الإسلامية أن تستوعبه وتتحرر من رقة القلب ولينه أمام مطالب الجماهير، عندما تكون مطالبهم لا تخدم دين الله وشرعه، فالحسن بن علي يعلمنا

(1) أمراض النفس، د. أنس كرزون، ص 77.
(2) أمراض النفس، د. أنس كرزون، ص 78 إلى 92.
(3) العبودية، لابن تيمية، ص 48 - 49.

الاستعلاء بالمبادئ والقيم على حظوظ النفس الخفية، فقد تعرّض لهجوم كاسح من بعض أتباعه الذين لا يريدون الصلح مع معاوية، ومع هذا رد عليهم رداً جميلاً وحاول الارتقاء بهم، وبين لهم دوافعه التي دفعته للتنازل لمعاوية، من حفظ الدماء، ووحدة الأمة، وابتغاء ما عند الله تعالى، ونجح في قيادة الأمة بأسرها لتحقيق مشروعه العظيم، ولم يتأثر بضغوط القواعد الشعبية، ولا بغيرها، وهكذا القادة الربانيون يفعلون.

لقد كان الحسن ﷺ في صلحه مع معاوية مصيباً باراً راشداً ممدوحاً وليس يجد في نفسه حرجاً ولا تلوماً ولا ندماً، بل هو راضٍ بذلك مستبشر به[1]، وكان ﷺ يرد على منتقديه بأدب جم وحجة ظاهرة، فعندما قال له أبو عامر سفيان بن الليل: السلام عليك يا مُذل المؤمنين، فقال له الحسن: لا تقل هذا يا أبا عامر، لست بمُذل المؤمنين، ولكني كرِهت أن أقتُلهم على الملك[2] وعندما قال لهم: العار خير من النار[3]، فقول الحسن ﷺ: العار خير من النار، يفتح لنا آفاقاً واسعة في فقه القدوم على الله تعالى، فقد كان ﷺ عاملاً به في حياته مستوعباً لأبعاده، يظهر ذلك في سكناته وحركاته واختياراته رضي الله عنه وأرضاه.

- من حياة الحسن في المدينة بعد الصلح:

ترك الحسن الكوفة بعد تنازله لمعاوية ورجع بمن معه من أصحابه وبني هاشم إلى المدينة واستقر بها، وكان الهاشميون محل الإجلال والتكريم والاحترام من معاوية ﷺ، وكانت زعامتهم عند الحسن بن علي ﷺ، وكانت المدينة في تلك الفترة يسكنها عدد كبير من علماء الصحابة يضاف إليهم عدد من التابعين ممن تتلمذ على الصحابة العلماء وساروا بسيرتهم ونهجوا نهجهم، وهؤلاء كانوا خليطاً من المهاجرين والأنصار ومن غير المهاجرين والأنصار، وقد جعل هؤلاء القوم همهم العبادة وتعليم الناس ورواية ما حفظوه من أحاديث رسول الله ﷺ، وكانوا يدخلون فيما دخلت فيه الأمة ولا ينزعون يداً من جماعة ومن هؤلاء: عبد الله بن عمر، وعبد الله بن العباس وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري، وجابر بن عبد الله ﷺ[4]. كانت أجواء المدينة خيراً على الحياة العلمية، حيث تفرغ طلاب العلم فيها لرواية الحديث، وتفسير القرآن، واستنباط الأحكام الفقهية فقصدها الناس من أجل العلم، فقد كان بها الهدوء والاطمئنان الذي يساعد على العلم والبحث[5].

---

(1) البداية والنهاية (12/ 141).

(2) المصدر السابق نفسه (12/ 141).

(3) المصدر السابق نفسه (12/ 204).

(4) تاريخ الطبري (6/ 80)، المدينة في العصر الأموي، شرّاب، ص 84.

(5) المدينة في العصر الأموي، شرّاب، ص 62.

1 - العلاقة بين الحسن ومعاوية ﷺ بعد الصلح:

كان الحسن بن علي يقدم على معاوية في خلافته، فقدم عليه ذات مرة فقال له معاوية: لأجيزنك بجائزة ما أجزت بها أحداً قبلك ولا أجيز بها أحداً بعدك، فأعطاه أربع مائة ألف فقبلها[1].

وجاء في رواية: . . . أن الحسن بن علي كان يفد كل سنة إلى معاوية فيصله بمائة ألف درهم، فقعد سنة عنه ولم يبعث إليه معاوية بشيء فدعا بدواة ليكتب إليه فأغفى قبل أن يكتب فرأى النبي ﷺ في منامه كأنه يقول: «يا حسن أتكتب إلى مخلوق تسأله حاجتك وتدع أن تسأل ربك؟» قال: فما أصنع يا رسول الله وقد كثر ديني؟ قال: «**قل: اللهم إني أسألك من كل أمر ضعفت عنه قوتي وحيلتي ولم تنته إليه رغبتي، ولم يخطر ببالي ولم يبلغه أملي، ولم يجر على لساني من اليقين الذي أعطيته أحداً من المخلوقين الأولين والمهاجرين والآخرين إلّا خصصتني به يا أرحم الراحمين**». قال الحسن: فانتبهت وقد حفظت الدعاء فكنت أدعو به فلم يلبث معاوية أن ذكرني فقيل له: لم يقدم السنة، فأمر له بمائتين ألف درهم[2].

وجاء في رواية: بأن الدعاء الذي علمه رسول الله للحسن في المنام هو: «**اللّهم اقذف في قلبي رجاك، واقطع رجائي عمّن سواك حتى لا أرجو أحداً غيرك، اللّهم وما ضعفت عنه قوتي وقصر عنه عملي، ولم تنته إليه رغبتي، ولم تبلغه مسألتي ولم يجر على لساني مما أعطيت أحداً من الأولين والآخرين من اليقين فخصّني به يا رب العالمين**» قال: فوالله ما ألححت به أسبوعاً حتى بعث إليّ معاوية بألف ألف وخمس مائة ألف، فقلت: الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره، ولا يخيّب من دعاه، فرأيت النبي ﷺ في المنام فقال: «**يا حسن كيف أنت؟**» فقلت: بخير يا رسول الله، وحدثته حديثي فقال: «**يا بُني، هكذا من رجا الخالق ولم يرج المخلوق**»[3].

2 - صلاة معاوية للحسن والحسين وابن الزبير ﷺ:

أمر معاوية للحسن بن علي بمائة ألف، فذهب بها إليه فقال لمن حوله: من أخذ شيئاً فهو له، وأمر للحسين بن علي بمائة ألف فذهب بها إليه وعنده عشرة فقسمها عليهم عشرة آلاف عشرة آلاف، وأمر لعبد الله بن جعفر بمائة ألف[4].

وكان معاوية إذا تلقى الحسن بن علي قال له: مرحباً وأهلاً بابن رسول الله ﷺ، وإذا

(1) سير أعلام النبلاء (3/ 269).
(2) تاريخ دمشق (14/ 8).
(3) تاريخ دمشق (14/ 8).
(4) المصدر السابق نفسه (62/ 133).

تلقى عبد الله بن الزبير قال له: مرحباً بابن عمة رسول الله ﷺ، وأمر للحسن بن علي بثلاثمائة ألف ولعبد الله بن الزبير بمائة ألف[1]، وجاءت بعض الروايات بسند حسن بأن معاوية كان دائم الوصل للحسين، ويسارع في تلبية مطالبه وحاجاته، وكان يغدق عليه العطاء[2]، ولقد اعترف الشيعة أنفسهم بعطايا معاوية للحسن والحسين وعبد الله بن جعفر[3].

ويبدو أن صلات الحسين بمعاوية كانت طيبة واستمرت العلاقات بين الطرفين تتسم بكل احترام وتقدير، ولم تنقطع علاقة أهل الكوفة بالحسن والحسين بعد خروجهما من الكوفة واستقرارهما في المدينة، بل استمرت العلاقة بين الجانبين عن طريق الرسائل التي يبعث بها الكوفيون باستمرار، ولقد كانت تلك الرسائل - كما يبدو - تحمل دعوة لمعارضة الحكم القائم، كما تحمل تأكيداً بأحقيتهما في الخلافة، واستنهاض هممهم إليها، وما كانت تلك الكتب لتؤثر على الحسن بل أعطته انطباعاً وتصوراً واضحاً عن أهل التشيع في الكوفة، وأنهم أهل شر وفتنة، ولا يريدون اجتماع الأمة ووحدة كلمتها[4]، قال يزيد بن الأصم: جاءت الحسن إضبارة[5] من الكتب فقال: يا جارية هات المخضب، فصب فيه الماء وألقى الكتب في الماء، فلم يفتح منها شيئاً ولم ينظر إليها، فقلت، يا أبا محمد: ممن هذه الكتب؟ قال: من أهل العراق من قوم لا يرجعون إلى حق ولا يقصرون عن باطل، أما إني لست أخشاهم على نفسي ولكني أخشاهم على ذاك، وأشار إلى الحسين[6].

ولما توفي الحسن بن علي اجتمعت الشيعة في دار سليمان بن صرد وكتبوا إلى الحسين كتاباً بالتعزية في وفاة الحسن وقالوا في كتابهم: إن الله قد جعل فيك أعظم الخلق ممن مضى، ونحن شيعتك المصابة بمصيبتك، المحزونة بحزنك، والمسرورة بسرورك، المنتظرة لأمرك[7]، فرد الحسين على كتابهم: إني لأرجو أن يكون رأيي رأي أخي رحمه الله في الموادعة، ورأي أخي في جهاد الظلمة رشداً وسداداً، فالصقوا بالأرض وأخفوا الشخص، واكتموا

(1) تاريخ دمشق (62/ 133).

(2) مصنف ابن أبي شيبة (11/ 94) بسند حسن، مواقف المعارضة في خلافة يزيد بن معاوية، ص 177.

(3) انظر جلاء العيون للمجلسي، ص 376، والكافي في الفروع كتاب: الحقيقة، باب الأسماء والكنى (6/ 19) الأمالي للطوسي (22/ 334)، شرح ابن أبي الحديد (2/ 823) وقد فصل الدكتور محمد الشبياني في كتابه (مواقف المعارضة في خلافة يزيد) حول الحسين، ص 177.

(4) مواقف المعارضة في خلافة يزيد بن معاوية، ص 178.

(5) إضبارة: الإضبارة: الحُزمة من الصُّحُف، لسان العرب (4/ 479).

(6) المعرفة والتاريخ (2/ 756) بإسناد حسن، معجم الطبراني، وقال في المجمع (6/ 243): ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن الحكم بن أبي زياد، وهو ثقة.

(7) أنساب الأشراف (3/ 152) بإسناد جمعي، الأخبار الطوال، ص 221، 222.

الهوى، واحترسوا في الأضناء ما دام ابن هند حياً، فإن يحدث به حدث وأنا حي يأتكم رأيي إن شاء الله[1].

ولقد كانت مكانة الحسين ﷺ من المسلمين بعد وفاة الحسن مكانة لا تنكر، وأصبح هناك شعور قوي بأن المرشح الوحيد بعد وفاة معاوية للخلافة هو الحسين بن علي ﷺ، وقد كان يزوره كبار أهل الحجاز وزعماء الكوفة وهم لا يشكون في أنه سيكون الخليفة بعد معاوية[2]، ولم تقتصر محاولات الكوفيين على طلب الحسين فقط، بل إنهم طلبوا من محمد ابن الحنفية القدوم عليهم، فانتبه إلى خطورة أهل الكوفة عليه وعلى آل علي بن أبي طالب ﷺ، فأخذ يحذر الحسين من الانجرار وراءهم وتصديق مزاعمهم، ومما قاله للحسين: إن القوم يريدون أن يأكلوا بنا ويشيطوا دماءنا[3].

ولقد أثارت تلك الرسائل المتبادلة بين الحسين وأهل الكوفة مخاوف بني أمية في المدينة فكتبوا إلى معاوية يستشيرونه بشأن الحسين: فكتب إليهم بأن لا يتعرضوا له مطلقاً[4]، ولا يمكن أن تخفى تلك الرسائل على معاوية، ولا العلاقات الوثيقة التي تربط بين الحسين وبين الكوفيين، ولهذا فقد طلب معاوية من الحسين: أن يتقي الله ﷻ وأن لا يشق عصا المسلمين، ويذكره بالله في أمر المسلمين[5]، ولقد كان الحسن والحسين ﷺ مخلصين لعهدهما، والتزما بيعتهما لمعاوية، وكان الحسين يرى أن الصلح له ملزم في ظل حياة الحسن ومعاوية، وكذلك بعد وفاة أخيه.

3 - هل يصح اتهام معاوية بسمّ الحسن بن علي ﷺ؟

ذكرت بعض الروايات أن الحسن بن علي توفي متأثراً بالسم الذي وضع له، وقد اتجهت أصابع الاتهام نحو زوجة الحسن: جعدة بنت الأشعث بن قيس أمير كندة، فهذه أم موسى سرية علي تتهم جعدة بأنها دست السم للحسن، فاشتكى منه شكاة، فكان يوضع تحته طست[6] وترفع أخرى نحواً من أربعين يوماً[7]، وهذه رواية إسنادها لا يصح وهي ضعيفة[8]،

(1) أنساب الأشراف (3/ 152)، مواقف المعارضة، ص 179.
(2) أنساب الأشراف (3/ 152) بإسناد جمعي، نقلاً عن مواقف المعارضة في خلافة يزيد، ص 179.
(3) الطبقات ابن سعد (5/ 356) يشيطوا دماءنا: يسفكوا دماءنا.
(4) أنساب الأشراف (3/ 152) مواقف المعارضة، ص 179.
(5) أنساب الأشراف (3/ 152) مواقف المعارضة، ص 180.
(6) طست: إناء معلوم.
(7) الطبقات، تحقيق السُّلمي (1/ 338) إسناده ضعيف.
(8) المصدر السابق نفسه (1/ 338).

وحاول البعض من الأخبارين والرواة أن يوجد علاقة بين البيعة ليزيد ووفاة الحسن، وزعموا أن يزيد بن معاوية أرسل إلى جعدة بنت قيس: أن سمي حسناً فإني سأتزوجك، ففعلت، فلما مات الحسن بعثت جعدة إلى يزيد تسأله الوفاء، فقال: إنا والله لم نرضك له أفنرضاك لأنفسنا[1]؟ وفي سندها يزيد بن عياض، ابن جعدية كذبه مالك وغيره[2].

وقريباً من هذه الرواية جاءت في مقاتل الطالبيين، بإسناده عن أحمد بن عبد الله بن عمار، وهو من رؤوس الشيعة[3]، وفي أسانيده أيضاً عيسى بن مهران رافضي كذاب، قال عنه الخطيب: من شياطين الرافضة[4]. وذكر البلاذري[5] بسند عن الهيثم بن عدي: أن الذي بعث لها معاوية بمئة ألف هي هند بنت سهيل بن عمرو زوجة الحسن، والهيثم بن عدي كذاب[6]، وقد وردت هذه الروايات في كتب السنة بدون تمحيص، مع العلم أن أسانيد تلك الروايات ضعيفة[7]، وأما كتب الشيعة الإماميَّة في اتهام معاوية في مقتل الحسن بالسّم فحدِّث ولا حرج، وليس لهم روايات صحيحة يعتمد عليها، والقوم متخصِّصون في الكذب والبهتان وإلصاق التهم الباطلة، والروايات الظالمة في الطعن في الصحابة وخصوصاً معاوية، وقد تحدث العلماء المحققون عن هذه التهمة الباطلة فقالوا:

أ - **قال ابن العربي**: فإن قيل: دس على الحسن من سمَّه، قلنا: هذا محال من وجهين: أحدهما: أنه ما كان ليتقي من الحسن بأساً وقد سلَّم الأمر، الثاني: أنه أمر مغيب لا يعلمه إلا الله، فكيف تحملونه بغير بينة على أحد من خلقه، في زمن متباعد، ولم نثق فيه بنقل ناقل، بين أيدي قوم ذوي أهواء، وفي حال فتنةٍ وعصبية، ينسب كل واحد إلى صاحبه مالا ينبغي، فلا يقبل منها إلا الصافي، ولا يسمع فيها إلا من العدل الصميم[8].

ب - **وقال ابن تيمية**: وأما قوله: معاوية سمّ الحسن، فهذا مما ذكره بعض الناس، ولم يثبت ذلك ببينة شرعية، أو إقرار معتبر، ولا نَقْل يجزم به، وهذا مما لا يمكن العلم به، فالقول به قول بلا علم[9]. وقد جاء عن ابن تيمية في رده عن اتهام معاوية بسمّ الحسن وأنه أمر الأشعث بن قيس بتنفيذ هذه الجريمة وكانت ابنته تحت الحسن ما يدل على قدرة ابن تيمية

(1) تهذيب الكمال (6/ 453) وفي السند يزيد بن عياض، كذبه مالك وغيره.
(2) تقريب التهذيب: 604. (3) ميزان الاعتدال (1/ 118)
(4) لسان الميزان (4/ 406).
(5) أنساب الأشراف (3/ 59)، فيه الهيثم بن عدي بن كلاب.
(6) مواقف المعارضة، ص122.
(7) مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، ص393.
(8) العواصم من القواصم، ص220 - 221. (9) منهاج السنة النبوية (4/ 469).

للنقد العلمي القوي للروايات التاريخية حيث قال: وإذا قيل: إن معاوية أمر أباها كان هذا ظناً محضاً، والنبي ﷺ قال: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث...» ثم إن الأشعث بن قيس مات سنة أربعين وقيل: سنة إحدى وأربعين، ولهذا لم يذكر في الصلح الذي كان بين معاوية والحسن بن علي في العام الذي كان يسمى عام الجماعة وهو عام واحد وأربعين، وكان الأشعث حما الحسن بن علي، فلو كان شاهداً لكان يكون له ذكر في ذلك، وإذا كان قد مات قبل الحسن بنحو عشر سنين فكيف يكون هو الذي أمر ابنته[1]؟

ج - **وقال الذهبي**: قلت: هذا لا يصلح فمن الذي اطلع عليه[2]؟

د - **وقال ابن كثير**: روى بعضهم أن يزيد بن معاوية بعث إلى جعدة بنت الأشعث أن سُمِّي الحسن وأنا أتزوجك بعده، ففعلت، فلما مات الحسن بعثت إليه فقال: إنا والله لم نرضك للحسن أفترضاك لأنفسنا؟ وعندي أن هذا ليس بصحيح، وعدم صحته عن أبيه معاوية بطريق الأولى والأحرى[3].

هـ - **وقال ابن خلدون**: وما نقل من أن معاوية دس إليه السم مع زوجته جعدة بنت الأشعث، فهو من أحاديث الشيعة، وحاشاً لمعاوية من ذلك[4].

و - **الدكتور جميل المصري**: وقد علق على هذه القضية بقوله: ... ثم حدث افتعال قضية سم الحسن من قبل معاوية أو يزيد.. ويبدو أن افتعال هذه القضية لم يكن شائعاً آنذاك، لأننا لا نلمس لها أثراً في قضية قيام الحسن، أو حتى عتاباً من الحسين لمعاوية[5].

وقد ناقش الدكتور خالد الغيث في كتابه (مرويات معاوية في تاريخ الطبري) الجانب الطبي في المرويات التي تحدثت عن وفاة الحسن، وفيما يلي النصوص الخاصة بالجانب الطبي في هذه المسألة، فقد أخرج ابن سعد بإسناده، أن الحسن ﷺ: دخل كنيفاً له، ثم خرج فقال: ... والله لقد لفظت الساعة طائفة من كبدي قبل، قلبتها بعود كان معي، وإني سقيت السم مراراً فلم أسق مثل هذا[6]، وأخرج ابن سعد بإسناده، أن الحسن ﷺ قال: إني سقيت السم غير مرة وإني لم أُسق مثل هذه، إني لأضع كبدي[7]، وأخرج ابن سعد بإسناده،

(1) المنتقى من منهاج الاعتدال، ص266.
(2) تاريخ الإسلام، عهد معاوية، ص40.
(3) البداية والنهاية (8/ 43).
(4) تاريخ ابن خلدون (2/ 527).
(5) أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية، ص 482، مرويات خلافة معاوية، ص 395.
(6) الطبقات، تحقيق السُّلمي (1/ 335) إسناده ضعيف.
(7) المصدر السابق نفسه (1/ 338) إسناده ضعيف.

قال: كان الحسن بن علي سقي السم مراراً، كل ذلك يفلت منه، حتى كان المرة الأخيرة التي مات فيها، فإنه كان يختلف[1] كبده[2].

وقد عرضت النصوص المتعلقة بالجانب الطبي في هذه المسألة على أ. د كمال الدين حسين الطاهر، أجاب بقوله: لم يشتك المريض[3] من أي نزف دموي سائل، مما يرجح عدم إعطائه أي مادة كيميائية (أو سمّ) ذات قدرة على إحداث تثبيط لعوامل تخثر الدم، فمن المعروف أن بعض الكيميائيات، والسموم، تؤدي إلى النزيف الدموي، وذلك لقدرتها على تثبيط التصنيع الكبدي لبعض العوامل المساعدة على تخثر الدم، أو لمضادات تأثيراتها في عملية التخثر؛ ولذلك فإن تعاطي هذه المواد سيؤدي إلى ظهور نزف دموي في مناطق متعددة من أعضاء الجسم مثل العين، والأنف، والفم والجهاز المعدي - المعوي - يخرج الدم بشكل نزف دبري سائل، منفرداً أو مخلوطاً مع البراز، ولا يظهر في شكل جمادات أو قطع دموية، صلبة كانت أو أسفنجية، أو في شكل قطع من الكبد، ولذلك يستبعد إعطاء ذلك المريض أحد المواد الكيميائية، أو السموم ذات القدرة على إحداث نزيف دموي[4].

وعن طبيعة قطع الدم المتجمد التي أشارت الروايات إلى أنها قطع من الكبد يقول أ. د كمال الدين حسين الطاهر: هنالك بعض أنواع سرطانات، أو أورام الجهاز المعدي المعوي، الثابتة أو المتنقلة عبر الأمعاء، أو بعض السرطانات المخاطية التي تؤدي إلى النزف الدموي المتجمد، المخلوط مع الخلايا، وبطانات الجهاز المعدي - المعوي - وقد تخرج بشكل جمادات - قطع من الكبد كما في الروايات -، ولذلك فإني أرجح أن ذلك المريض قد يكون مصاباً بأحد سرطانات، أو أورام الأمعاء[5].

وهذا التحليل الطبي اعتمد روايات ضعيفة وبالتالي يصعب التسليم بالنتيجة التي وصل إليها، وبالنسبة لسم الحسن رضي الله عنه، فنحن لا ننكر هذا، فإذا ثبت أنه مات مسموماً فهذه شهادة له وكرامة في حقه[6].

وأما اتهام معاوية وابنه فهذا لا يثبت من حيث السند، كما مر معنا، ومن حيث المتن، وهل جعدة بنت الأشعث بن قيس بحاجة إلى شرف أو مال - كما تذكر الروايات - حتى تسارع لتنفيذ هذه الرغبة من يزيد، وبالتالي تكون زوجة له؟ أليست جعدة ابنة أمير قبيلة كندة

(1) يختلف: المراد يتردد على الحمام مما به من الألم، حتى إن كبده تقطع وتنزل من المخرج.
(2) الطبقات، تحقيق السُّلمي (1/ 339) إسناده ضعيف.
(3) مرويات خلافة معاوية، ص 396، المراد: المريض الحسن بن علي.
(4) مرويات خلافة معاوية، ص 396. (5) المصدر السابق نفسه، ص 397.
(6) منهاج السنة (4/ 42).

كافة وهو الأشعث بن قيس؟ ثم أليس زوجها وهو الحسن بن علي أفضل الناس شرفاً ورفعة بلا منازعة؟ إن أمه فاطمة وجده الرسول ﷺ وكفى به فخراً، وأبوه علي بن أبي طالب أحد العشرة المبشرين بالجنة ورابع الخلفاء الراشدين، إذاً ما هو الشيء الذي تسعى إليه جعدة وتحصل عليه حتى تنفذ هذا العمل الخطير[1]؟ إن هناك الكثير الذين هم أعداء للوحدة الإسلامية، وزادهم غيظاً وحنقاً ما قام به الحسن بن علي، كما أن قناعتهم قوية بأن وجوده حياً صمام أمان للأمة، فهو إمام ألفتها، وبالتالي حتى تضطرب الأحداث وتعود الفتن إلى ما كانت عليه فلا بد من تصفيته وإزالته، فالمتهم الأول في نظري هم السبئية أتباع عبد الله بن سبأ الذين وجّه لهم الحسن صفعة قوية عندما تنازل لمعاوية وجعل حداً للصراع، ثم الخوارج الذين قتلوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وهم الذين طعنوه في فخذه، فربما أرادوا الانتقام من قتلاهم في النهروان وغيرها[2].

4 - رؤية الحسن بن علي في المنام واقتراب أجله:

عن عمران بن عبد الله بن طلحة، قال: رأى الحسن بن علي كأن بين عينيه مكتوب: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فاستبشر به وأهل بيته، فقصوها على سعيد بن المسيب فقال: إن صدقت رؤياه فَقَلَّ ما بقي من أجله، فما بقي إلا أياماً[3].

5 - الأيام الأخيرة من حياة الحسن:

وفي حياته بالمدينة سقي السم مراراً، ثم لما كانت المرة الأخيرة جاء الطبيب فقال: هذا رجل قد قطع السم أمعاءه[4]، وقال عمير بن إسحاق: دخلت أنا ورجل من قريش على الحسن ابن علي، فقام فدخل المخرج، ثم خرج فقال: لقد لفظت طائفة من كبدي أقلبها بهذا العود، ولقد سقيت السم مراراً وما سقيت السم مرة هي أشد من هذه، قال: وجعل يقول لذلك الرجل: سلني قبل أن لا تسألني، قال: ما أسألك شيئاً، يعافيك الله، قال: فخرجنا من عنده، ثم عدنا إليه من غد وقد أخذ في السَوْق - أي نزع الموت - فجاء حسين حتى قعد عند رأسه، فقال: أي أخي من صاحبك؟ قال: تريد قتله؟ قال: نعم، قال: لئن كان صاحبي الذي أظن لله أشد لي نقمة، وإن لم يكنه، ما أحب أن تقتل بي بريئاً[5].

(1) مواقف المعارضة في خلافة يزيد بن معاوية، ص 123.
(2) مواقف المعارضة في خلافة يزيد بن معاوية، ص 124.
(3) الطبقات، تحقيق السُلمي (1/ 334) إسناده منقطع، عمران لم يدرك الحسن.
(4) الدوحة النبوية الشريفة، ص 97، 98.
(5) الطبقات، تحقيق السُلمي (1/ 335) إسناده ضعيف.

أ - وصية الحسن للحسين رضي الله عنهما:

قال ابن عبد البر: وروينا من وجوه أن الحسن بن علي لما حضرته الوفاة قال للحسين أخيه: يا أخي! إنا أبانا ﷺ تعالى لما قبض رسول الله ﷺ استشرف لهذا الأمر، رجاء أن يكون صاحبه، فصرفه الله عنه، ووليها أبو بكر، فلما حضرت أبو بكر الوفاة تشوف لها أيضاً، فصرفت عنه إلى عمر، فلما احتضر عمر جعلها شورى بين ستة هو أحدهم، فلم يشك أنها لا تعدوه، فصرفت عنه إلى عثمان فلما هلك عثمان بويع، ثم نوزع حتى جرّد السيف وطلبها، فما صفي له شيء منها، وإني والله ما أرى أن يجمع الله فينا أهل البيت، النبوة والخلافة، فلا أعرفنك ما استخفك سفهاء الكوفة فأخرجوك[1]، ولم يذكر ابن عبد البر أسانيده في الرواية وأما المتن ففيه نكارة، كما أنه ينافي ما ثبت عن علي رضي الله عنه في تقديمه لأبي بكر وعمر في الخلافة، وقد بينت ذلك في كتبي عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

ب - تفكره في ملكوت السماء واحتسابه نفسه عند الله:

لما حُضر الحسن بن علي قال: أخرجوني إلى الصَّحْن حتى أنظر في ملكوت السمٰوات - يعني الآيات - فأخرجوا فِراشه فرفع رأسه، فنظر فقال: اللّهم إني أحتسب نفسي عندك، فإنها أعزُّ الأنفس عليَّ. قال: فكان مما صنع الله له أنه احتسب نفسه عنده[2]، وجاء في رواية: اللهم إني أحتسب نفسي عندك، فإني لم أصَبْ بمثلها، غير رسول الله ﷺ[3]، ويظهر في هذا الموقف العظيم والمشهد الرهيب صدق توجه الحسن لله وحده المتفرد بالكبرياء والعظمة والجبروت، وفي هذه العبارات تتفجر معاني الخضوع والتذلل لله عز وجل، مع كمال الرجاء وتعلق قلبه بالله وحده، فلا ينبغي أن تتعلق قلوبنا بغير الله عز وجل.

كما أنه وهو يودع هذه الدنيا لا ينسى عبادة التفكر في ملكوت السمٰوات وما فيها من المخلوقات المتنوعة، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: 190].

ثم نظر إلى نفسه التي هي أعز الأنفس عليه غير رسول الله ﷺ، فاحتسبها عند الله تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: 21] فإن التأمل والتفكر في الكون والنفس وآيات الله المنظورة داع قوي للإيمان، لما في هذه الموجودات من عظمة الله الخالق الدالة على قدرة خالقها وعظمته؛ وما فيها: من الحسن والانتظام، والإحكام الذي يحيِّر الألباب، الدال على سعة علم الله، وشمول حكمته؛ وما فيها من أصناف المنافع والنعم الكثيرة التي لا تعد ولا

(1) الاستيعاب (1/ 391).
(2) البداية والنهاية (11/ 209).
(3) صفة الصفوة (1/ 762).

تحصى، الدالة على سعة رحمة الله، وجوده وبره، وذلك كله يدعو إلى تعظيم مبدعها، وبارئها وشكره واللهج بذكره؛ وإخلاص الدين له وهذا هو روح الإيمان وسره[1].

وإذا تأملنا في مخلوقات الله كلها، نجدها مضطرة ومحتاجة إلى ربها من كل الوجوه، وأنها لا تستغني عنه طرفة عين خصوصاً ما تشاهده في نفسك من أدلة الافتقار وقوة الاضطرار، وذلك يوجب للعبد كمال الخضوع وكثرة الدعاء والتضرع إلى الله: في جلب ما يحتاجه من منافع دينه ودنياه، ودفع ما يضره في دينه ودنياه، ويوجب له قوة التوكل على ربه، وكمال الثقة بوعده، وشدة الطمع في بره وإحسانه، وبهذا يتحقق الإيمان، ويقوى التعبد، فإن الدعاء مخ العبادة وأصلها[2].

فالحسن بن علي ﷺ أتقن عبادة التفكر وهو في لحظاته الأخيرة من هذه الحياة الدنيا، وعلمنا معنى عظيماً وكبيراً في المفهوم الشامل للعبادة فقد احتسب نفسه عند ربه، وهكذا يفهم الصحابة معاني الاحتساب عند الله، وكان معاذ ﷺ قد أجاب أبا موسى الأشعري عندما قال له: فكيف تقرأ يا معاذ؟ قال: أنام أول الليل فأقوم وقد قضيت جزئي من النوم، فأقرأ ما كتب الله، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي[3]، فالأكل وجماع الرجل لأهله، إذا احتسبه المسلم عند الله فيه الأجر والمثوبة من الله تعالى، والحسن بن علي يحتسب نفسه عند الله ويودع الدنيا بعبادة التفكر وعبادة الاحتساب في المصائب، فقد كان ﷺ لسان حاله قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: 162 - 163].

ج - يا أخي إني أدخل في أمر من أمر الله لم أدخل في مثله قط، وأرى خلقاً من خلق الله لم أر مثله قط[4]:

قال أبو نعيم[5]: لما اشتد بالحسن بن علي الوجع جزع، فدخل عليه رجل فقال له: يا أبا محمد، ما هذا الجزع؟ ما هو إلا أن تفارق روحُك جسدك فتقدم على أبويك عليٍّ وفاطمة، وعلى جَدَّيْك النبيِّ ﷺ وخديجة، وعلى أعمامك حمزة وجعفر، وعلى أخوالك القاسم والطيب وإبراهيم، وعلى خالاتك رقية وأمِّ كلثوم وزينب. قال فُسرِّيَ عنه[6].

وفي رواية أن القائل له ذلك الحسين، وأن الحسن قال له: يا أخي، إني أدخُلُ في أمر

(1) شجرة الإيمان للسعدي، ص 49، والوسطية في القرآن الكريم، للصلّابيّ، ص 239.
(2) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، ص 51، الوسطية للصلّابي، ص 239.
(3) البخاري، كتاب: المغازي رقم: 4342. (4) البداية والنهاية (11/ 210).
(5) هو الفضل بن دكين. (6) البداية والنهاية (11/ 210).

من أمر الله لم أدخل في مثله قط، وأرى خلقاً من خلق الله لم أرَ مثله قط. قال: فبكى الحسين رضي الله عنه [1]، وفي رواية: يا أخي إني أقدم على أمر عظيم وهول لم أقدم على مثله قط [2].

إي والله.. وقد بيّن المولى عز وجل في كتابه وسنة رسوله تفصيل مسيرة الإنسان منذ خروج روحه إلى أن يستقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار، ولذلك كان السلف يخافون من سوء الخاتمة، فلا يدري أحد بماذا يُختم له؟ فالأعمال بالخواتيم، والمؤمنون يخافون من سوء الخاتمة عند كل خطوة وعند كل حركة، وهم الذين وصفهم الله تعالى: ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: 60]، ويخافون من سكرات الموت، وقبض الروح، ومعرفة المصير، وكان رسول الله ﷺ يقول: «اللّهم هوّن علي سكرات الموت» [3] ومع الخوف من سكرات الموت يكون أيضاً الخوف من صورة ملك الموت، ودخول الروع والخوف منه على القلب [4]، يقول القرطبي: وأما مشاهدة ملك الموت عليه السلام وما يدخل على القلب منه من الروع والفزع، فهو أمر لا يُعَبر عنه لعظم هوله، وفظاعة رؤيته، ولا يعلم حقيقة ذلك إلا الذي يتبدى له، ويطلع عليه [5]. ومع الخوف الذي ينبغي أن يلازمنا من سكرات الموت وصورة ملكه فإن الأمر الخطير الذي من شأنه أن يزيدنا خوفاً على خوفنا هو: ظهور نتيجة امتحان الدنيا في ذلك الوقت، فهل سنكون ممن تقول لهم الملائكة: ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: 30]. أم سنكون: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الأنفال: 50]؟

قال النبي ﷺ: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه». فقالت عائشة: إنّا لنكره الموت، فقال: «ليس ذاك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بُشّر برضوان من الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله، وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضره الموت بُشر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء أكره إليه مما أمامه، فكره لقاء الله وكره الله لقاءه» [6].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا خرجت روح العبد المؤمن تلقاها ملكان يصعدان بها - فذكر من طيب ريحها - ويقول أهل السماء: روح طيبة جاءت من قبل الأرض صلى الله عليك، وعلى جسد كنت تعمرينه، فيُنطلق به إلى ربه ثم يقول: انطلقوا به إلى

(1) تاريخ دمشق (14/ 109).
(2) تهذيب الكمال (6/ 254)، سكب العبرات (1/ 148).
(3) الترمذي، كتاب: الجنائز رقم: 978.
(4) الإيمان أولاً، ص 94.
(5) التذكرة (1/ 113).
(6) البخاري رقم: 6507.

آخر الأجل، وإن الكافر إذا خرجت روحه - فذكر من نتنها - ويقول أهل السماء: روح خبيثة جاءت من قبل الأرض، فيقال: انطلقوا به إلى آخر الأجل»[1] وللقبر ضمة وضغطة ولا ينجو منها أحد كما قال رسول الله ﷺ: «إن للقبر ضغطة لو نجا أحد منها لنجا سعد بن معاذ»[2]، والقبر - كما قال ﷺ: «حفرة من حفر جهنم أو روضة من رياض الجنة»[3].

وأمامنا الحشر ومجيء الساعة وقيام القيامة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: 1] إنه يوم عصيب: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: 6] فالجميع سيحشر بداية من أبي البشر حتى آخر إنسان تقوم عليه الساعة[4]: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود: 103] وقد تحدث القرآن الكريم والرسول عليه الصلاة والسلام عن أهوال يوم القيامة، قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: 21 - 24]. وقال ﷺ: «يؤتى بجهنم لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»[5] فيا له من مشهد مهيب تنفطر منه القلوب[6]، ولذلك قال الحسن بن علي ﷺ: العار خير من النار[7]، ولذلك خشي على نفسه الزكية أن تحاسب بين يدي الله يوم القيامة، وقد قال ﷺ: «أول ما يُقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء»[8].

ومن مشاهد يوم القيامة المفزعة قول رسول الله ﷺ: «يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة ناصيته ورأسه بيده وأوداجه تشخبُ دماً فيقول: يا رب سل هذا فيم قتلني؟ حتى يُدنيه من العرش»[9] نعم إنها أهوال عليها قادمون، فإذا كان سيد شباب أهل الجنة يخشى على نفسه في دخوله على أمر من أمر الله لم يدخل في مثله قط، فكيف بأمثالي وأمثالك يا أيها القارئ الكريم؟ فيجب أن نعتبر ونعمل لمثل هذا الموقف العصيب، نسأل الله أن يرحمنا ويعفو عنا برحمته وعفوه، إنه كريم حليم وودود رحيم.

---

(1) صحيح مسلم، ، صحيح الجامع رقم: 504.
(2) مسند أحمد (6/ 55) رجاله رجال الصحيح.
(3) سنن الترمذي رقم: 2578، حديث غريب.
(4) الإيمان أولاً فكيف نبدأ به، ص 96.
(5) مسلم، كتاب: صفة النار، صحيح الجامع رقم: 8001.
(6) رحلة إلى الدار الآخرة، ص 390.
(7) البداية والنهاية (12/ 204).
(8) أخرجه البخاري، ومسلم وأحمد عن مسعود، ، صحيح الجامع رقم: 2577.
(9) رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وصححه الألباني في، صحيح الجامع رقم: 8031.

6 - دفنه في البقيع:

لما احتضر الحسن بن علي قال للحسين: ادفنوني عند أبي - يعني النبي ﷺ - إلا أن تخافوا الدماء، فإن خفتم الدماء فلا تهريقوا فيّ دماً، ادفنوني في مقابر المسلمين، فلما قبض تسلح الحسين وجمع مواليه، فقال له أبو هريرة: أنشدك الله وصية أخيك فإن القوم لن يدعوك حتى يكون بينكم دماء، وكان مروان بن الحكم قد عارض دفنه في جوار النبي ﷺ وقال: لا يدفن هناك أبداً، فلم يزل به أبو هريرة وجابر بن عبد الله، وابن عمر، وعبد الله بن جعفر، والمسور ابن مخرمة وغيرهم حتى رجع، ثم دفنوه في بقيع الغرقد بجانب أمه الزهراء البتول[1].

وقد اختلطت الروايات الضعيفة في حادثة دفن الحسن بن علي ﷺ ووجد أصحاب الأغراض مجالاً للدس والتشويه والتزوير، فقد زعم بعضهم بأن السيدة عائشة رفضت دفن الحسن بجانب رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وقالت: لا يكون لهم رابع أبداً، وإنه لبيتي أعطانيه رسول الله ﷺ في حياته، فإن هذا لا يثبت وإسناده مظلم[2].

وقد أثبت ابن تيمية بأن السيدة عائشة أذنت للحسن بأن يدفن في حجرتها، ولكن كره ذلك ناس آخرون، ورأوا أن عثمان ﷺ لما لم يدفن فيها فلا يدفن فيه غيره، وكادت تقوم فتنة[3]، وما تزعمه كتب التاريخ بأن أبان بن عثمان بن عفان قال: إن هذا لهو العجب العجاب، يدفن ابن قاتل عثمان مع رسول الله وأبي بكر وعمر، ويدفن أمير المؤمنين المظلوم الشهيد ببقيع الغرقد[4]، فهذا إسناده ضعيف جداً، وفي متنه نكارة[5].

وهناك روايات ذكرت اعتراض مروان بن الحكم على دفن الحسن بجانب النبي ﷺ، إلا أن أسانيدها ضعيفة، وقد ذكرها الدكتور محمد صامل السُّلمي في تحقيقه لكتاب الطبقات[6]، وإنما الرواية الصحيحة في هذا المقام هي ما رواه أبو حازم حيث قال: لما احتضر الحسن، قال للحسين: ادفنوني عند أبي - يعني النبي ﷺ - إلا أن تخافوا الدماء، فإن خفتم الدماء فلا تهريقوا فيَّ دماً، ادفنوني عند مقابر المسلمين، قال: فلما قبض تسلح الحسين وجميع مواليه،

(1) الدوحة النبوية الشريفة، ص 98.
(2) سير أعلام النبلاء (3/ 276).
(3) الفتاوى (27/ 222).
(4) الطبقات، تحقيق السُّلمي (1/ 355) إسناده ضعيف جداً.
(5) المصدر السابق نفسه (1/ 355).
(6) الطبقات، تحقيق السُّلمي (1/ 356، 257، 364) فقد بين ضعف أسانيد الروايات.

فقال أبو هريرة: أنشدك الله ووصية أخيك فإن القوم لن يدعوك حتى يكون بينكم دماً، قال: فلم يزل به حتى رجع. قال: ثم دفنوه في بقيع الغرقد[1]، فقال أبو هريرة: أرأيتم لو جيء بابن موسى ليدفن مع أبيه فمُنِعَ أكانوا قد ظلموه؟[2] قال: فقالوا: نعم، قال: فهذا ابن نبي الله قد جيء به ليدفن مع أبيه[3].

وقد صلى على الحسن بن علي سعيد بن العاص، وكان يبكي، وكان مرضه الذي مات فيه أربعين يوماً[4]، وقد قدم الحسين بن علي سعيد بن العاص للصلاة على الحسن، لأنه كان والياً على المدينة لمعاوية، وقد اعتزل الفتنة ولم يقاتل مع معاوية، وقد ولي إمرة الكوفة لعثمان ابن عفان، وفيه يقول الفرزدق:

ترى الغُرّ[5] الجحاجح[6] من قُريش إذا ما الأمر ذو الحدثان[7] عالا[8]
قياماً ينظرون إلى سعيد كأنهم يرون به هلالا[9]

وقد كان سعيد بن العاص أحد من ندبه عثمان لكتابة المصحف لفصاحته، وشبه لهجته بلهجة رسول الله ﷺ[10].

ووقف أبو هريرة ﷺ على مسجد رسول الله ﷺ يبكي وينادي بأعلى صوته: يا أيها الناس مات اليوم حب رسول الله ﷺ فابكوا[11]، وقد اجتمع الناس لجنازته، حتى ما كان البقيع يسع أحداً من الزحام[12]، ولو طرحت إبرة ما وقعت إلا على رأس إنسان[13].

وقد كان الحسن ﷺ، حليماً ورعاً فاضلاً، دعاه ورعه إلى ترك الملك والدنيا رغبة فيما عند الله، وقال عنه الذهبي: وكان هذا الإمام سيداً وسيماً، جميلاً عاقلاً، رزيناً، جواداً،

---

(1) الغرقد: مقبرة أهل المدينة، والغرقد كبار العوسج وبه سميت المقبرة.
(2) الطبقات، تحقيق السُّلمي (1/ 340) إسناده صحيح.
(3) المصدر السابق نفسه (1/ 340) إسناده صحيح.
(4) المستدرك على الصحيحين (3/ 190).
(5) الغُرّ: جمع أغر: وهو الأبيض.
(6) الجحاجح: جمع جحجاح: السيد السمح الكريم.
(7) الحدثان: ما يحدث من نوائب الدهر.
(8) عال: أثقل وقدح.
(9) سير أعلام النبلاء (3/ 445).
(10) المصدر السابق نفسه (3/ 448، 449).
(11) البداية والنهاية (12/ 211)، الدوحة النبوية الشريفة، ص 98.
(12) لمصدر السابق نفسه (12/ 211).
(13) لطبقات، تحقيق السُّلمي (1/ 351) إسناده ضعيف.

ممدَّحاً، خيراً ديناً، ورعاً، محتشماً، كبير الشأن[1]، فرحمة الله ورضوانه على هذا السيد الجليل، وجمعنا الله به مع النبيين والصديقين، والشهداء والصالحين. ففي سيرته عبرة لمن اعتبر، وتبصرة لمن ادّكر، ورحم الله العلامة محمد إقبال إذ قال:

في روض فاطمة نما غصنان لم ... ينجبهما في النيّرات سواها
فأمير قافلة الجهاد وقطب دائرة ... الوئام والاتحاد ابناها
حسن الذي صان الجماعة بعدما ... أمسى تفرقها يحلُّ عُراها
ترك الإمامة ثم أصبح في الديار ... إمام ألفتها وحسن عُلاها[2]

7 - التحقيق في سنة وفاته وعمره:

كانت وفاة الحسن بن علي على أكثر الآراء في سنة تسع وأربعين من الهجرة[3]، وقيل: سنة الخمسين[4]، وقيل: سنة إحدى وخمسين[5] وقد رجح الدكتور خالد الغيث بأن وفاة الحسن بن علي في سنة 51هـ[6] وهو قول البخاري[7]، وإليه أميل، وقال جعفر بن الصادق: عاش الحسن سبعاً وأربعين سنة[8]، وعلق الذهبي بقوله: وغلط من نقل عن جعفر أن عمره ثمان وخمسون سنة[9]، وقال الدكتور خالد الغيث: توفي وعمره ثمان وأربعون[10] وأكد ما ذهب إليه بقول ابن عبد البر: أن ولادة الحسن بن علي: في النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة، هذا أصح ما قيل في ذلك[11]، وبذلك جزم ابن حجر[12]، وبذلك يكون عمر الحسن عند وفاته ثماني وأربعين سنة، وأنه توفي سنة 51 هـ. والله تعالى أعلم[13].

وهكذا خرج الحسن بن علي من الدنيا شهيداً ﷺ بأيدي الغدر والخيانة بعد أن قدم

(1) سير أعلام النبلاء (3/ 253).
(2) الدوحة النبوية الشريفة، ص 99.
(3) تاريخ خليفة، ص 209، أنساب الأشراف (3/ 64)، تهذيب الكمال (6/ 256).
(4) الإنباء بأبناء وتواريخ الخلفاء، فتح الباري (7/ 120).
(5) مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، ص 402.
(6) المصدر السابق نفسه، ص 402.
(7) سير أعلام النبلاء (3/ 277).
(8) سير أعلام النبلاء (3/ 277).
(9) سير أعلام النبلاء (3/ 277).
(10) مرويات خلافة معاوية، ص 402.
(11) الاستيعاب (1/ 384).
(12) الإصابة (2/ 68).
(13) مرويات خلافة معاوية، ص 402.

عملاً جليلاً ومشروعاً إصلاحياً فريداً ساهم في وحدة الأمة، وأعاد دورها الحضاري في نشر دين الله في الآفاق، وستظل الأمة الإسلامية مدينة لهذا السيد الجليل الذي حمل لواء الوحدة والإلفة وحفظ الدماء، وساهم في الإصلاح بين الناس، وقدم بجهاده الرائع، وبصبره الجميل، مثالاً يقتدى به على مر العصور، وكرّ الدهور وتوالي الأزمان، فمواقفه الشامخة واستعلاؤه الكبير على حطام الدنيا، حفظها لنا التاريخ ولم تهملها الليالي ولم تفصلها عنا حواجز الزمن ولا أسوار القرون.

obeikandl.com

هذا وقد انتهيت من هذا الكتاب في 21 صفر 1425هـ الموافق 11/ 4/ 2004م الساعة العاشرة إلا ربع ليلاً.

والفضل لله من قبل ومن بعد، وأسأله سبحانه وتعالى أن يتقبل هذا العمل المتواضع ويشرح صدور العباد للا نتفاع به ويبارك فيه بمنه وكرمه وجوده، قال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر: 2].

ولا يسعني في نهاية هذا الكتاب إلا أن أبتهل إلى الله وأتضرع إليه بقلب خاشع منيب، معترفاً بإنعامه وفضله وكرمه وجوده وتوفيقه، وأسأله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل عملي لوجهه خالصاً ولعباده نافعاً، وأن يثيبني على كل حرف كتبته، ويجعله في ميزان حسناتي، وأن يثيب إخواني الذين أعانوني بكافة ما يملكون من أجل إتمام هذا الجهد المتواضع، ونرجو من كل مسلم يطلع على هذا الكتاب أن لا ينسى العبد الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه من دعائه، قال تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: 19].

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفقير إلى عفو ربه
ومغفرته ورحمته، ورضوانه
علي محمد محمد الصلّابي
18 ذي الحجة 1424 هـ

obeikandl.com

أهم المصادر والمراجع

1 - **سير أعلام النبلاء**، شمس الدِّين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة - بيروت، 1402 هـ.

2 - **نسب قريش**: أبو عبد الله مصعب بن عبد الله الزبيري، دار المعارف - القاهرة.

3 - **الدوحة النبوية الشريفة**، د. فاروق حمادة، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى 1420هـ - 2000م.

4 - **الذرية الطاهرة النبوية**: لمحمد بن أحمد بن حماد الدولابي. وأخرج أحاديثه سعد المبارك الحسن، نشر الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى 1407 هـ، 1986م.

5 - **الطبقات الكبرى**، محمد سعد بن منيع الزهري، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

6 - **مسند أحمد**، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

7 - **صحيح ابن حبان**، أبو حاتم بن حبان البستي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، وحسين الأسد، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1404هـ.

8 - **المستدرك على الصحيحين**، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، دار الكتب العلميَّة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1411هـ.

9 - **معجم الطبراني الكبير**، لأبي القاسم، سليمان بن أحمد الطبراني، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الثانية 1406هـ - 1985م.

10 - **منهج التربية النبوية للطفل**، محمد نور بن عبد الحفيظ سويد، مؤسسة الريان، بيروت لبنان، مكتبة المنار الإسلامية، الطبعة الخامسة 1414 هـ - 1994م.

11 - **الحسن بن علي ودوره السياسي**، فتيخان كردي، رسالة ماجستير لم تطبع بعد.

12 - **صحيح البخاري**، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1411 هـ - 1991م.

13 - **تسمية المولود**، بكر عبد الله أبو زيد، دار العاصمة، الطبعة الثالثة 1416هـ - 1995م.

14 - تحفة المودود بأحكام المولود، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى 1422هـ - 2001م.

15 - موسوعة تربية الأجيال، نصر الصنقري، دار الإيمان - الطبعة الأولى.

16 - صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية 1972م.

17 - سنن الترمذي، أبو عيسى، محمد بن عيسى الترمذي، دار الفكر، 1398هـ.

18 - ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، لأبي العباس أحمد بن محمد الطبري المكي، مكتبة الصحابة - الإمارات العربية.

19 - المعجم الصغير للطبراني، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني.

20 - موسوعة عظماء حول الرسول، خالد العك.

21 - سيرة آل بيت النبي الأطهار، مجدي فتحي السيد، المكتبة التوفيقية.

22 - الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى 1415هـ - 1995م.

23 - الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1412 - 1992م.

24 - ميزان الاعتدال في نقد الرِّجال، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: علي البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الأولى.

25 - لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر، حيدر آباد الدَّكن، مطبعة دائرة المعارف العثمانية 1331هـ - 1992م.

26 - البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدِّمشقي، دار الرَّيان، الطبعة الأولى 1408هـ - 1988م.

27 - تقريب التهذيب لابن حجر.

28 - دائرة المعارف البريطانية.

29 - جمهرة أنساب العرب، علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، 1382هـ.

30 - فضائل الصحابة، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة الثانية 1420هـ - 1999م.

31 - تحفة الأحوذي لشرح سنن الترمذي، محمد عبد الرحمن المباركفوري، تصحيح عبد الرَّحمن محمدّ عثمان، مطبعة الاعتماد، نشر محمد عبد المحسن الكتبي.

32 - منهاج السنة لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة.

33 - التبيين في أنساب القرشيين، موفق الدّين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، حققه محمد نايف الدُّليمي، عالم الكتب، الطبعة الثانية.

34 - الشيعة وأهل البيت، إحسان إلهي ظهير، الناشر: إدارة ترجمان السُّنة، توزيع دار السلام الرياض، الطبعة العاشرة.

35 - نساء أهل البيت، منصور عبد الحكيم، التوفيقية.

36 - المرتضى أبو الحسن علي بن أبي طالب، لأبي الحسن الندوي، دار القلم.

37 - السيرة النبوية لابن هشام، دار إحياء التراث، الطبعة الثانية، 1417هـ 1997م.

38 - تاريخ الإسلام للذهبي، محمد أحمد بن عثمان الذّهبي، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى 1407هـ - 1987م.

39 - دلائل النبوة للبيهقي.

40 - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي الهيثمي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة 1402هـ.

41 - سنن ابن ماجه، الحافظ أبو عبد الله محمد بن زيد القزويني، دار الفكر.

42 - أسد الغابة في معرفة الصَّحابة، لعز الدين ابن الأثير، أبي الحسن بن عليٍّ بن محمد الجزريّ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى 1417هـ 1996م.

43 - حلية الأولياء، وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، دار الكتب العلميَّة، بيروت.

44 - صحيح السيرة النبوية، إبراهيم العلي، دار النَّفائس، الطبعة الثالثة، 1408هـ.

45 - صفة الصفوة، الإمام أبي الفرج ابن الجوزي، دار المعرفة، بيروت.

46 - التاريخ الإسلامي مواقف وعبر، د. عبد العزيز عبد الله الحميدي، دار الدّعوة، الإسكندرية، دار الأندلس الخضراء، جدّة، الطبعة الأولى 1408هـ.

47 - من معين السيرة، صالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية 1412هـ 1992م.

48 - السيرة النبوية، لعلي محمد الصَّلاَّبي، دار الإيمان - الإسكندرية.

49 - **صحيح سنن أبي داود**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة التربية العربي لدول الخليج، الرّياض، الطبعة الأولى، 1405هـ.

50 - **أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب**، د. علي محمد الصَّلاَّبي، دار الفجر للتراث - القاهرة.

51 - **العقيدة في أهل البيت بين الإفراط و التفريط**، د. سليمان بن سالم بن رجاء السُّحيمي، مكتبة الإمام البخاري، الطبعة الأولى 1420هـ - 2000هـ.

52 - **السنن الكبرى للبيهقي**، للحافظ أحمد بن الحسين البيهقيّ، طبع دار المعارف، بيروت، لبنان، توزيع مكتبة المعارف - الرياض.

53 - **الانتصار للصحب والآل من افتراءات السّماوي الضال**، الدكتور إبراهيم الرحيلي، مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الأولى 1418هـ - 1997م.

54 - **ديوان محمد إقبال**، الأعمال الكاملة، سيد عبد الماجد غوري، دار ابن كثير، الطبعة الأولى 2003م.

55 - **أحاديث بشأن البطين**، عثمان الخميس، رسالة ماجستير لم تطبع حتى الآن.

56 - **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، لأبي الحسين الأمير علاء الدين علي بن بلبان قدم له وضبط نصه كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى 1987م.

57 - **الشريعة للآجري**، دراسة وتحقيق د. عبد الله الدميجي، دار الوطن، الطبعة الأولى 1418هـ - 1997م.

58 - **النهاية في غريب الحديث**، لابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي.

59 - **فتح الباري**، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة بيروت - لبنان.

60 - **تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف**، للمزي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن المزي، الدار القيمة.

61 - **شرح النووي على صحيح مسلم** للإمام النووي أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، المتوفى 676هـ - 1349هـ.

62 - **شرح فتح القدير** لكمال الدين محمد بن عبد الواحد المعروف بابن الهمام، مطبعة دار الفكر، بيروت - الطبعة الثانية 1397 هـ.

63 - **الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد**: لعلاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرداوي، دار إحياء التراث العربي.

64 - معالم السنن للخطابي لأبي سليمان بن محمد الخطابي، المكتبة العلمية، بيروت، الطبعة الثانية 1401هـ، مصور عن الطبعة الأولى 1352هـ.

65 - الأم للشافعي، لمحمد بن إدريس الشافعي، تصحيح محمد زهري النجار، نشر دار المعرفة، بيروت.

66 - المجموع شرح المهذب للنووي، الناشر: دار الفكر.

67 - حاشية رد المختار على الدار المختار المعروف بحاشية ابن عابدين، لمحمد أمين عمر الدمشقي الشهير بابن عابدين، الطبعة الثانية، مطبعة البابي الحلبي، مصر.

68 - بلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك، أحمد بن محمد الصاوي المالكي، دار المعرفة، بيروت 1398هـ.

69 - حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، لمحمد أحمد بن عرفة الدسوقي، نشر دار الفكر.

70 - شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

71 - المنتقى شرح موطأ مالك لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي، دار الكتاب العربي، الطبعة الرابعة 1404هـ، مصور عن الأولى 1322هـ.

72 - الاختيارات الفقهية من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: لعلاء الدين أبي الحسن بن علي بن محمد البعلي، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة - بيروت.

73 - إعلام الموقعين لابن القيم، دار الجيل، بيروت - لبنان.

74 - مختارات من أدب العرب للندوي، دار ابن كثير، دمشق.

75 - حقبة من التاريخ، عثمان الخميس، دار الإيمان - الإسكندرية.

76 - ثم أبصرت الحقيقة، محمد سالم الحضر، دار الإيمان الإسكندرية، طبعة 2003 م.

77 - دراسات في الفرق، د. أحمد جلي، شركة الطباعة العربية السعودية، الطبعة الأولى 1406هـ.

78 - الإمامة والنص، فيصل نور، كتاب لم يطبع حتى الآن.

79 - وسطية أهل السنة بين الفرق، د. محمد باكريم محمد با عبد الله، دار الراية، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى 1415هـ / 1994م.

80 - زاد المعاد في هدي خير العباد، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم، الطبعة الأولى 1399 هـ، دار الرسالة.

81 - السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، محمد أبو شهبة، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة 1417هـ - 1996م.

82 - مقدمة ابن خلدون.

83 - الإمام الزهري، محمد شرّاب، دار القلم دمشق.

84 - استخلاف أبي بكر الصديق، جمال عبد الهادي، د. محمد رفعت جمعة، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الأولى 1406هـ - 1986م.

85 - أبو بكر رجل الدولة، مجدي حمدي، دار طيبة الرياض، الطبعة الأولى 1415هـ.

86 - عصر الخلافة الراشدة، د. أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة الأولى 1414هـ - 1994م.

87 - الأنصار في العصر الراشدي، حامد محمد الخليفة، دار الصحابة، 2003م.

88 - الانشراح ورفع الضيق بسيرة أبي بكر الصديق، علي محمد الصَّلاَّبي، دار الإيمان الإسكندرية.

89 - الإسلام وأصول الحكم، محمد عمارة.

90 - عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام، د. ناصر بن علي عائض حسن الشيخ، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى 1413هـ - 1993م.

91 - أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ، د. إبراهيم علي شعوط، المكتب الإسلامي، الطبعة السادسة، 1408هـ - 1988م.

92 - تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان.

93 - الإبانة عن أصول الديانة، لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، الطبعة الثانية، الجامعة الإسلامية 1405 هـ.

94 - الإنصاف فيما يجوز اعتقاده ولا يجوز الجهل به، لأبي بكر بن الطيب الباقلاني، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، نشر عالم الكتب، بيروت الطبعة الأولى 1986م.

95 - الخلافة والخلفاء الراشدون بين الشورى والديمقراطية، سالم بهنساوي، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة الثانية 1418هـ - 1997م.

96 - دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، د. عبد الرحمن الشجاع، دار الفكر المعاصر، الطبعة الأولى 1419هـ - 1999م.

97 - صحيح سنن ابن ماجه، لمحمد ناصر الدين الألباني، منشورات المكتب الإسلامي.

98 - تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر الطبري، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى 1407هـ - 1987م.

99 - معجم الطبراني الأوسط لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني.

100 - أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، د. ناصر القفاري، دار الرضا بمصر الطبعة الثالثة.

101 - الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، أبو المعالي الجويني، تحقيق: محمد يوسف موسى - علي عبد المنعم بمكتبة الخانجي؛ مصر.

102 - خلافة علي بن أبي طالب وترتيب وتهذيب كتاب البداية والنهاية، محمد صامل السّلمي، دار الوطن الطبعة الأولى 1422هـ = 2002 م.

103 - تاريخ اليعقوبي، دار بيروت - للطباعة والنشر، طبعة 1400هـ - 1980م.

104 - الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي المكارم الشيباني المعروف بابن الأثير، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، الطبعة الأولى.

105 - الشورى بين الأصالة والمعاصرة، عز الدين التميمي، دار البشير، الطبعة الأولى 1405هـ - 1985م.

106 - تاريخ خليفة بن خيَّاط، أبو عمر خليفة بن خياط بن أبي هبيرة اللّيثي، تحقيق: أكرم ضياء العمري، الطبعة الثانية، مؤسَّسة الرِّسالة، ودار القلم، طبعة 1397هـ.

107 - قصة بعث أبي بكر جيش أسامة، د. فضل إلهي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الثانية، 1420هـ - 2000م.

108 - تاريخ الدعوة إلى الإسلام في زمن الرسولﷺ والخلفاء الراشدين، د. جميل عبد الله المصري، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى 1407هـ 1987م.

109 - عبقرية الصديق، عباس محمود العقاد، المكتبة العصرية، بيروت.

110 - الصديق، أبو بكر، محمد حسين هيكل، دار المعارف بمصر، الطبعة 1971م.

111 - حركة الردة، د. علي العتوم، مكتبة الرسالة الحديثة عمّان، الطبعة الثانية 1997م.

112 - مشكاة المصابيح، تحقيق ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي.

113 - فقه التمكين في القرآن الكريم، د. علي محمد الصَّلاَّبي، دار الوفاء المنصورة، الطبعة الأولى 1421هـ - 2001م.

114 - تفسير الطبري، لأبي جعفر الطبري.

115 - تاريخ دمشق الكبير، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى 1412 هـ - 2001م.

116 - الخراج لأبي يوسف، منشورات مكتبة الرياض الحديثة، بدون تاريخ الطبع.

117 - مصنف في الأحاديث والآثار، لأبي شيبة، دار التاج، بيروت، لبنان.

118 - عقائد الثلاثة والسبعين فرقة، لأبي محمد اليمني، تحقيق ودراسة: محمد عبد الله زربان الغامدي، مكتبة دار العلوم، الطبعة الأولى 1414هـ.

119 - تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر دار صادر، بيروت، لبنان.

120 - مختصر التحفة الاثني عشرية، لمحمود شكري الألوسي، تحقيق: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة 1373هـ.

121 - علي بن أبي طالب مستشار أمين للخلفاء الراشدين، د. محمد عمر الحاجي، دار الحافظ بدمشق، الطبعة الأولى 1998م.

122 - فقه السيرة، محمد سعيد رمضان البوطي، الطبعة الحادية عشرة، 1991 م، دار الفكر، دمشق.

123 - المختصر من كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة للزمخشري، تحقيق سيد إبراهيم صادق دار الحديث، إمام جامعة الأزهر.

124 - النهي عن سب الأصحاب ومافيه من الإثم والعقاب، لمحمد عبد الواحد المقدسي، تحقيق: عبد الرحمن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.

125 - الرياض النضرة في مناقب العشرة، لأبي جعفر أحمد الشهير بالمحب الطبري، المكتبة القيمة - القاهرة.

126 - أضواء البيان في تاريخ القرآن، صابر حسن محمد أبو سليمان، دار عالم الكتب، الطبعة الأولى 1421هـ - 2000 م.

127 - تيسير الكريم المنّان في سيرة عثمان بن عفان، د. علي محمد الصَّلاَّبي، دار ابن كثير، الطبعة الأولى 1424هـ 2003 م.

128 - الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب، عبد الرحمن عبد الكريم العاني، د. حسن فاضل زعين، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد - طبعة 1989م.

129 - أوليات الفاروق للقرشي، د. غالب عبد الكافي القرشي، المكتب الإسلامي - بيروت، مكتبة الحرمين الرياض، الطبعة الأولى 1403هـ - 1983م.

130 - الخلفاء الراشدون للخالدي، دار القلم دمشق.
131 - الخلافة والخلفاء الراشدون بين الشورى والديمقراطية، سالم البهنساوي، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة الثانية 1418هـ - 1997م.
132 - أشهر مشاهير الإسلام في الحرب والسياسة، رفيق العظم، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، الطبعة السادسة 1402هـ - 1983م.
133 - مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، يحيى إبراهيم اليحيى، دار العاصمة، الرِّياض، الطبعة الأولى 1410هـ.
134 - المدينة النبوية، فجر الإسلام والعصر الراشدي، محمد حسن شرّاب، دار القلم، دمشق الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى 1415هـ - 1994م.
135 - نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، ظافر القاسمي، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثالثة 1407هـ - 1987م.
136 - عثمان بن عفان، لصادق عرجون، الدّار السعودية، الطبعة الثالثة 1410هـ - 1990م.
137 - شهيد الدار، عثمان بن عفَّان، أحمد الخروف، دار البيارق، دار عمَّار - الطبعة الأولى 1418هـ - 1997م.
138 - التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان، محمّد بن يحيى بن أبي بكر المالقي الأندلسي، د. محمود يوسف زايد، دار الدوحة، الطبعة الأولى 1405هـ - 1985م.
139 - مجلة البحوث الإسلامية، العدد (10).
140 - أثر التشيع على الرِّوايات التاريخية، د. عبد العزيز نور ولي، دار الخضري، المدينة الطبعة الأولى 1417هـ - 1996م.
141 - عقيدة السَّلف وأصحاب الحديث، ضمن الرّسائل المنبريّة، للبهيج إسماعيل الصَّابوني، نشر محمد أمين رمح، 1970م.
142 - رياض النفوس، للمالكي، أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان طبعة عام 1403هـ - 1983م.
143 - الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، محمد خير هيكل، الطبعة الأولى 1414هـ - 1993م.
144 - ليبيا من الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية، للدكتور صالح مصطفى مفتاح المزيني، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، الطبعة الثالثة 1994م.

145 - الشرف والتسامي بحركة الفتح الإسلامي، د. علي محمّد الصَّلابي، مكتبة الصَّحابة، الشّارقة، الطبعة الأولى 1422هـ - 2001م.

146 - فتنة مقتل عثمان، د. محمد عبد الله الغبّان، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى 1419هـ - 1999م.

147 - تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الطبري والمحدِّثين، تأليف د. محمد أمحزون، دار طيبة، مكتبة الكوثر، الرياض - الطبعة الأولى 1415هـ.

148 - عثمان بن عفان الخليفة الشاكر الصابر، عبد الله الشيخ، الطبعة الأولى 1412هـ - 1991م.

149 - تاريخ المدينة، أبو زيد عمر بن شبّة النميري البصري، تحقيق: محمود شلتوت، نشر السيد حبيب محمود أحمد، المدينة 1393هـ.

150 - منهاج القاصدين في فضل الخلفاء الراشدين، مخطوط في مكتبة عارف حكمت بالمدينة رقم 253.

151 - مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن الأشعري، مكتبة النهضة المصرية.

152 - لوامع الأنوار البهية، للسفاريني، المكتب الإسلامي.

153 - الوصية الكبرى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، طبع دار المطبعة السلفية ومكتبتها، نشر قصي محب الدين الخطيب، الطبعة الثالثة 1401هـ.

154 - الثقات لابن حبان، محمد بن حبان، مكتبة العلم، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 1393هـ.

155 - استشهاد عثمان ووقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر في تاريخ الطبري، دراسة نقدية، د. خالد بن محمد الغيث، دار الأندلس الخضراء، جدّة.

156 - أحكام القرآن لابن العربي، دار المعرفة، بيروت لبنان.

157 - شرح الطحاوية، للعلامة محمد بن علي بن محمد الأذرعي، المكتب الإسلامي، بيروت.

158 - التاريخ الصغير للبخاري.

159 - عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام، سلمان بن حمد العودة، دار طيبة، الرِّياض، الطبعة الثالثة 1412هـ.

160 - العواصم من القواصم، القاضي أبو بكر ابن العربي، تحقيق محب الدين الخطيب، دار الثقافة، قطر - الدوحة، الطبعة الثانية 1989م.

161 - تثبيت دلائل النبوة للهمداني.

162 - الفصل في الملل والنحل، لأبي محمد ابن حزم الظاهري، مكتبة الخانجي، مصر.

163 - دول الإسلام، للذهبي.

164 - الوافي بالوفيات للصدفي.

165 - مروج الذهب ومعادن الجوهر، لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1402هـ.

166 - سنن سعيد بن منصور، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الثانية، 1420هـ.

167 - كتاب أهل البغي من الحاوي الكبير للماوردي.

168 - المنتقى من منهاج الاعتدال، للحافظ أبي عبد الله محمد بن عثمان الذهبي، دار البيان، وحققه وعلق على حواشيه: محب الدين الخطيب.

169 - الفتن، نعيم بن حماد.

170 - أحداث وأحاديث فتنة الهرج، د. عبد العزيز دخان، مكتبة الصحابة، الطبعة الأولى 1424هـ - 203م.

171 - تهذيب ابن عساكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة 1407هـ - 1987م.

172 - عقيدة الإمام ابن قتيبة، علي العلياني، مكتبة الصديق، الطبعة الأولى 1412هـ 1991م السعودية.

173 - الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة، مؤسسة الحلبي، القاهرة.

174 - الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، لأبي العباس أحمد بن محمد ابن علي بن حجر الهيثمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى 1417هـ 1997م.

175 - تفسير القرطبي، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

176 - وقعة صفين لابن مزاحم، تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الثانية - القاهرة 1382هـ.

177 - تنزيه خال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان من الظلم والفسق في مطالبته بدم أمير المؤمنين عثمان، لأبي يعلى محمد الفراء، تحقيق دار النبلاء - عمان، الطبعة الأولى 1422هـ.

178 - دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، د. محمد ضيف الله بطاينة، دار الفرقان، الأردن عمّان.

179 - الأخبار الطوال، لأبي حنيفة أحمد بن داود، تحقيق عبد المنعم عامر، مراجعة د. جمال الدين الشيال، مكتبة المتنبي بغداد.

180 - نهج البلاغة، شرح محمد عبده، دار البلاغة لبنان.

181 - معاوية بن أبي سفيان، صحابي كبير، وملك مجاهد، منير محمد الغضبان، دار القلم دمشق الطبعة الثالثة 1417هـ - 1996م.

182 - مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد قاسم، الطبعة الأولى 1398هـ.

183 - الأساس في السنة، سعيد حوى، دار السلام، القاهرة.

184 - الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، الناشر: حديث أكادمي، نشاط أباد فيصل أباد.

185 - المحن لابن أبي العرب.

186 - بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود، عبد الله الجميلي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، الطبعة الثانية 1414هـ - 1994م.

187 - الإمامة والرد على الرافضة، تحقيق علي ناصر فقيهي.

188 - تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه، أحمد الكاتب.

189 - الحكومة الإسلامية للخميني.

190 - مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني.

191 - الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني.

192 - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت.

193 - كتب حذر منها العلماء، لأبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار الهيعي - السعودية، الطبعة الأولى 1415هـ - 1995م.

194 - السيف اليماني في نحر الأصفهاني، وليد الأعظمي، الطبعة الثانية، 1410هـ - 1989م، دار الوفاء، مصر.

195 - معجم الأدباء، ياقوت الحموي، دار صادر.

196 - الأدب في الإسلام، نايف معروف، دار النفائس، الطبعة الأولى 1410هـ - 1990م.

197 - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت.

198 - منهج الرسول في غرس الروح الجهادية في نفوس أصحابه، السيد محمد نوح، الطبعة الأولى 1411هـ 1990م جامعة الإمارات العربية المتحدة.

199 - التفسير المنير، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر - بيروت، دار الفكر - دمشق 1411هـ - 1991م، الطبعة الأولى.

200 - الإيمان أولاً فكيف نبدأ به، مجدي الهلالي، دار التوزيع والنشر الإسلامية - مصر.

201 - عيون الأخبار، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1406هـ - 1986م.

202 - تهذيب مدارج السالكين، لابن القيم، هذبه: عبد المنعم صالح العلي العزي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة 1409هـ - 1989م.

203 - الرقائق، لمحمد أحمد الراشد، دار البشير - مصر.

204 - صحيح الجامع الصغير، محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة، 1408هـ - 1988م، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.

205 - السلسلة الصحيحة، للألباني، المكتبة الإسلامية.

206 - رهبان الليل، د. سيد بن حسين العفاني، مكتبة معاذ بن جبل، مصر.

207 - ما ذئبان جائعان، لابن رجب، تحقيق: محمد صبحي حلاّق، مؤسسة الريان، الطبعة الأولى 1413هـ - 1992م.

208 - جواهر الأدب للهاشمي، السيد أحمد الهاشمي، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان.

209 - صحيح الترغيب والترهيب، للمنذري.

210 - الأخلاق بين الطبع والتطبع، لأبي عبد الله فيصل بن عبده الحاشدي، دار الإيمان الإسكندرية.

211 - صلاح الأمة في علو الهمّة، د. سيد بن حسين العفاني، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1997م.

212 - جهاد النفس، علي بن محمد الدهامي، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى 1424هـ - 2003م.

213 - جامع العلوم والحكم، لابن رجب.

214 - الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، محمد رضا، المكتبة العصرية، لبنان، الطبعة الأولى 1422هـ - 2001م.

215 - علموا أولادكم حب آل بيت النبي، محمد عبده يماني، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة الطبعة الثانية 1418هـ - 1998م.

216 - منهج الإسلام في تزكية النفس، د. محمد خير فاطمة، دار الخير، الطبعة الأولى 1424هـ - 2003م.

217 - مدارج السالكين، لابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1392هـ.

218 - أمراض النفس، دراسة تربوية لأمراض النفوس ومعوقات تزكيتها وعلاج ذلك، د. أنس أحمد كرزون، دار ابن حزم، الطبعة الثالثة 1424هـ.

219 - الجواب الكافي، لابن القيم.

220 - جامع بيان العلم وفضله، لأبي عمر يوسف بن عبد البر، الطبعة الرابعة 1419هـ - 1998م.

221 - المحدث الفاصل للرامهرمزي.

222 - قواعد في التعامل مع العلماء، عبد الرحمن بن معلاّ اللويحق، دار الورّاق، الطبعة الأولى 1415هـ - 1994م.

223 - الداء والدواء لابن القيم.

224 - التعريفات للجرجاني.

225 - سنن النسائي، أحمد بن شعيب بن علي النسائي، دار الفكر - بيروت.

226 - الزواجر لابن حجر الهيثمي.

227 - الشهب اللامعة في السياسة النافعة، لعبد الله بن يوسف بن رضوان المالقي، دار المدار الإسلامي - لبنان، الطبعة الأولى.

228 - أحكام القرآن، أحمد بن علي الرازي المعروف بالجصاص، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

229 - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية، أبي محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي، تحقيق المجلس العلمي بفاس، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالمغرب.

230 - التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار الكتب الشرقية، تونس.

231 - الفوائد لابن القيم، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار الريان للتراث، القاهرة مصر، الطبعة الأولى 1407هـ - 1987م.

232 - تفسير ابن كثير، دار الفكر، ودار القلم، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية.

233 - تفسير السعدي المسمى تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن ناصر السعدي، المؤسسة السعدية بالرياض.

234 - معنى الزهد والمقالات وصفة الزاهدين للإمام أبي سعيد أحمد بن محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 2003م - 1424هـ.

235 - محاسن التأويل للقاسمي، محمد جمال الدين القاسمي، دار الفكر، بيروت.

236 - نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، مطبعة كوتسا توماسي بالقاهرة.

237 - صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، د. محمد فوزي فيض الله، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى 1416هـ - 1996م.

238 - قيادة الرسول السياسية والعسكرية، أحمد راتب عرموش، دار النفائس، الطبعة الأولى 1401هـ - 1981م.

239 - ولاة مصر، أبو يوسف محمد يوسف الكندي، تحقيق د. حسين نصار، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

240 - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة - بدون تاريخ.

241 - المجروحين من المحدِّثين، أبو حاتم محمد بن حبّان بن أحمد، تحقيق: إبراهيم محمود زايد، حلب دار الوعي.

242 - تذكرة الحفاظ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، بيروت، دار إحياء التراث.

243 - **الكامل في ضعفاء الرجال**، للإمام الحافظ أبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني، دار الفكر، بيروت لبنان، الطبعة الثانية، 1405هـ.

244 - **المعرفة والتاريخ**، ليعقوب بن سفيان الفسوي، تحقيق أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية 1401هـ.

245 - **فقه السيرة**، منير الغضبان، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث، مكة المكرمة.

246 - **الصراع مع اليهود** لأبي فارس، دار الفرقان الطبعة الأولى 1411هـ 1990م.

247 - **مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري**، خالد محمد الغيث، دار الأندلس الخضراء، السعودية - الطبعة الأولى 1420هـ - 2000 م.

248 - **مجموعة الفتاوى**، تقي الدين أحمد بن تيمية الحرّاني، دار الوفاء، الطبعة الأولى 1411هـ - 1997م.

249 - **السنة** لأبي بكر الخلال، تحقيق عطية الزهراني، دار الراية، الطبعة الأولى 1410هـ.

250 - **المطالب العلية بزوائد المسانيد الثمانية**، المطبعة العصرية، 1390هـ - 1970م.

251 - **أخلاق النبيﷺ في القرآن والسنة**، د. أحمد بن عبد العزيز قاسم الحداد، دار الغرب الإسلامي، لبنان، الطبعة الثانية 1999م.

252 - **جامع الأصول من أحاديث الرسول**، للإمام مبارك بن الجزري، تحقيق حامد الفقي، إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض 1370هـ.

253 - **مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية**، محمد سعد اليوبي، دار الهجرة.

254 - **اعتبار المآلات ومراعات نتائج التصرفات**، د. عبد الرحمن بن معمر السنوسي، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، رجب 1424هـ، السعودية.

255 - **أسباب النزول** للواحدي، علي بن أحمد الواحدي، دار الفكر، بيروت، لبنان.

256 - **رسالة الألفة بين المسلمين**، لابن تيمية.

257 - **الناهية عن طعن أمير المؤمنين معاوية**، عبد العزيز بن أحمد بن حامد غرّاس للتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى.

258 - **نظام الخلافة في الفكر الإسلامي**، مصطفى حلمي، دار الدعوة، الإسكندرية.

259 - **الشيخان أبو بكر وعمر رواية البلاذري في أنساب الأشراف**، تحقيق د. إحسان صدقي العمد، المؤتمن للنشر، السعودية، الطبعة الثالثة 1418هـ 1997م.

260 - الدولة والسيادة في الفقه الإسلامي، فتحي عبد الكريم، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية 1404هـ - 1984م.

261 - الذاكرة التاريخية للأمة، د. قاسم محمد.

262 - الدور السياسي للصفوة في صدر الإسلام، السيد عمر، الطبعة الأولى 1417 هـ - 1996م.

263 - أثر العلماء في الحياة السياسية في الدولة الأموية، د. عبد الله عبد الرحمن الخرعان، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى 1424هـ.

264 - دراسات في الأهواء والفرق والبدع، وموقف السلف منها، د. ناصر بن عبد الكريم العقل، مركز دار أشبيليا، الطبعة الأولى 1418هـ - 1997م.

265 - وجوب التعاون بين المسلمين، لعبد الرحمن السَّعدي، دار المعارف، الرِّياض، طبعة 1402هـ.

266 - سنن الدارمي، لأبي عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي، : دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

267 - النظريات السياسية، محمد ضياء الريس.

268 - قضاء الحوائج، لأبي بكر ابن أبي الدنيا، دار ابن حزم، تحقيق محمد خير رمضان يوسف.

269 - فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية 1391هـ، 1972م.

270 - مآثر الإنافة في معالم الخلافة، للقلقشندي، تحقيق عبد الستار أحمد الفرج، عالم الكتب، بيروت.

271 - العبودية لابن تيمية.

272 - المدينة في العصر الأموي، محمّد محمّد شرّاب، مؤسسة علوم القرآن - دمشق.

273 - مواقف المعارضة في خلافة يزيد، محمد الشيباني، دار البيارق، عمّان، الأردن.

274 - تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، تحقيق د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت.

275 - أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في القرن الأوّل الهجري، طبعة 1410هـ - 1989م.

276 - الوسطية في القرآن الكريم، علي الصَّلَّابي، دار الصحابة، الإمارات، الطبعة الأولى 1422هـ - 2001 م.

277 - التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، عبد الرحمن السعدي.

278 - المرتضى: سيرة أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب، لأبي الحسن الندوي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية 1419هـ - 1998 م.

279 - تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي، د. علي حسن الخربوطلي، دار المعارف بمصر.

280 - المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، لأبي العباس أحمد عمر القرطبي، تحقيق: محيي الدين مستو، يوسف بدوي، دار ابن كثير، الطبعة الأولى 1417هـ.

obeikandl.com